هٰذا كتابنا ينطق عليكم بالحق

الحمد لله الذي وفقنا بعظيم منه وواسع كرمه بطبع هذا الجزء الاول من تفسير يسمّى

فتح البيان في مقاصد القرآن

١

هادي الناس الى المحجة منتهى الاعلام ومناخ ركائب التحرير والاحتفاء

قد اهتم بطبعه المولوي محمد عبد المجيد خان في سنة ١٢٩٠ الهجرية على صاحبها الصلوة والتحية

في المطبع الصديقي الواقع في دار الامارة بهوپال المحمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق، وبين له من معالم العلم وشعائر الشرائع ومشاعر الملل كل ما جلّ ودقّ، ونزّل عليه كتابا معجزا افحم مصاقع الخطباء من العرب العرباء، وخطابا مفحما بكت بواقع البلغاء من عصابة الأدباء باظهر بينات واجلى حجج، قرآنا عربيا غير ذي عوج امر ونهى وزجر وبشر وانذر وذكر المواعظ ليتذكر، وقص عن ايام الامم الخالية ليعتبر، وضرب فيه ضروب الامثال ليتدبر، ودل على آيات التوحيد ليتفكر، انزله بحسب المصالح والحكم منجما، وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما، وآوعاه متشابها ومحكما مزاياه ظاهرة باهرة في كل وجه كل زمان، دائرة من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان كادت الرواسي لهيبته تمور، ويذوب من خشيته الحديد ويميع منه صمّ الصخور فمن تمسك بعروته الوثقى وحبله المتين، وسلك جادته الواضحة وصراطه المبين فقد فاز بمناه، ومن نبذه وراء ظهره وعصاه واتخذ الهه هواه، فقد هوى في تخوم الشقاء وتردى في مهاوى الردى فاي عبارة تبلغ ايسر ما يستحقه كلام الحكيم من التعظيم،

واني اشارة تصلح لبيان اقل ما ينبغي له من التوصيف والتكريم كلا والله ان بلاغة البلغاء
وسحرة البيان وان طالت ذيولها. وفصاحة الفصحاء ومهرة قحطان وان سالت سيولها لتقاصر
عن الوفا بادنى اوصافه وان جالت بمبادئها خيولها. وتتصاغر عن التشبث باقصر اطرافه
وان افلقت في اطرائها فحولها فتعود السنتهم عنه قاصرة وصفقتهم في اسواقه خاسرة
كيف وتلك الآيات والدلائل وتيك البينات والمخائل وهذه العبارات العبقرية و
ما في تضاعيفها من اسرار البرية مما لا يحيط به الباب البشر ولا يدرك كنهه طباع
العالم الاكبر والاصغر بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن
الاتيان بمثل اقصر اية من اياته فالاعتراف بالعجز عن القيام بما يستحقه كلام الملك
العلام من الاطراء والاكرام اوفق بما يقتضيه الحال من الاجلال والاعظام
والصلوة والسلام على من ارسله الله الى الخلق هاديا وبشيرا ونزل عليه الفرقان ليكون
للعالمين نذيرا فهداهم به الى الحق وهم في ضلال مبين. وسلك بهم مسلك الهداية حتى
اتاهم اليقين اكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق
ومحاسن الافعال على الطف اسلوب واحسن احوال فهو حجة نيرة واضحة المكنون و
اية بينة لقوم يعقلون بل برهان جلي لا ريب فيه ومنهج سوي لا يضل من ينتحيه مظهر
لتفاصيل الشرائع والاديان بالاستحقاق مفسر لمشكلات ايات الانفس والافاق كاشف
عن خفايا حظائر القدس مطلع على خبايا سرائر الانس بحر علم لا ينزف وعيلم فضل لا ينشف
به يتوصل الى سعادة الدنيا والاخرة وبه تكتسب الملكات الفاخرة كلامه شفاء للسقام
ومرهم للاوهام وحديثه قاطع للخصام عند تفاوت الافهام وتباين الاقدام عليه يدور
فلك الاوامر والنواهي واليه يستند في معرفة حقائق الاشياء كما هي افلح من اتبعه و
والاه وخاب من اعرض عنه وعاداه وصلى الله وسلم على اله البررة وصحبه الخيرة الذين
بلغوا من محاسن الفضائل غاية الغايات. ووصلوا من مكارم الفواضل نهاية النهايات.
لا يتسنى العروج الى معارجهم الرفيعة ولا يتاتى الرقي الى مدارجهم المنيعة لعلو شانهم
ونهاية الاعضال وصعوبة مرامهم وعزة المنال فهم شموس الهدى على فلك السعادة

وبدور الدجى لهم الحسنى وزيادة وعلى من تبعهم بالاحسان صلوة وسلاما دائمين ما تناوب النيران وتعاقب الملوان
وبعد فيقول الفقير الى مولاه الغني به عمّن سواه عبدُه وابنُ امتِه وعبدِه **ابو الطيب صديق بن حسن بن علي القنوجي** اصلح الله حاله وماله قبل ان يخرج الامر من يده ان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا واعلاها على الاطلاق واولاها بالتفضيل بالاستحقاق واساس قواعد الشرائع والعلوم واسّها وراس الملل الاحمدية والنحل المحمدية واسطقسها هو علم التفسير لكلام العزيز القدير وهو علم باحث عن نظم القرآن وآيات الفرقان بحسب الطاقة البشرية وبوفق ما تقتضيه القواعد العربية وقال الفناري الاولى ان يقال علم التفسير معرفة احوال كلام الله سبحانه وتعالى من حيث القرآنية ومن حيث دلالته على ما يعلم او يظن انه مراد الله تعالى بقدر الطاقة الانسانية انتهى وهذا يتناول اقسام البيان باسرها ولا يرد عليه ما يرد على سائر الحدود ومباديه العلوم اللغوية واصول التوحيد واصول الفقه وغير ذلك من العلوم الجمّة والغرض منه معرفة معاني النظم وفائدته حصول القدرة على استنباط الاحكام الشرعية على وجه الصحة وموضوعه كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة وغايته التوصّل الى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه ليفوز به الى السعادة الدنيوية والاخروية وشرف العلم وجلالته باعتبار شرف موضوعه وغايته فهو اشرف العلوم واعظمها هذا ما ذكره ابو الخير وابن صدر الدين وقد تصدى لتفسيره عويصاته اساطين الامة وتولى لتيسير معضلاته سلاطين الائمة من الصحابة والتابعين وائمة اللغة والنحويين ثلة من الاولين وامة من الآخرين فغاصوا في بحار لججه وخاضوا في انهار ثججه فنظموا في سلك التقرير فرائده وابرزوا في معرض التحرير فوائده والّفوا كتبا جليلة المقدار وصنفوا زبرا جميلة الآثار فالمفسرون من الصحابة الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس وابيّ بن كعب وزيد بن ثابت وابو موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير وانس بن مالك وجابر وابو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم والرواية عن علي اكثر وعن الثلثة في ندرة جدا والسّبب فيه

تقدم وفاتهم وروي عن ابن مسعود اكثر مما روي عن علي ومات بالمدينة سنة اثنتين
وثلثين واما ابن عباس المتوفى سنة ثمان وستين بالطائف فهو ترجمان القرآن و
حبر الامة ورئيس المفسرين دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اللهم فقهه
في الدين وعلمه التاويل وقد روي عنه في التفسير ما لا يحصى كثرة لكن احسن
الطرق عنه طريقة علي بن ابي طلحة الهاشمي المتوفى سنة ثلث واربعين ومأة واعتمد
على هذه البخاري في صحيحه واوهى الطرق عنه طريق الكلبي ابي النصر محمد بن السائب فان
انضم اليه رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب وكذلك طريق مقاتل
بن سليمان الازدي وطريق الضحاك عنه منقطعة فانه لم يلقه ومن جيد الطرق عنه
طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب وطريق ابن اسحق صاحب السير واما
ابي بن كعب المتوفى سنة عشرين على خلاف فيه فعنه نسخة كبيرة عن طريق ابي العالية
وهذا الاسناد صحيح ومن الصحابة من ورد عنه اليسير من التفسير غير هؤلاء منهم انس بن
مالك المتوفى بالبصرة سنة احدى وتسعين وابو هريرة المتوفى بالمدينة سنة سبع وخمسين
وعبد الله بن عمر بن الخطاب المتوفى بمكة المكرمة سنة ثلث وسبعين وجابر بن عبد الله
المتوفى بالمدينة سنة اربع وسبعين وابو موسى الاشعري المتوفى سنة اربع واربعين وابن
عمرو بن العاص المتوفى سنة ثلث وستين وهو احد العبادلة الذين استقر عليهم امر العلم
في آخر عهد الصحابة وزيد بن ثابت الانصاري كاتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتوفى
سنة خمس واربعين واما المفسرون من التابعين فمنهم اصحاب ابن عباس وهم علماء مكة
المكرمة ومنهم مجاهد بن جبر المتوفى سنة ثلث ومأة واعتمد على تفسيره الشافعي
والبخاري وسعيد بن جبير المتوفى سنة اربع وتسعين وعكرمة مولى ابن عباس المتوفى
بمكة سنة خمس ومأة وطاؤس بن كيسان اليماني المتوفى سنة ست ومأة وعطاء بن ابي رباح
المكي المتوفى سنة اربع عشرة ومأة ومنهم اصحاب ابن مسعود وهم علماء الكوفة كعلقمة
بن قيس المتوفى سنة اثنتين ومأة والاسود بن يزيد المتوفى سنة خمس ومأة ومنهم
اصحاب زيد بن اسلم كعبد الرحمن بن زيد ومالك بن انس ومنهم الحسن البصري المتوفى

سنة احدى وعشرين ومأية وعطاء بن ابي سلمة ميسرة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي
المتوفى سنة سبع عشرة ومأية وابو العالية رفيع بن مهران الرياحي المتوفى سنة تسعين
والضحاك بن مزاحم وعطية بن سعيد العوفي المتوفى سنة احدى عشرة ومأية وقتادة
بن دعامة السدوسي المتوفى سنة سبع عشرة ومأية والربيع بن انس والسدي ثم بعد
هذه الطبقة الذين صنفوا كتب التفاسير التي تجمع اقوال الصحابة والتابعين كسفيان
بن عُيينة ووكيع بن الجرّاح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وآدم
بن اياس واسحق بن راهويه وروح بن عبادة وعبد الله بن حميد وابي بكر بن ابي شيبة
وآخرين ثم بعد هؤلاء طبقة أخرى منهم عبد الرزاق وعلي بن ابي طلحة وابن جرير وابن ابي حاتم وابن
ماجة والحاكم وابن مردويه وابو الشيخ بن حبان وابن المنذر في آخرين ثم انتصبت طبقة
بعدهم الى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الاسانيد مثل ابي اسحق الزجاج
وابي علي الفارسي وأما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس فكثيراً ما استدرك الناس عليهما
ومثل مكي بن ابي طالب وابي العباس المهدوي ثم الف في التفسير طائفة من المتاخرين
فاختصروا الاسانيد ونقلوا الاقوال بتراً فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل
ثم صار كل من سنح له قول يورده ومن خطر بباله شيء يعتمده ثم ينقل ذلك خلف عن سلف
ظاناً ان له اصلاً غير ملتفت الى تحرير ما ورد عن السّلف الصالح ومن هم القدوة في هذا
الباب قال السيوطي رايت في تفسير قوله سبحانه غير المغضوب عليهم ولا الضالين نحو
عشرة اقوال مع ان الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجميع الصحابة والتابعين
ليس غير اليهود والنصارى حتى قال ابن ابي حاتم لا اعلم في ذلك اختلافاً من المفسرين
ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم ومنهم من ملأ كتابه بما غلب على طبعه
من الفن واقتصر فيه على ما تمهر هو فيه كأنّ القرآن أُنزل لاجل هذا العلم لا غير مع
ان فيه تبيان كل شيء فالنحوي تراه ليس له الا الاعراب وتكثير الاوجه المحتملة فيه
وان كانت بعيدة وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي
في البسيط وابي حيان في البحر والنهر والاخباري ليس له شغل الا القصص واستيفاؤها

والاخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة او باطلة ومنهم الثعلبي والفقيه يكاد يسرد
فيه الفقه جميعا وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالاية
اصلا والجواب عن الادلة للمخالفين كالقرطبي وصاحب العلوم العقلية خصوصا
الامام فخر الدين الرازي قد ملأ تفسيره باقوال الحكماء والفلاسفة وخرج من شيء الى
شيء حتى يقضي الناظر العجب قال ابو حيان في البحر جمع الامام الرازي في تفسيره اشياء
كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير
والمبتدع ليس له الا تحريف الايات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث انه لو لاح له
شاردة من بعيد اقتنصها او وجد موضعا له فيه ادنى مجال سارع اليه كما نقل عن
البلقيني انه قال استخرجت من الكشاف اعتزالا بالمناقيش منها انه قال في قوله سبحانه
وتعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز اي فوز اعظم من دخول الجنة اشار به
الى عدم الرؤية والملحد لا تسأل عن كفره والحاده في ايات الله وافترائه على الله ما لم يقله
كقول بعضهم ان هي الا فتنتك ما على العباد اضر من ربهم وينسب هذا القول الى صاحب
قوت القلوب ومن ذلك القبيل الذين يتكلمون في القرآن بلا سند ولا نقل عن السلف
ولا رعاية للاصول الشرعية والقواعد العربية كتفسير محمود بن حمزة الكرماني ضمنه اقوالا
هي عجائب عند العوام وغرائب عما عهد عن السلف بل هي اقوال منكرة لا يحل الاعتقاد
عليها ولا ذكرها الا للتحذير من ذلك قول من قال في ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به انه
الحب والعشق ومن ذلك قولهم ومن شر غاسق اذا وقب انه الذكر اذا قام وقولهم في من
ذا الذي يشفع عنده معناه من ذل اي من الذل وذي اشارة الى النفس ويشف من الشفا
جواب من وع امر من الوعي وسئل البلقيني عمن فسر بهذا فافتى بانه ملحد واما كلام
الصوفية في القرآن فليس بتفسير قال ابن الصلاح في فتاواه وجدت عن الامام الواحدي
انه قال صنف السلمي حقائق التفسير ان كان قد اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر قال
النسفي في عقائده النصوص تحمل على ظواهرها والعدول عنها الى معان يدعيها اهل
الباطن الحاد وقال التفتازاني في شرحه سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص

ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة قال صاحب مفتاح السعادة الايمان بالقران
هو التصديق بانه كلام الله سبحانه قد انزل على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم
بواسطة جبرئيل عليه السلام وانه دال على صفة ازلية له سبحانه وان ما دل هو عليه بطريق
القواعد العربية مما هو مراد الله سبحانه حق لا ريب فيه ثم تلك الدلالة على مراده سبحانه
بواسطة القوانين الادبية الموافقة للقواعد الشرعية والاحاديث النبوية مراد الله تعالى
وقد ثبت في الحديث ان لكل اية ظهرا وبطنا وذلك المراد الآخر لما لم يطلع عليه كل احد
بل من اعطي فهما وعلما من لدنه تعالى يكون الضابط في صحته ان لا يرفع ظاهر المعاني
المتفهمة عن الالفاظ بالقوانين العربية وان لا يخالف القواعد الشرعية ولا يباين اعجاز القرآن
ولا يناقض النصوص الواقعة فيها فان وجد فيه هذه الشرائط فلا يطعن فيه والا فهو بمعزل
عن القبول قال الزمخشري من حق التفسير ان يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة
على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح وكما بينوا في التفسير شرائط بينوا في المفسر ايضا
لا يحل التعاطي لمن عري عنها او هو فيها راجل وهو ان يعرف اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق
والمعاني والبيان والبديع والقراآت واصول الدين واصول الفقه واسباب النزول والقصص
والناسخ والمنسوخ والفقه والاحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم وعلم الموهبة وهو علم
يورثه الله سبحانه لمن عمل بما علم انتهى ثم ان تفسير القران ثلثة اقسام الاول ما لم يطلع الله عليه
احدا من خلقه وهو ما استاثر به من علوم اسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق اسمائه
وصفاته وهذا لا يجوز لاحد الكلام فيه الثاني ما اطلع الله سبحانه نبيه عليه من اسرار الكتاب
واختص به فلا يجوز الكلام فيه الا له صلى الله عليه وسلم او لمن اذن له قيل واوائل السور من
هذا القسم وقيل من الاول وهو الراجح والثالث علوم علمها الله نبيه وامره بتعليمها وهذا
ينقسم الى قسمين منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع كاسباب النزول والناسخ والمنسوخ و
اللغات والقراآت وقصص الامم واخبار ما هو كائن ومنه ما يوخذ بطريق النظر والاستنباط
من الالفاظ وهو قسمان قسم اختلفوا في جوازه وهو تاويل الآيات المتشابهات وقسم اتفقوا
عليه وهو استنباط الاحكام الاصلية والفرعية والاعرابية وكذلك فنون البلاغة وضروب

المواعظ والحكم والاشارات لا يمتنع استنباطها منه لمن له اهلية ذلك وما عدا هذه الامور هو التفسير بالراي الذي نهي عنه وفيه خمسة انواع الاول التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير الثاني تفسير المتشابه الذي لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى الثالث التفسير المقرر للمذهب الفاسد بان يجعل المذهب اصلا والتفسير تابعا له فيرد اليه باي طريق امكن وان كان ضعيفا الرابع التفسير بان مراد الله سبحانه كذا على القطع من غير دليل الخامس التفسير بالاستحسان والهوى والتقليد واذا عرفت هذه الفوائد فاعلم ان كتب التفاسير كثيرة ذكر منها ملا كاتب الجلبي في كشف الظنون ما يزيد على ثلث مائة تفسير مرتبا على حروف الهجاء منها تفسير ابن ابي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي الحافظ المتوفى سنة خمس وتسعين ومائتين وانتقاه الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة احدى عشرة وتسعمائة في مجلد ومنها تفسير ابن جرير ابي جعفر محمد الطبري المتوفى سنة عشرة وثلثمائة قال السيوطي في الاتقان وكتابه اجل التفاسير واعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الاقدمين انتهى وقد قال النووي اجمعت الامة على انه لم يصنف مثل تفسير الطبري وعن ابي حامد الاسفرائني انه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا ومنها تفسير ابن كثير الامام الحافظ ابي الفدا اسمعيل بن عمر القرشي الدمشقي المتوفى سنة اربع وسبعين وسبعمائة وهو كبير في عشر مجلدات فسر بالاحاديث والاثار مسندة من اصحابها مع الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا وتفسير ابن المنذر هو الامام ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري المتوفى سنة ثمان عشرة وثلثمائة ومنها تفسير البخاري هو ما ذكره في صحيحه وجعله كتابا منه وله التفسير الكبير غير هذا ذكره الفربري ومنها تفسير النحاس هو ابو جعفر احمد بن محمد النحوي المصري المتوفى سنة ثمان وثلثين وثلثمائة قصد فيه الاعراب لكن ذكر القراات التي يحتاج ان يبين اعرابها والعلل فيها وما يحتاج فيه من المعاني ومنها تفسير الواحدي ثلثة البسيط والوسيط والوجيز وتسمى هذه الثلثة الحاوي لجميع المعاني ومنها تفسير المهدوي هو ابو العباس احمد بن عمار التميمي

المتوفى بعد الثلثين واربعمائة ثم من المفسرين من اقتصر في تفسيره على مجرد الرواية
وقنع برفع هذه الراية كجلال الدين السيوطي في الدر المنثور وغيره في غيره من المسطور
ومنهم من اكتفى بمجرد الدراية وجرد نظره الى مقتضى اللغة العربية بصحيح العناية وهم
الاكثرون ومنهم من جمع بين الامرين وسلك بين المسلكين وقليل ما هم ومن احسن التفاسير
جمعا بين الرواية والدراية فيما اعلمت تفسير الامام الحافظ القاضي محمد بن علي بن محمد
الشوكاني اليمني المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين والف الهجرية وهو تفسير كبير بالقول
في مجلدات اربع وطالما يدور في خلدي ان أحرّر في التفسير كتابا يحتوي على امرين ويجمع
طريقين على الوجه المعتبر في الورود والصدر غير مشوب بشيء من التفسير بالراي الذي هو
من اعظم الخطر وكنت انتهز له الفرصة في البلاد والقرى واقدم رجلا واؤخر اخرى
لصعوبة المرام وعزة المقام فاين الحضيض من الذرى والثريا من الثرى فحال بيني وبين
ما كنت احاول تراكم المهمات وتزاحم الاشغال وابتليت بتدبير مصالح العباد في مدينة
بهوبال وانصرمت عرى الامال عن الفوز بفراغ البال حتى سالني جماعة من اهل العلم
ممن يتحرى اتباع السنة والكتاب ويجتنب الابتداع في كل باب والحوا علي واظهروا الفقر
الي ولم يسعني الا اسعاف ما املوه وانجاح ما سالوه فاجبتهم معتمدا على فضل الله وتيسيره
ممتثلا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم فيما يرويه ابو سعيد الخدري
ورفعه ان رجالا ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم فاستوصوا
بهم خيرا ومقتديا بالسلف الماضين في تدوين علوم الدين ابقاء على الخلق وايفاء للحق
وليس على ما جمعوه وصنفوه مزيد ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد
وقصر للطالبين فيه الجد والجهد ايقاظا للنائمين وتحريضا للمتثبطين فحررت بعون
الله تعالى وحسن توفيقه فيما سالوه واستمنحوه كتابا في ايسر زمان واحسن تقدير
متوسطا بين الطويل الممل والقصير المخل وجمعته جمعا حسنا بعبارة سهلة والفاظ
يسيرة مع تعرض للترجيح بين التفاسير المتعارضة في مواضع كثيرة وبيان المعنى العربي
والاعرابي واللغوي مع حرص على ايراد صفوة ما ثبت من التفسير النبوي وعن عظماء

الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من سلف الامة وائمتها المعتبرين كابن عباس حبر هذه الامة ومن بعده من الائمة مثل مجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة وابي العالية والقرظي والكلبي والضحاك ومقاتل والسدي وغيرهم من علماء اللغة و النحو كالفراء والزجاج وسيبويه والمبرد والخليل والنحاس ولكن الثابت الصحيح من التفسير المرفوع الى النبي صلى الله عليه واله وسلم وان كان المصير اليه متعينا وتقديمه متحتما هو تفسير ايات قليلة بالنسبة الى جميع القران والثابت من التفسير عن الصحابة ومن تبعهم باحسان ان كان من اللفظ الذي قد نقله الشرع الى معنى مغاير للمعنى اللغوي فهو مقدم على غيره وان كان من الالفاظ التي لم ينقلها الشرع فهو كواحد من اهل اللغة الموثوق بعربيتهم فاذا خالف ذلك المشهور المستفيض لم تقم الحجة علينا بتفسيره على مقتضى لغة العرب العرباء فبالاولى تفاسير من بعدهم من تابعيهم وسائر الائمة وايضا كثيرا ما يقتصر الصحابي ومن بعده من السلف على وجه واحد مما يقتضيه النظم القراني باعتبار المعنى اللغوي ومعلوم ان ذلك لا يستلزم اهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية ولا اهمال ما يستفاد من العلوم التي يتبين بها دقائق العربية واسرارها كعلم المعاني والبيان فان التفسير بذلك هو تفسير باللغة لا تفسير بمحض الرأي المنهي عنه وقد قال سفيان ليس في تفسير القران اختلاف انما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا وقال ابو الدرداء لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقران وجوها واخرج ابن سعد ان عليا قال لابن عباس اذهب اليهم يعني الخوارج ولا تخاصمهم بالقران فانه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة وايضا لا يتيسر في كل تركيب من التراكيب القرانية تفسير ثابت عن السلف بل قد يخلو عن ذلك كثير من القران ولا اعتبار بما لا يصح كالتفسير المنقول باسناد ضعيف ولا بتفسير من ليس بثقة منهم وان صح اسناده اليه وبهذا تعرف انه لا بد من الجمع بين الامرين والتحلي بالوصفين وعدم الاقتصار على مسلك احد الفريقين وهذا هو المقصد الذي اردته والمسلك الذي قصدته واذكر الحديث معزوا الى راويه من غير بيان

حال الاسناد لاني اخذته من الاصول التي نقلت عنها كذلك كما يقع في تفسير ابن جرير
والقرطبي وابن كثير والسيوطي ويبعد كل البعد ان يعلموا في الحديث ضعفا ولا يبينونه
ولا ينبغي ان يقال فيما اطلقوه انهم قد علموا ثبوته فان من الجائز ان ينقلوه من دون
كشف عن حال الاسناد بل هذا هو الذي يغلب به الظن لانهم لو كشفوا عنه
فثبتت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك كما يقع منهم كثيرا التصريح بالصحة والحسن
فمن وجد الاصول التي يروون عنها ويعزون ما في تفاسيرهم اليها فلينظر في
اسانيدها موفقا ان شاء الله تعالى واعلم ان تفسير السيوطي المسمى بالدر المنثور قد
اشتمل على غالب ما في تفسيرات السلف من التفاسير المرفوعة الى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وتفاسير الصحابة ومن بعدهم وما فاته الا القليل النادر وقد اشتمل هذا
التفسير مني على جميع ما تدعو اليه الحاجة مما يتعلق بالتفسير مع اختصار لما تكرر
لفظا واتحد معنى بقولي ومثله او نحوه وضممت الى ذلك فوائد لم يشتمل عليها وجدتها
في غيره من تفاسير علماء الرواية او من الفوائد التي لاحت لي من تصحيح او تحسين او
تضعيف او تعقب او جمع او ترجيح ولم آل جهدا في حسن تحريره وتهذيبه وسعيا في
اطالة مرجه بالمفسر وترتيبه رغبة الى الدخول من ابوابه والكون من احزابه ونشاطا
الى القعود في محرابه ووطنت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفحول حقيقة
مقتصرا فيه على ارجح الاقوال واعراب ما يحتاج اليه عند السؤال وترك التطويل بذكر
اقوال غير مرضية وقصص لا تصح واعاريب تحملها كتب العربية وحيث ذكرت فيه شيئا
من القراآت فهو من السبع المشهورات الا ما شاء الله وقد اذكر بعض اقوال واعاريب
لقوة مداركها او لورودها وقد تلقيت التفسير بحمد الله من تفاسير عن ائمة ظهرت
وبهرت مفاخرهم وانتشرت واشتهرت مآثرهم جمعني الله واياهم والمسلمين في مستقر
رحمته من فراديس جنته فهذا التفسير وان كبر حجمه فقد كثر علمه وتوفر من التحقيق
قسمه واصاب غرض الحق سهمه مفيد لمن اقبل على تحصيله مفيض على من تمسك
بذيل تحقيقه وتذييله وقد اشتمل على جميع ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد مع

زوائد فرائد وقواعد شوارد ومن صحيح الدراية وصريح الرواية فان احببت ان تعتبر
صحة هذا فهذه كتب التفسير على ظهر البسيطة انظر تفاسير المعتمدين على الرواية ثم
ارجع الى تفاسير المعتمدين على الدراية ثم انظر في هذا التفسير بعد النظرين فعند ذلك
يسفر الصبح لذي عينين ويتبين لك ان هذا الكتاب هو لب اللباب وعجب العجاب
وذخيرة الطلاب ونهاية مارب الالباب واسوة المتبعين وقدوة الناسكين وهدى
للمتقين وقد سميته **فتح البيان في مقاصد القران** وهو اسم تاريخي له
مستمدا من الله سبحانه بلوغ الغاية والوصول بعد هذه البداية الى النهاية راجيا
منه جل جلاله ان يديم به الانتفاع ويجعله من الذخائر التي ليس لها انقطاع ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم **اعلم** ان الاحاديث في فضائل القران كثيرة جدا ولا يتم
لصاحب القران ما يطلبه من الاجر الموعود به في الاحاديث الصحيحة حتى يفهم معانيه
فان ذلك هو الثمرة من قراءته قال القرطبي ينبغي له ان يتعلم احكام القران فيفهم عن الله
مراده وما فرض عليه فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو فما اقبح لحامل القران ان يتلو
فرائضه واحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم معنى ما يتلوه فكيف يعمل بما لا يفهم
معناه وما اقبح به ان يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه فما مثل من هذه حالته الا
كمثل الحمار يحمل اسفارا وينبغي له ان يعرف المكي من المدني ليفرق بين ما خاطب الله
به عباده في اول الاسلام وما ندبهم اليه في اخر الاسلام وما فرض في اول الاسلام
وما زاد عليهم من الفرائض في اخره فالمدني هو الناسخ للمكي في اكثر القران انتهى
وقد جمعت في بيان ناسخ القران والحديث ومنسوخهما مؤلفا سميته افادة الشيوخ
بمقدار الناسخ والمنسوخ وهو بالفارسية فما وجدت فيهما الا خمس اية وعشرة حديث
منسوخا فمن شاء الاطلاع عليه فليرجع اليه واما ما جاء عن الصحابة والتابعين في
فضل التفسير عن علي انه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم وقال انه كان يعرف
تفسير قوله تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد وقال مجاهد احب
الخلق الى الله اعلمهم بما انزل الله وقال الشعبي رحل مسروق في تفسير اية الى البصرة

فقيل له ان الذي يفسرها رحل الى الشام فتجهز و رحل الى الشام حتى علم تفسيرها
وقال عكرمة في قوله سبحانه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله طلبت اسم
هذا الرجل اربع عشرة سنة حتى وجدته قال ابن عبد البر هو ضمرة بن حبيب
وقال ابن عباس مكثت سنتين اريد ان اسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعني الا مهابته فسألته فقال هي حفصة
وعايشة وقال اياس بن معاوية مثل الذين يقرؤن القران وهم لا يعلمون تفسيره
كمثل قوم جاءهم كتاب من عند مليكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة
ولا يدرون ما في الكتاب ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح
فقرؤا ما في الكتاب وللسلف رحمهم الله من هذا الجنس ما لا يأتي عليه الحصر وعن
عثمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القران وعلمه رواه
البخاري وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة
الكرام البررة والذي يقرأ القران ويتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران متفق عليه
وعن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع بهذا الكتاب
اقواما ويضع به اخرين رواه مسلم وعن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اقرؤا القران فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه رواه مسلم وعن عبد الله
بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران اقرأ وارتق ورتل
كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقرؤها رواه احمد والترمذي و
ابوداؤد والنسائي واخرج الدارمي والترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الذي ليس في جوفه شيء من القران كالبيت الخرب قال الترمذي
هذا حديث صحيح وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب
تبارك وتعالى من شغله القران عن ذكري ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه رواه الترمذي والدارمي
والبيهقي في شعب الايمان وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن ابن مسعود

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرء حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة
بعشر امثالها لا اقول الم حرف الف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي في
صحيحه والدارمي وعن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو
جعل القران في اهاب ثم القي في النار ما احترق رواه الدارمي وعن علي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرء القران فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله
الله الجنة وشفّعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار رواه احمد و
الترمذي واستغربه وابن ماجة والدارمي وفيه حفص بن سليمان يضعف في الحديث
وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا القران
فوالذي نفسي بيده لهو اشد تفصيا من الابل في عقلها متفق عليه وقد وردت احاديث
كثيرة في فضائل سور القران سورة فسورة وكذلك في الاعتصام بالكتاب والسنة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل القران على خمسة اوجه حلال وحرام ومحكم
ومتشابه وامثال فاحلوا الحلال وحرموا الحرام واعملوا بالمحكم وامنوا بالمتشابه واعتبروا
بالامثال اخرجه البغوي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القران
برايه فليتبوأ مقعده من النار رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المراء في القران كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع النبي صلى الله
عليه وسلم قوما يتدارؤن في القران فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله
بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله يصدّق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه
فقولوا وما جهلتم فكلوه الى عالمه رواه احمد وابن ماجة قال البغوي في تفسيره قد
جاء الوعيد في حق من قال في القران برايه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئا من غير
علم فاما التاويل وهو صرف الاية الى معنى يحتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف
للكتاب والسنة من طريق الاستنباط فقد رُخِص فيه لاهل العلم اما التفسير وهو الكلام
في اسباب نزول الاية وشانها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل وصل
التفسير من التفسرة وهي الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض كذلك

المفسر يكشف عن شان الاية وقصتها واشتقاق التاويل من الاول وهو الرجوع يقال اولته فآل اي صرفته فانصرف انتهى والفرق بينهما ان التفسير موقوف على النقل المسموع والتاويل موقوف على الفهم الصحيح وها انا اشرع الان بحمد الله في تحرير ما هو بصائر اولي النهي والتمييز في تفسير الكتاب العزيز وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤل

سورة الفاتحة

معناها اول ما من شانه ان يفتتح به ثم اطلقت على اول كل شيء كالكلام والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وسميت بذلك لان القران افتتح بها اذ هي اول ما يكتبه الكاتب من المصحف واول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز وان لم تكن اول ما نزل من القران وقد اشتهرت بهذا الاسم في ايام النبوة قيل انها مكية وهو قول اكثر العلماء وقيل مدنية وهو قول مجاهد وقيل انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة جمعا بين الروايات واسماء السور توقيفية وكذا ترتيب السور وكذا ترتيب الايات اي تتوقف على نقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وانما هذا على الراجح والسورة طائفة من القران لها اول واخر وترجمة باسم خاص بها بتوقيف والسورة قد يكون لها اسم واحد وقد يكون لها اسمان او اكثر واسماء السور في المصاحف لم يثبتها الصحابة في مصاحفهم وانما هو شيء ابتدعه الحجاج كما ابتدع اثبات الاعشار والاسباع وسميت هذه ام الكتاب لانه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلوة قال البخاري في اول التفسير قال ابن كثير وصح تسميتها بالسبع المثاني لانها تثنى في الصلوة فتقرأ في كل ركعة واخرج احمد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم هي ام القران وهي السبع المثاني وهي القران العظيم واخرج ابن جرير عنه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال هي ام القران وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني واخرج نحوه ابن مردويه والدارقطني من حديثه وقال كلهم ثقات ومن اسمائها كما حكاه في الكشاف سورة الكنز والوافية وسورة الحمد وسورة الصلوة وتسمى الكافية لانها تكفي عن سواها

في الصلوة ولا يكفي سواها عنها قاله عبد الله بن يحيى بن كثير واخرج الثعلبي عن الشعبي
ان رجلا اشتكى اليه وجع الخاصرة فقال عليك باساس القرآن واخرج البيهقي في
الشعب عن انس عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال ان الله اعطاني فيما منّ به عليّ فاتحة
الكتاب وقال هي كنز من كنوز عرشي واخرج اسحق بن راهويه في مسنده عن علي نحوه
مرفوعا وذكر القرطبي للفاتحة اثني عشر اسما وهي سبع آيات بلا خلاف كما حكاه ابن كثير
في تفسيره قال القرطبي اجمعت الامة على انها سبع آيات الا ما روي عن حسين الجعفي
انها ست وهو شاذ وعن عمرو بن عبيد انه جعل اياك نعبد اية فهي عنده ثمان وهو
شاذ انتهى وانما اختلفوا في البسملة كما سيأتي وقد اخرج عبد بن حميد ومحمد بن نصر في
كتاب الصلوة وابن الانباري في المصاحف عن محمد بن سيرين ان ابيّ بن كعب وعثمان
بن عفان كانا يكتبان فاتحة الكتاب والمعوذتين ولم يكتب ابن مسعود شيئا منهن واخرج
ابن حميد عن ابراهيم قال كان عبد الله بن مسعود لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف و
قال لو كتبتها لكتبت في اول كل شيء وقد ورد في فضل هذه السورة احاديث منها ما
اخرجه البخاري واحمد وابو داود والنسائي من حديث ابي سعيد بن المعلّا ان رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم قال له لاعلمنك اعظم سورة في القرآن قبل ان تخرج من المسجد
قال فاخذ بيدي فلما اراد ان يخرج من المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لاعلمنك اعظم
سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي
اوتيته واخرج احمد والنسائي والترمذي وصححه من حديث ابي بن كعب ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال له اتحب ان اعلمك سورة لم تنزل في التوراة ولا في الانجيل
ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ثم اخبره انها الفاتحة واخرج احمد في المسند من حديث
عبد الله بن جابر ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال الا اخبرك باخير سورة في
القرآن قلت بلى يا رسول الله قال اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها وفي سنده ابن
عقيل وقد احتج به كبار الائمة وبقية رجاله ثقات وابن جابر هذا هو العبدي كما قال
ابن الجوزي وقيل الانصاري البياضي كما قال ابن عساكر وفي الصحيحين وغيرهما من حديث

ابي سعيد ان النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لما اخبره بان رجلا رقى سليما بفاتحة الكتاب وما كان يدريه انها رقية الحديث واخرج مسلم والنسائي عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابشر بنورين قد اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اوتيته واخرج مسلم والنسائي والترمذي وصححه عن ابي هريرة من صلى صلوة لم يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج ثلثا غير تمام واخرج البزار في مسنده بسند ضعيف عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب و قل هو الله احد فقد امنت من كل شيء الا الموت واخرج سعيد بن منصور في سننه والبيهقي في شعب الايمان عن ابي سعيد الخدري قال إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب شفاء من كل سقم واخرج ابو الشيخ نحوه من حديثه وحديث ابي هريرة مرفوعا واخرج الدارمي والبيهقي في شعب الايمان بسند رجاله ثقات عن عبد الملك بن عمير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء واخرج احمد وابو داؤد والنسائي وابن السني في عمل اليوم والليلة وابن جرير والحاكم و صححه عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه انه اتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثم اقبل راجعا من عنده فمرّ على قوم وعندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال اهله اعندك ما تداوي به هذا فان صاحبكم قد جاء بخير قال فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلثة ايام في كل يوم مرتين غدوة وعشية اجمع بزاقي ثم اتفل فبرأ فاعطاني مائة شاة فاتيت النبي صلى الله عليه واله وسلم فذكرت ذلك له فقال كل فمن اكل برقية باطل فقد اكلت برقية حق وعن ابن عباس قال فاتحة الكتاب ثلثا القرآن واخرج الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ ام القرآن وقل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن واخرج عبد بن حميد في مسنده

بسند ضعيف عن ابن عباس يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن واخرج الحاكم وصححه ابو ذر الهروي في فضائله والبيهقي في الشعب عن انس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسير له فنزل فمشى رجل من اصحابه الى جنبه فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال الا اخبرك بافضل القرآن فتلى عليه الحمد لله رب العالمين واخرج ابونعيم والديلمي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتحة الكتاب تجزي ما لا يجزي شيء من القرآن ولو ان فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان وجعل القرآن في الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب على القرآن سبع مرات واخرج ابوعبيد في فضائله عن الحسن مرسلاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ فاتحة الكتاب فكانما قرأ التورية والانجيل والزبور والفرقان والاستعاذة قبل القراءة سنة عند الجمهور لقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واختلفوا في لفظها المختار ولا يأتي بكثير فائدة ومعنى اعوذ بالله التجي اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ والشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة او من شاط اذا هلك واحترق والاول اولى والشيطان اسم لكل عات من الجن والانس والرجيم من رجم بالوسوسة او مرجوم بالشهب عند استراق السمع او بالعذاب او مطرود عن الرحمة والاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء شاغل عن الله ومن لطايفها ان قول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بعجزه وضعفه وبقدرة الباري على دفع جميع المضرات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اختلف اهل العلم هل هي آية مستقلة في اول كل سورة كتبت في اولها او هي بعض آية من اول كل سورة او هي كذلك في الفاتحة فقط دون غيرها وانها ليست بآية في الجميع وانما كتبت للفصل والاقوال وادلتها مبسوطة في موضع الكلام على ذلك وقد اتفقوا على انها بعض آية في سورة النمل وقد جزم قراء مكة والكوفة بانها آية من الفاتحة ومن كل سورة وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها فلم يجعلوها آية لا من الفاتحة ولا من غيرها من السور قالوا وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها

وبالاول قال الشافعيّ وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك واحمد في احد قوليه واسحق وعلي بن ابي طالب والزهري ومحمد بن كعب والثوري وبالثاني قال الاوزاعي ومالك وابوحنيفة واصحابه وقد اثبتها السلف في المصحف مع الامر بتجريد القرآن عما ليس منه وقد اخرج ابوداؤد باسناد صحيح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لايعرف فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتي ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم واخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين واخرج ابن خزيمة في صحيحه عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلوة وعدّها اية وفي اسناده عمر بن هارون البلخي وفيه ضعف وروى نحوه الدارقطني مرفوعاً عن ابي هريرة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات وروى موقوفاً واخرج مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انزلت عليّ انفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي احسن ما احتج به اصحابنا في ان البسملة من القرآن وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عزوجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها البسملة على راس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلثة عشر اية ليست من القرآن وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعدّ البسملة اية من الفاتحة ويقول انتزع الشيطان منهم خير اية في القرآن رواه الشافعي ولما كان المقام مقام تعليم والكلام صادر عن حضرة الرب تعالى حسن ان يقدر متعلق الجار هنا قولوا اي قولوا بسم الله الرحمن الرحيم وكما وقع الخلاف في اثباتها وقع الخلاف في الجهر بها في الصلوة وقد اخرج النسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم في المستدرك عن ابي هريرة انه صلى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد ان فرغ اني لاشبهكم صلوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم

وروى ابو داود والترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يفتتح الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم قال الترمذي وليس إسناده بذاك وقد اخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح واخرج البخاري في صحيحه عن انس انه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كانت قراءته مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم واخرج احمد في المسند وابو داود في السنن وابن خزيمة في صحيحه والحاكم في مستدركه عن ام سلمة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين وقال الدارقطني اسنادُهٗ صحيح وبهذا قال من الصحابة ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاؤس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم ومكحول وغيرهم واليه ذهب الشافعي واحتج من قال انه لا يجهر بالبسملة في الصلوة بما في صحيح مسلم عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتتح الصلوة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وفي الصحيحين عن انس قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ولمسلم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول القراءة ولا في آخرها واخرج اهل السنن نحوه عن عبد الله بن مغفل والى هذا ذهب الخلفاء الاربعة وجماعة من الصحابة كابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين الحسن والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم واحاديث الترك وان كانت اصح ولكن الاثبات ارجح مع كونه خارجا من مخرج صحيح فالاخذ به اولى ولاسيّما مع امكان تأويل الترك وهذا يقتضي الاثبات الذاتي اعني كونها قرآنا والوصفي اعني الجهر بها عند الجهر بقراءة ما يفتتح بها من السور في الصلوة والحاصل ان البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور

وحكمها من الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة فى الصلوة الجهرية و
يسر بها مع الفاتحة فى الصلوة السرية وبهذا يحصل الجمع بين الروايات ولتنقيح البحث
والكلام على اطرافه استدلالا وردا وتعقبا ودفعا ورواية ودراية موضع غير هذا
ومتعلق الباء محذوف وهو اقرأ ويظهر رجحان تقدير الفعل متأخرا في مثل
هذا المقام ولا يعارضه قوله تعالى اقرأ باسم ربك لان المقام مقام القراءة فكان الامر
بها اهم واما الخلاف بين ائمة النحو في كون المقدر اسما او فعلا فلا يتعلق بذلك
كثير فائدة والباء للاستعانة او للمصاحبة ورجح الثاني الزمخشري والاسم هو اللفظ
الدال على المسمى ومن زعم ان الاسم هو المسمى كما قاله ابو عبيدة وسيبويه والباقلاني
وابن الفورك وحكاه الرازي عن الحشوية والكرامية والاشعرية فقد غلط غلطا بينا
وجاء بما لا يعقل مع عدم ورود ما يوجب المخالفة للعقل لا من الكتاب ولا من السنة
ولا من لغة العرب بل العلم الضروري حاصل بان الاسم الذي هو اصوات منقطعة و
حروف مؤلفة غير المسمى الذي هو مدلوله والبحث مبسوط في علم الكلام وثبت
في الصحيحين من حديث ابي هريرة ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة
وقال الله عز وجل ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والله علم خاص لذات الواجب الوجود تفرد به
الباري سبحانه لم يطلق على غيره ولا يشركه فيه احد والرحمن من الصفات الغالبة لم
يستعمل في غير الله عز وجل قال ابو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع انواع الرحمة يختص
به الله تعالى والرحيم انما هو في جهة المؤمنين قال تعالى وكان بالمؤمنين رحيما وعن
ابن عباس قال هما اسمان احدهما ارق من الآخر وقيل معناهما واحد والرحمة جمع بينهما
للتاكيد وقيل غير ذلك والاول اولى وفى الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم والرحمة
ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء الخير
والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقد ورد
في فضلها احاديث ينبغي البحث عن اسانيدها والكلام عليها وقد شرعت التسمية

في مواطن كثيرة قد بيّنها الشارع منها عند الوضوء وعند الذبيحة وعند الاكل
وعند الجماع وغير ذلك الْحَمْدُ لِلَّهِ وهو الثناء باللسان على الجميل الاختياري وبهذا
فارق المدح وقال الزمخشري انهما اخوان والحمد اخص من الشكر موردا واعم منه
متعلقا وتعريفه لاستغراق افراد الحمد وانها مختصة بالرب سبحانه على معنى ان حمد
غيره لا اعتداد به لان المنعم هو الله عز وجل او على ان حمده هو الفرد الكامل فيكون
الحصر ادعائيا ورجح الزمخشري ان التعريف هنا هو تعريف الجنس لا الاستغراق و
الصواب ما ذكرناه وقد جاء في الحديث اللهم لك الحمد كله قال ابن جرير الحمد ثناء
اثنى به على نفسه وفي ضمنه امر عباده ان يثنوا عليه فكانه قال قولوا الحمد لله ثم رجح
اتحاد الحمد والشكر مستدلا على ذلك بما حاصله ان جميع اهل المعرفة بلسان العرب
يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الاخر قال ابن كثير وفيه نظر لانه اشتهر عند
كثير من العلماء المتاخرين ان الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة
والمتعدية والشكر لا يكون الا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والاركان انتهى
ولا يخفى ان المرجع في مثل هذا الى معنى الحمد في لغة العرب لا الى ما قاله جماعة من العلماء
المتاخرين فان ذلك لا يرد على ابن جرير ولا تقوم به الحجة هذا اذا لم يثبت للحمد حقيقة
شرعية فان ثبتت وجب تقديمها روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس انه قال الحمد لله
كلمة الشكر واذا قال العبد الحمد لله قال الله شكرني عبدي وروى ابن جرير
عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا قلت
الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك واخرج عبد الرزاق في المصنف و
الحكيم الترمذي في نوادر الاصول والخطابي في الغريب والبيهقي في الادب والديلمي
في مسند الفردوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم انه قال الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده واخرج الطبراني في
الاوسط بسند ضعيف عن النواس بن سمعان قال سرقت ناقة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقال لئن ردها الله علي لاشكرن ربي فرجعت فلما راها قال الحمد

لله فانظروا اهل يجدث عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم صوموا وصلوا
فظنوا انه نبي فقالوا يا رسول الله كنت قد قلت لئن ردها الله علي لاشكرن ربي
قال لم اقل الحمد لله وقد ورد في فضل الحمد احاديث منها ما اخرجه احمد والنسائي
والحاكم وصححه والبخاري في الادب المفرد عن الاسود بن سريع قال قلت يا رسول
الله الا انشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى فقال اما ان ربك يحب الحمد
واخرج الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة وابن حبان والبيهقي عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء
الحمد لله واخرج البيهقي في شعب الايمان عن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من عبد ينعم عليه بنعمة الا كان الحمد افضل منها واخرج مسلم
والنسائي واحمد عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان واخرج البيهقي عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما شيء احب الى الله من الحمد وفي الباب احاديث
واخرج اهل السنن وابن حبان والبيهقي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو اقطع واخرج مسلم عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد ان يأكل
الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ قال في الصحاح
الرب اسم من اسماء الله تعالى ولا يقال في غيره الا بالاضافة وقد قالوه في الجاهلية للملك
وقال الزمخشري الرب المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء اي مالكه قال القرطبي
والرب السيد ومنه قوله تعالى اذكرني عند ربك وفي الحديث ان تلد الامة ربها
والرب المصلح والمدبر والمربي والجابر والقائم قال والرب المعبود والعالمين جمع عالم لا واحد
له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى قاله قتادة فيدخل فيه جميع الخلق
وقيل اهل كل زمان عالم قاله الحسين بن مفضل وقال ابن عباس العالمون هم الجن و
الانس وقال الفراء وابو عبيد العالم عبارة عما يعقل وهم اربعة امم الانس والجن والملائكة

والشياطين ولا يقال للبهائم عالم لان هذا الجمع انما هو جمع ما يعقل حكي هذه الاقوال القرطبي في تفسيره وذكر ادلتها وقال ان القول الاول اصح هذه الاقوال لانه شامل لكل مخلوق موجود دليله قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما قال الزجاج العالم كلما خلقه الله تعالى في الدنيا والاخرة انتهى وعلى هذا يكون جمعه على هذه الصيغة المختصة بالعقلاء تغليباً للعقلاء على غيرهم واختلف في مبلغ عددهم على اقوال لم يصح شئ منها والحق ما قاله سبحانه وما يعلم جنود ربك الا هو وعن ابن عباس في الاية قال الاله الخلق كله السموت كلهن ومن فيهن والارضين كلهن ومن فيهن ومن بينهن مما يعلم ولا يعلم ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة والرحمن اشد مبالغة من الرحيم وفي كلام ابن جرير ما يفهم حكاية الاتفاق على هذا ولذلك قالوا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وقد تقرر ان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وقال ابن الانباري والزجاج ان الرحمن عبراني والرحيم عربي وخالفهما غيرهما قال القرطبي وصف نفسه بهما لانه لما كان باتصافه برب العالمين ترهيب قرنه بالرحمن الرحيم لما تضمن من الترغيب ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة اليه فيكون اعون على طاعته وامنع وقيل فائدة تكريره هنا بعد الذكر في البسملة ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه ﴿مٰلِكِ﴾ قد اختلف العلماء ايما ابلغ ملك او مالك فذهب الى الاول ابو عبيد والمبرد ورجحه الزمخشري والى الثاني ابو حاتم والقاضي ابو بكر بن العربي والحق ان لكل واحد من الوصفين نوع اخصية لا يوجد في الاخر فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوه والملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة الى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فاحدهما اقوى من الاخر في بعض الامور والفرق بين الوصفين بالنسبة الى الرب سبحانه ان

الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله وقد اخرج الترمذي عن ام سلمة ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ملك بغير الف واخرج نحوه ابن الانباري
عن انس واخرج احمد والترمذي عن انس ايضاً ان النبي صلى الله عليه وسلم وابابكر
وعمر وعثمان كانوا يقرؤن مالك بالالف واخرج نحوه سعيد بن منصور عن ابن عمر
مرفوعاً واخرج نحوه ايضاً وكيع في تفسيره وعبد بن حميد وابو داؤد عن الزهري
يرفعه مرسلاً واخرجه ايضاً عبد الرزاق في تفسيره وعبد بن حميد وابو داود عن
ابن المسيب مرفوعاً مرسلاً وقد روي هذا من طرق كثيرة فهو الراجح من الاول
يَوْمِ الدِّيْنِ اليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها وفي الشرع عما بين
طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد هنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيراً كان او
شراً ويوم الدين يوم الجزاء من الرب لعباده يقال كما تدين تدان اي كما تفعل تجازى
ويدل له قوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر
يومئذ لله والاضافة هذه على طريق الاتساع اي مالك الامر كله في يوم الجزاء للعباد
لان الامر فيه لله وحده وقيل في معنى الدين غير ذلك والاولى ما ذكرناه وهذه الاوصاف
التي اجريت على الله من كونه رباً للعالمين ومنعماً بالنعم كلها ومالكاً للامر كله
يوم الجزاء بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت
هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه وعن ابن مسعود وناس من
الصحابة انهم فسروا يوم الدين بيوم الحساب وقال قتادة يوم يدين الله العباد
باعمالهم إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ اي نخصك بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين
لك ومنك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا واياً عند سيبويه اسم مضمر والكاف
حرف خطاب ولا محل له من الاعراب وعند الخليل اسم مضمر اضيف اياً اليه لانه يشبه
المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل وقال الكوفيون اياك بكمالها اسم وتقديم المفعول
على الفعل لقصد الاختصاص والحصر وقيل للاهتمام والصواب انه لهما ولا تزاحم
بين المقتضيات والعبادة اقصى غايات الخضوع والتذلل وسمي العبد عبداً لذلته

وانقياده ولا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى قال ابن كثير وفي الشرع عبارة
عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف وعدل عن الغيبة الى الخطاب لقصد الالتفات
وتلوين النظم من باب الى باب وقد يكون من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى
التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي
ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام
اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب آخر كان ادخل في القبول عند السامع واحسن
تطرية لنشاطه واملأ لاستلذاذ اصغائه واكثر ايقاظاً له كما تقرر في علم
المعاني وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح الا للحذاق المهرة وقليل ما هم
ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء واجري عليه ثلاث
الصفات تعلق العلم بمعلوم علي الذات سمي الصفات حري بالثناء وغاية التذلل و
الاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الاوصاف فقيل اياك
يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غير ذلك والمجي بالنون في الفعلين لقصد
الاخبار من الداعي عن نفسه وعن جنسه من العباد وفيه اشعار على التزام الجماعة
وقدمت العبادة على الاستعانة لكون الاولى وسيلة الى الثانية وتقديم الوسائل
سبب لتحصيل المطالب واطلاق الاستعانة لقصد التعميم لتتناول كل مستعان
فيه واخرج مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله قسمت
الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل
فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن
الرحيم قال اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وربما
قال فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين
عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الخ قال هذا لعبدي
ولعبدي ما سأل وعن ابي طلحة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في غزاة نلقى العدو فسمعته يقول يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين قال

فلقد رأيت الرجال تصرع فتضرب بها الملائكة من بين يديها ومن خلفها
اخرجه ابو نعيم البغوي والباوردي معاً في معرفة الصحابة والطبراني في الاوسط
وابو نعيم في الدلائل اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ اي ارشدنا وقيل ثبتنا على المنهاج
الواضح او اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهذا الدعاء من المؤمنين
مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف
والهدايات من الله تعالى لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة والهداية قد
يتعدى فعلها بنفسه كما هنا وكقوله وهديناه النجدين وقد يتعدى بالى كقوله
اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وانك لتهدي
الى صراط مستقيم وقد يتعدى باللام كقوله هدانا لهذا وقوله يهدي للتي هي
اقوم قال الزمخشري اصله ان يتعدى باللام او بالى انتهى وهي الارشاد والتوفيق
او الالهام او الدلالة بلطف وفرق كثير من المتاخرين بين المتعدي بنفسه
وغير المتعدي فقالوا معنى الاول الدلالة والثاني الايصال وطلب الهداية من
المهتدي معناه طلب الزيادة قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والصراط بالصاد الخالصة لغة قريش وهي الجادة
والسين قراءة ابن كثير في كل القران ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به
طريق الحق وهو ملة الاسلام قال اجمعت الامة من اهل التاويل جميعا على ان
الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وهو كذلك في لغة
جميع العرب وعن ابن عباس انه قال يقول الهمنا دينك الحق وعن جابر بن عبد الله
انه قال هو دين الاسلام وهو اوسع مما بين السماء والارض وعن النواس بن سمعان
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى
جنبتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب
الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تفرقوا وداع يدعو
من فوق الصراط فاذا اراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك

لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم قال ابن كثير هو اسناد حسن صحيح وعن ابن مسعود هو كتاب الله وعن ابي العالية هو رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وصاحباه من بعده وعن الفضيل بن عياض انه طريق الحج قال وهذا الخاص والعموم اولى انتهى وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة والاول اولى صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ وهم المذكورون في سورة النساء حيث قال ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا واطلق الانعام ليشمل كل انعام وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه واله وسلم واهل بيته والاول اولى غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في اللغة قال القرطبي الشدة وفي صفة الله ارادة العقوبة فهو صفة ذاته او نفس العقوبة ومنه الحديث ان الصدقة لتطفي غضب الرب فهو صفة فعله وغضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين وانما يلحق الكافرين وَلَا الضَّالِّينَ اي وغير الضالين عن الهدى واصل الضلال الغيبوبة والهلاك وقال القرطبي الضلال في لسان العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق انتهى والمغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى قاله ربيع بن انس ومجاهد وسعيد بن جبير ورواه ابو الشيخ عن عبد الله بن شقيق مرفوعا وابن مردويه عن ابي ذر مثله مرفوعا واخرج احمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان المغضوب عليهم هم اليهود وان الضالين النصارى وعن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه الترمذي وقيل المغضوب عليهم بالمبدعة والضالين عن السنة وقيل اللفظ يعم الكفار والعصاة والمبتدعة

... له في ال... ... غضب الله عليه وقال ماذا بعد الحق الا الضلال وقال
والذين ... يحسبون في الحيوة الدنيا وقيل غير ذلك والمصير الى هذا التفسير
النبوي ... متعين، هو الذي اطبق عليه ائمة التفسير من السلف قال ابن ابي حاتم
لا اعلم خلافا بين المفسرين في هذا التفسير ويشهد له ايات من القران قال تعالى
فباؤا بغضب على غضب وفي المائدة من لعنه الله وغضب عليه وقال تعالى واتبعوا ا
هواء قوم قد ضلوا من قبل **واعلم** ان السنة الصحيحة الصريحة الثابتة تواترا
قد دلت على مشروعية التامين بعد قراءة الفاتحة فمن ذلك ما اخرجه احمد
وابو داؤد والترمذي عن وائل بن حجر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقال امين مد بها صوته ولابي داؤد
رفع بها صوته وقد حسنه الترمذي واخرجه ايضا النسائي وابن ابي شيبة وابن ماجة
والحاكم وصححه وفي لفظ من حديثه انه صلى الله عليه وسلم قال رب اغفر لي امين
اخرجه الطبراني واخرج مسلم وابو داؤد والنسائي وابن ماجة عن ابي موسى
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا قرأ يعني الامام غير المغضوب
عليهم ولا الضالين فقولوا امين يجبكم الله واخرج البخاري ومسلم واهل السنن
واحمد وابن ابي شيبة وغيرهم ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال اذا
امن الامام فامنوا فان من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه
قيل هم الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة ويعني الذنوب الصغائر دون
الكبائر وفي الباب احاديث بين صحيح منها وضعيف ومعنى امين اللهم اسمع واستجب
لنا عند اكثر اهل العلم قاله القرطبي وفي الصحاح معناه كذلك فليكن وبه قال
ابن عباس وعنه قال قلت يا رسول الله ما معنى امين قال رب افعل اخرجه جويبر
في تفسيره وعن هلال بن يساف ومجاهد قالا امين اسم من اسماء الله وقال الترمذي معناه
لا تخيب رجاءنا وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآفات والاول اولى قيل
وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وفيه لغتان المد على وزن ياسين

والقصر على وزن يمين قال الجوهري وتشديد الميم خطاء وهو مبني على الفتح مثل اين وكيف لاجتماع الساكنين ويقول منه أمّن فلان تامينا وقد اختلف اهل العلم في الجهر بها وفي ان الامام يقولها ام لا وذلك مبين في مواطنه وكذلك اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة فذهب جمهور العلماء منهم مالك والشافعي واحمد الى وجوبها وانها متعينة في الصلوة لاتجزي الا بها لقوله صلى الله عليه واله وسلم لاصلوة لمن لم يقرء فيها بفاتحة الكتاب اخرجه الشيخان عن عبادة بن الصامت وذهب ابو حنيفة الى انها لاتتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة اية من القرآن طويلة او ثلاث ايات قصار لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه والاول ارجح ويدل عليه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لاتجزئ صلوة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح والكلام في هذا يطول وقد اوضحنا المقام في مسك الختام شرح بلوغ المرام وبينه الشوكاني في نيل الاوطار شرح منتقى الاخبار

سُورَةُ البَقَرَةِ

قال القرطبي مدنية نزلت في مُدَدٍ شتّى وقيل هي اول سورة نزلت بالمدينة الا قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها اخر اية نزلت من السماء ونزلت يوم النحر في يوم حجة الوداع بمنى قاله ابن عباس وايات الربوا ايضا من اواخر ما نزل من القرآن وقد ورد في فضلها احاديث في الصحاح والسنن وغيرها وقد درى ائمة الحديث في فضائلها احاديث كثيرة واثارا عن الصحابة واسعة ومن فضائلها ما هو خاص باية الكرسي وما هو خاص بخواتيم هذه السورة وما هو في فضلها وفضل ال عمران وما هو في فضل السبع الطُوَل وهي مأتان وست وقيل سبع وثمانون اية قال ابن العربي فيها الف امر والف نهي والف حكم والف خبر أخذُهَا بركة وتركها حسرة لاتستطيعها البطلة وهم السحرة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الم قال القرطبي اختلف اهل التأويل في الحروف التي في اوائل السور فقال الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين هي سر الله في القرآن ولله في كل كتاب من كتبه سر فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا نحب ان نتكلم فيها ولكن نؤمن بها ونمر كما جاءت وروي هذا القول عن ابي بكر الصديق وعلي بن ابي طالب قال وذكر ابو الليث السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود انهم قالوا الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وقائدة ذكرها طلب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها فهي مما استأثر الله بعلمه وقال ابو حاتم لم نجد الحروف في القرآن الا في اوائل السور ولا ندري ما اراد الله عز وجل وقال جمع من العلماء كثير بل نحب ان نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تخرج عليها واختلفوا في ذلك على اقوال عديدة فروي عن ابن عباس وعلي ايضا ان الحروف المقطعة من القرآن اسم الله الاعظم الا انا لا نعرف تاليفه منها وقال قطرب والمبرد والفراء وغيرهم واختاره جمع عظيم من المحققين هي اشارة الى حروف الهجا اعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن انه مؤتلف من حروف هي التي بني كلامهم عليها ليكون عجزهم عنه ابلغ في الحجة عليهم اذ لم يخرج عن كلامهم قال قطرب كانوا ينفرون عند استماع القرآن فلما نزل الم المص استنكروا هذا اللفظ فلما انصتوا له صلى الله عليه وآله وسلم اقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته في اسماعهم واذانهم ويقيم الحجة عليهم وقال جماعة هي حروف دالة على اسماء اخذت منها وحذفت بقيتها كقول ابن عباس وغيره الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وذهب الى هذا الزجاج فقال اذهب الى ان كل حرف منها يؤدي عن معنى وقد تكلمت العرب بحروف مقطعة كقوله فقلت لها قفي فقالت قاف اي وقفت وفي الحديث من اعان على قتل مسلم بشطر كلمة قال شقيق هو ان يقول في اقتل اق كما قال صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالسيف شا اي شافيا قال زيد بن اسلم هي اسماء للسور وقال الكلبي هي اقسام اقسم الله بها لشرفها وفضلها

وهي من اسمائه وقيل ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب مستوية فيها بخلاف النطق
باساميها وهو خاص من خط وقرأ والنبي صلى الله عليه وآله وسلم امى فاتى بها لكن لك
زيادة في الاعجاز وقيل غير ذلك مما لا ياتي عليه الحصر وقد ذكر شطرا منها الرازي
في تفسيره ومن ادق ما ابرزه المتكلمون في معاني هذه الحروف ما ذكره الزمخشري في
الكشاف حيث قال انك اذا تاملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء
وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد
والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في
تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها
مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد
والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء و
العين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف و
الطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين
والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون
ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام
والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون
ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت
الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكسورة بالمذكورة منها
فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله
وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب
الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة
اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم
ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين

وهي فواتح سورة البقرة وال عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر انتهى وتبعه في ذلك جماعة من اهل التفسير منهم الخازن والنسفي والبيضاوي والخطيب وابو السعود وغيرهم **اقول** هذا التدقيق لا ياتي بفائدة يعتد بها وبيانه انه اذا كان المراد منه الزام الحجة والتبكيت كما قال فهذا متيسر بان يقال لهم هذا القران هو من الحروف التي تتكلمون بها ليس من حروف مغايرة لها فيكون هذا تبكيتا والزاما يفهمه كل سامع منهم من دون الغاز وتعمية وتفريق لهذه الحروف في فواتح تسع وعشرين سورة فان هذا مع ما فيه من التطويل الذي لا يستوفيه سامعه الا باسماع جميع هذه الفواتح هو ايضا مما لا يفهمه احد من السامعين فضلا ان يكون تبكيتا له والزاما للحجة اياه فان ذلك هو امر وراء الفهم مترتب عليه ولم يفهم السامع هذا ولا ذكر اهل العلم عن فرد من افراد الجاهلية الذين وقع التحدي لهم بالقران انه بلغ فهمه الى بعض هذا فضلا عن كله ثم كون هذه الحروف مشتملة على النصف من جميع الحروف التي تركبت لغة العرب منها وذلك النصف مشتملا على انصاف تلك الانواع من الحروف المتصفة بتلك الاوصاف هو امر لا تتعلق به فائدة لجاهلي ولا اسلامي ولا مقر ولا منكر ولا مسلم ولا معارض ولا تصلح ان يكون مقصدا من مقاصد الرب سبحانه الذي انزل كتابه للارشاد الى شرائعه والهداية به وهب ان هذه صناعة عجيبة ونكتة غريبة فليس ذلك مما يتصف بفصاحة ولا بلاغة حتى يكون مفيدا انه كلام بليغ او فصيح وذلك لان هذه الحروف الواقعة في الفواتح ليست من جنس كلام العرب حتى تتصف بهذين الوصفين وغاية ما هنالك انها من جنس حروف كلامهم ولا مدخل لذلك فيما ذكر وايضا لو فرض انها كلمات متركبة بتقدير شيء قبلها او بعدها لم يصح وصفها بذلك لانها تعمية غير مفهومة للسامع الا بان ياتي من يريد بيانها بمثل ما ياتي به من اراد بيان الالغاز والتعمية وليس ذلك من الفصاحة والبلاغة في ورد ولا صدر بل من عكسهما وضد رسمهما واذا عرفت

هذا فاعلم ان من تكلم في بيان معاني هذه الحروف جازماً بان ذلك هو ما اراد الله عز وجل فقد غلط اقبح الغلط وركب في فهمه ودعواه اعظم الشطط فانه ان كان تفسيرها به راجعاً الى لغة العرب وعلومها فهو كذب بحت فان العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك واذا سمعه السامع منهم كان معدوداً عنده من الرطانة ولا ينافي ذلك انهم قد يقتصرون على حرف او حروف من الكلمة التي يريدون النطق بها فانهم لم يفعلوا ذلك الا بعد ان تقدمه ما يدل عليه ويفيد معناه بحيث لا يلتبس على سامعه كمثل ما تقدم ذكره ومن هذا القبيل ما يقع منهم من الترخيم واين هذه الفواتح الواقعة في اوائل السور من هذا واذا تقرر لك انه لا يمكن استفادة ما ادعوه من لغة العرب وعلومها لم يبق حينئذ الا احد امرين الاول التفسير بمحض الراي الذي ورد النهي عنه والوعيد عليه واهل العلم احق الناس بتجنبه والصد عنه والتنكب عن طريقه وهم اتقى لله سبحانه من ان يجعلوا كتاب الله سبحانه ملعبة لهم يتلاعبون به ويضعون حماقات انظارهم وخزعبيلات افكارهم عليه الثاني التفسير بتوقيف عن صاحب الشرع وهذا هو المهيع الواضح والسبيل القويم بل الجادة التي ما سواها مردوم والطريقة العامرة التي ما عداها معدوم فمن وجد شيئاً من هذا فغير ملوم ان يقول بملأ فيه ويتكلم بما وصل اليه علمه ومن لم يبلغه شيء من ذلك فليقل لا ادري او الله اعلم بمراده فقد ثبت النهي عن طلب فهم المتشابه ومحاولة الوقوف على علمه مع كونه الفاظاً عربية وتراكيب مفهومة وقد جعل الله تتبع ذلك صنيع الذين في قلوبهم زيغ فكيف بما نحن بصدده فانه ينبغي ان يقال فيه انه متشابه على فرض ان للفهم اليه سبيلاً ولكلام العرب فيه مدخلاً فكيف وهو خارج عن ذلك على كل تقدير وانظر كيف فهم اليهود عند سماع الۤمۤ فانهم لما لم يجدوها على نمط لغة العرب فهموا ان الحروف المذكورة رمز الى ما يصطلحون عليه من العدد الذي يجعلونه لها كما اخرج ابن اسحق والبخاري في تاريخه وابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله

قال مرّ ابو ياسر بن اخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و
هو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك الكتاب لا ريبَ فيه فاتى اخاه حُيَيّ بن اخطب
في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما انزل عليه الم
ذلك الكتاب فقال انتَ سمعته فقال نعم فمشى حُيَيّ في اولئك النفر الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد الم يذكر انك تتلو فيما انزل عليك الم ذلك الكتاب
قال بلى قال اجاءك بهذا جبريل من عند الله قال نعم قالوا لقد بعث الله قبلك الانبياء
ما نعلمه بيّن النبيّ منهم ما مُدّةُ ملكه وما اجل امته غيرك فقال حُيَيّ بن اخطب و
اقبل على من كان معه الالف واحدة واللام ثلثون والميم اربعون فهذه احدى وسبعون
سنة افتدخلون في دين نبي انما مدة ملكه واجل امته احدى وسبعون سنة ثمّ
اقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد هَلْ مَعَ هذا غيره قال نعم
قال وما ذاك قال المص قال هذا اثقل واطول الالف واحدة واللام ثلثون والميم
اربعون والصاد تسعون فهذه احدى وستون ومأة سنة هل مع هذا يا محمد غيره
قال نعم قال وما ذاك قال الر قال هذه اثقل واطول الالف واحدة واللام ثلثون والراء
مأتان هذه احدي وثلثون سنة ومأتان فهل مع هذا غيره قال نعم المر قال فهذه
اثقل واطول الالف واحدة واللام ثلثون والميم اربعون والراء مأتان ثم قال لقد
لبس علينا امرك يا محمد حتى ما ندري اقليلا اُعطيتَ ام كثيرا ثم قاموا فقال ابو ياسر
لاخيه حُيَيّ ومن معه من الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله احدى وسبعون و
احدى وستون ومأة واحدى وثلثون ومأتان واحدى وسبعون ومأتان
فذلك سبعمأة واربع وثلثون سنة فقالوا لقد تشابه علينا امره فيزعمون ان هذه
الايات نزلت فيهم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات هن ام الكتب
واخر متشابهات فانظر ما بلغت اليه افهامهم من هذا الامر المختص بهم من عدد
الحروف مع كونه ليس من لغة العرب في شيء وتامل اي موضع احق بالبيان من رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هذا الموضع فان هؤلاء الملاعين قد جعلوا ما فهموه عنه

سماع المريد الكتاب من ذلك العدد موجباً للتثبيط عن الاجابة له والدخول
في شريعته فلو كان لذلك معنى يعقل ومدلول يفهم لدفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ظنوه بادي بدء حتى لا يتأثر عنه ما جاؤا به من التشكيك على من معهم فان
قلت هل ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الفواتح شيء يصلح للتمسك
به قلتُ لا اعلم ان رسول الله صلعم تكلم في شي من معانيها بل غاية ما ثبت عنه هو مجرد
عدد حروفها فاخرج البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم وصححه عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلعم من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها لا
اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف وله طرق عن ابن مسعود واخرج
ابن ابي شيبة والبزار بسند ضعيف عن عوف بن مالك الاشجعي نحوه مرفوعاً فان قلت
هل روي عن الصحابة شيء من ذلك باسناد متصل بقائله ام ليس الا ما تقدم من حكاية
القرطبي عن ابن عباس وعلي قلتُ روي عن ابن مسعود انه قال الم حرف اشتقت
من حروف اسم الله وعنه قال هي اسم الله الاعظم وعن ابن عباس في قوله الم وحم ون
قال اسم مقطع وعنه في فواتح السور قال هو قسم اقسمه الله وهو من اسماء الله وعن
الربيع بن انس قال الف مفتاح اسمه الله ولام مفتاح اسمه لطيف وميم مفتاح اسمه
مجيد وقد يروى نحو هذه التفاسير عن جماعة من التابعين فيهم عكرمة والشعبي و
السدي وقتادة ومجاهد والحسن فان قلت هل يجوز الاقتداء باحد من الصحابة
قال في تفسير شيء من هذه الفواتح قولاً صح اسناده اليه قلتُ لا لما قدمنا الا ان يعلم
انه قال ذلك عن علم اخذه عن رسول الله صلعم فان قلتَ هل هذا مما لا مجال للاجتهاد فيه و
لا مدخل للغة العرب فلِمَ لا يكون له حكم الرفع قلتُ تنزيل هذا منزلة المرفوع وان قال
به طائفة من اهل الاصول وغيرهم فليس مما ينشرح له صدور المنصفين ولا سيما
اذا كان في مثل هذا المقام وهو التفسير لكلام الله سبحانه فانه دخول في اعظم الخطر
مما لا برهان عليه صحيح الا مجرد قولهم انه يبعد من الصحابي كل البعد ان يقول بمحض
رأيه فيما لا مجال فيه للاجتهاد وليس مجرد هذا الاستبعاد مسوغاً للوقوع في خطر الوعيد

الشديد على انه يمكن ان يذهب بعض الصحابة الى تفسير بعض المتشابه كما تجده كثيرا في تفاسيرهم المنقولة عنهم ونجعل هذه الفواتح من جملة المتشابه ثم ههنا مانع اخر وهو ان المروي عن الصحابة في هذا مختلف متناقض فان عملنا بما قاله احدهم دون الاخر كان تحكما لا وجه له وان عملنا بالجميع كان عملا بما هو مختلف فيه فيتناقض ولا يجوز ثم ههنا مانع غير هذا المانع وهو انه لو كان شيء مما قالوه ماخوذا عن النبي صلعم لا تفقوا عليه ولم يختلفوا كسائر ما هو ماخوذ عنه فلما اختلفوا في هذا علمنا انه لم يكن موجودا عن النبي صلعم ثم لو كان عندهم شيء عن النبي صلعم في هذا لما تركوا حكايته عنه ورفعه اليه لا سيما عند اختلافهم واضطراب اقوالهم في مثل هذا الكلام الذي لا مجال للغة العرب فيه ولا مدخل لها ولا يقال قد اختلفوا في غيره من الاحكام فيلزم عدم الاخذ به لانا نقول اختلافهم في ذلك من قبيل الاخذ بالاخص او الاعم او المتقدم او المتاخر وفي كثير مما اختلفوا فيه ان علموا بالنص تركوا ذلك بخلاف ما هنا والله تعالى اعلم والذي اراه لنفسي ولكل من احب السلامة واقتدى بسلف الائمة ان لا يتكلم بشيء من ذلك مع الاعتراف بان في انزالها حكمة لله عز وجل لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي اليها افهامنا واذا انتهيت الى السلامة في مداك فلا تجاوز وسياتي لنا عند تفسير قوله تعالى ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات كلام طويل الذيل وتحقيق تقبله صحيحات الافهام وسليمات العقول ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ اي القران وقيل فيه اضمار اي هذا الكتاب الذي وعدتك به او وعدت به على لسان موسى وعيسى ان انزله عليك قال ابن عباس في الاية يعني هذا الكتاب وبه قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي ومقاتل وزيد بن اسلم وابن جريج وحكاه البخاري عن ابي عبيدة والاشارة الى الكتاب المذكور بعده والعرب قد تستعمل الاشارة الى البعيد الغائب مكان الاشارة الى القريب الحاضر ومنه قوله تعالى ذلك عالم الغيب والشهادة وقوله تلك حجتنا اتيناها ابراهيم وقوله تلك ايات الكتاب وقوله ذلكم حكم الله قال ابو السعود وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه

للاية ان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف انتهى وقيل ان
الاشارة الى غائب واختلف في ذلك الغائب فقيل هو الكتاب الذي كتب على الخلائق
بالسعادة والشقاوة والاجل والرزق وقيل الكتاب الذي كتبه الله على نفسه في
الازل كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم لما قضى الله الخلق كتب
في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي وفي رواية سبقت
وقيل الاشارة الى ما قد نزل بمكة وقيل الى ما في التوراة والانجيل وقيل الى قوله قبله
الم ورجحه الزمخشري وقد وقع الاختلاف في ذلك الى تمام عشرة اقوال حسبما حكاه
القرطبي وارجحها ما صدرناه والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع
ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها والكتابة تجمع الحروف بعضها الى بعض وهو اسم
من اسماء القرآن لا ريب فيه اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق
وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه والريب الشك مع التهمة مصدر وهو قلق
النفس واضطرابها ومنه قوله صلعم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق
طمانينة ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه وقيل
الريب هو الشك مطلقا وقال ابن ابي حاتم لا اعلم في هذا اخلافا وقد يستعمل الريب في
التهمة والحاجة حكى ذلك القرطبي ومعنى هذا النفي العام ان الكتاب ليس بمظنة
للريب لوضوح دلالته وضوحا يقوم مقام البرهان المقتضي لكونه لا ينبغي الارتياب
فيه بوجه من الوجوه هدى اي رشاد وبيان وانه يذكر وهو الكثير وبعضهم
يؤنث اي هو هدى او هذه هدى او هو هاد لهم الى الحق والهدى مصدر كالسرى
والبكى قال الزمخشري وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلال في مقابلته
انتهى قال القرطبي الهدى هديان هدى دلالة وهو الذي يقدر عليه الرسل
واتباعهم قال الله تعالى ولكل قوم هاد وقال وانك لتهدي الى صراط مستقيم فاثبت
لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه وتفرد سبحانه بالهدى الذي
معناه التأييد والتوفيق فقال لنبيه صلعم انك لا تهدي من احببت فالهدى على

هذا يجيء بمعنى خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم وقوله ولكن الله يهدي من يشاء لِلْمُتَّقِيْنَ اي من ثبتت لهم التقوى وتخصيص الهدى بالمتقين لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره وان كانت هدايته شاملة لكل ناظر من مؤمن وكافر ولذا اطلقت في قوله هدى للناس قاله ابو السعود قال ابن فارس واصلها في اللغة قلة الكلام وقال في الكشاف المتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وَقَاهُ فاتقى والوقاية الصيانة وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك انتهى قال ابن مسعود وهم المؤمنون وعن معاذ بن جبل انه قيل له مَن المتقون فقال قوم اتقوا الشرك و عبادة الاوثان واخلصوا لله العبادة وعن ابي هريرة ان رجلا قال له ما التقوى قال هل وجدت طريقا ذا شوك قال نعم قال فكيف صنعت قال اذا رايت الشوك عدلت عنه او جاوزته او قصرت عنه قال ذلك التقوى وعن ابي الدرداء قال تمام التقوى ان يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خيفة ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الله وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين واخرج احمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه و الترمذي وحسنه وابن ماجة وابن ابي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن عطية السعدي قال قال رسول الله صلعم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا لما به باس فالمصير الى ما افاده هذا الحديث واجب ويكون هذا معنى شرعيا للمتقي اخص من المعنى الذي قدمنا عن صاحب الكشاف زاعما انه المعنى الشرعي وقد اطال القوم في ذكر تعاريف التقوى ورسوم المتقي لا حاجة لنا الى التطويل بذكر تلك الاقوال فالمرفوع يغني عن المرقوع والصباح يغني عن المصباح اَلَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ اصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق وكلا الوجهين حسن هنا والغيب في كلام العرب كلما غاب عنك قال القرطبي واختلف المفسرون

في تاويل الغيب هنا فقالت فرقة الغيب هو الله سبحانه وضعفه ابن العربي وقال
اخرون القضاء والقدر وقال اخرون القرآن ومافيه من الغيوب وقيل القلب اي يصدقون
بقلوبهم وقيل الغيب الخفاء وقال اخرون الغيب كلما اخبر به الرسول مما لا تهتدي اليه
العقول من اشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة
والنار قال ابن عطية وهذه الاقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها وهذا هو
الايمان الشرعي المشار اليه في حديث جبريل حين قال للنبي صلعم فاخبرني عن الايمان
قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره
قال صدقت انتهى وهذا الحديث هو ثابت في الصحيح بلفظ وبالقدر خيره وشره قلت اسلم
اقوال والراجح ما تقدم من الايمان الشرعي قال ابن جرير والاولى ان يكونوا موصوفين
بالايمان بالغيب قولا واعتقادا وعملا وتدخل الخشية لله في معنى الايمان الذي هو
تصديق القول بالعمل والايمان كلمة جامعة للاقرار بالله وكتبه ورسله وتصديق
الاقرار بالفعل وقال ابن كثير ان الايمان الشرعي المطلوب لا يكون الا اعتقادا وقولا
وعملا هكذا ذهب اليه اكثر الائمة بل قد حكاه الشافعي واحمد وابو عبيد وغير واحد
اجماعا ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص وقد ورد فيه آثار كثيرة انتهى وقد انكر
اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقال اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا
ينقص والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين
ظواهر النصوص من الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله
من اللغة والدليل على ان الاعمال من الايمان قوله صلعم الايمان بضع وسبعون شعبة فضلها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجه
الشيخان عن ابي هريرة وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ اي يداومون عليها والاقامة في الاصل
الدوام والثبات وليس من القيام على الرجل وانما هو من قولك قام الحق اي ظهر وثبت
واقامة الصلوة اداؤها باركانها وسننها وهيآتها في اوقاتها وحفظها من ان يقع فيها
خلل في فرائضها وحدودها وزيغ في افعالها واتمام اركانها والصلوة اصلها في اللغة

الدعاء من صلى يصلي اذا دعا ذكر هذا الجوهري وغيره وقال قوم هي ماخوذة من الصلا وهو عرق في وسط الظهر ويفترق عند العجب ذكر هذا القرطبي وهذا هو المعنى اللغوي واما المعنى الشرعي فهو هذه الصلوة التي هي ذات الاركان والاذكار قال ابن عباس المراد به الصلوات الخمس قال قتادة ان اقامة الصلوة المحافظة على مواقيتها ووضوءها وركوعها وسجودها وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ اي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله وفي سبيله والرزق عند الجمهور ما صلح للانتفاع به حلالا كان او حراما خلافا للمعتزلة فقالوا ان الحرام ليس برزق وللبحث في هذه المسئلة موضع غير هذا والانفاق اخراج المال من اليد وفي المجيء بمن التبعيضية ههنا نكتة سرية هي الارشاد الى ترك الاسراف والتبذير قال ابن عباس يعني زكوة اموالهم وعن قتادة يعني الانفاق في فرائض الله التي افترض عليهم في طاعته وسبيله كالزكوة والنذور وفي الجهاد وعلى النفس وقال ابن مسعود هي نفقة الرجل على اهله واختار ابن جرير ان الاية عامة في الزكوة والنفقات وهو الحق من غير فرق بين النفقة على الاقارب وغيرهم وصدقة الفرض والنفل وعدم التصريح بنوع من الانواع التي يصدق عليها مسمى الانفاق يشعر اتم اشعار بالتعميم وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ اي يصدقون بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ المراد به ما انزل على محمد صلعم وهو القران باسره والشريعة عن اخرها والتعبير بالماضي مع كون بعضه مترقبا لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع منزلة الواقع وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وهو الكتب السالفة المنزلة على الانبياء من قبل كالتورية والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها والايمان بالكل جملة فرض عين وبالقران تفصيلا فرض كفاية قيل هم مومنو اهل الكتاب وفيهم نزلت وقد رجح هذا ابن جرير ونقله السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة واستشهد له ابن جرير بقوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم وبقوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وقيل الاولى نزلت في مؤمني العرب دون الثانية وقيل الاثنين جميعا في المؤمنين والحق ان هذه الاية في المؤمنين كالتي قبلها وليس مجرد ذكر

الايمان بما انزل الى النبي صلعم وما انزل الى من قبله بمقتضى لجعل خلك وصفا المؤمنى
اهل الكتاب ولم يأت ما يوجب المخالفة لهذا اولا فى نظم القران ما يقتضي ذلك
وقد ثبت الثناء على من جمع بين الامرين من المؤمنين في غير اٰية فمن ذلك قوله تعالى
يا ايها الذين اٰمنوا اٰمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي
انزل من قبل وكقوله تعالى وقولوا اٰمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقوله تعالى
اٰمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل اٰمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقال والذين اٰمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ اي بالدار الاخرة سمي اٰخرة لتاخرها عن الدنيا
وكونها بعد ها والايقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه قال فى الكشاف فالمراد
انهم يوقنون بالبعث والنشور وسائر امور الاٰخرة من دون شك والاٰخرة تانيث
الاخر الذي هو نقيض الاول كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى
الاسماء وهي صفة الدار كما في قوله تعالى تلك الدار الاٰخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الارض ولا فسادا وفي تقديم الظرف مع بناء الفعل على الضمير اشعار بالحصر
ان ما عدا هذا الامر الذي هو اساس الايمان وراسه ليس بمستاهل عندهم للايقان
به والقطع بوقوعه وفيه تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور
الاخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين اُولٰٓئِكَ اي الذين هذه
صفتهم وما فيه من البعد للاشعار بعلو درجتهم ورفعة مرتبتهم فى الفضل وهو مبتدأ وخبره
عَلٰى هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ اي على رشاد ونور وقيل على استقامة وهذا كلام مستأنف
بياني ويمكن ان يكون خبرا عن الذين يؤمنون بالغيب فيكون متصلا بما قبله قال في
الكشاف قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت
حالهم بحال من اعتلى الشيئ وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قوله
جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى انتهى وقد اطال المحققون
الكلام على هذا بما لا يتسع له المقام واشتهر الخلاف في ذلك بين السعد والشريف

واختلف من بعدهم في ترجيح الراجح من القولين وقد جمع الشوكاني في ذلك رسالة مستقلة قال ابن جرير معنى الاية على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد بتسديد الله اياهم وتوفيقه لهم والابهام المفهوم من التنكير في هدى لكمال تفخيم اي على هدى اي هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ اى المنجحون الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب والفلاح اصله في اللغة الشق والقطع قاله ابو عبيد قال القرطبي وقد يستعمل في الفوز والبقاء وهو اصله ايضا في اللغة فمعناه الفائزون بالجنة والباقون فيها وقال في الكشاف المفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه انتهى وقد استعمل الفلاح في السحور ومنه الحديث الذي رواه ابو داود حتى كاد يفوتنا الفلاح قلت ما الفلاح قال السحور وكان معنى الحديث ان السحور به بقاء الصوم فلهذا سمي فلاحا وفي تكرير اسم الاشارة دلالة على ان كلا من الهداية والفلاح بحيث لو انفرد احدهما لكفى و فائدة ضمير الفصل الدلالة على اختصاص المسند اليه بالمسند دون غيره وقد ورد في فضل هذه الايات الشريفة احاديث وقد صدر الله تعالى هذه السورة باربع ايات انزلها في المؤمنين وبايتين انزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة اية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله سبحانه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اي جحدوا و انكروا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ اي متساو لديهم أَأَنْذَرْتَهُمْ اي خوفتهم وحذرتهم وقري بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا قال البيضاوي وهذا الابدال لحن ورد عليه على القاري بان ما قاله تقليدا للكشاف خطأ لان القراءة به متواتر عن النبي صلعم فانكارها كفر وتمام هذا البحث في الجمل أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ اي لا يصدقون ذكر سبحانه فريق الشر بعد الفراغ من ذكر فريق الخير قاطعا لهذا الكلام عن الكلام الاول معنونا له بما يفيد ان شان جنس الكفرة عدم اجداء الانذار لهم وانه لا يترتب عليه ما هو المطلوب منهم من الايمان وان وجود ذلك كعدمه وسواء بمعنى الاستواء فهو اسم مصدر واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الكافر كافرا لانه

يغطي بكفره ما يجب ان يكون عليه من الايمان والانذار الابلاغ والاعلام مع التخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا قال القرطبي واختلف العلماء في تاويل هذه الاية فقيل هي عامة ومعناها الخصوص فيمن حقت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله انه يموت على كفره اراد الله تعالى ان يعلم الناس ان فيهم من هذا حاله دون ان يعين احدا وقال ابن عباس والكلبي نزلت في رؤساء اليهود حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظرائهما وقال الربيع بن انس نزلت فيمن قتل يوم بدر من قادة الاحزاب والاول اصح فان من عين احدا فانما مثل عن كشف الغيب بموته على الكفر انتهى خَتَمَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ اي طبع الله عليها واستوثق فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم مصدر معناه التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء ولا يخرج منه ما حصل فيه ومنه ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك حتى لا يوصل الى ما فيه ولا يوضع فيه غيره فشبه هذا المعنى بضرب الخاتم على الشيء تشبيه معقول بمحسوس والجامع انتفاء القبول لمانع منع منه وكذا يقال في الختم على الاسماع وجعل الغشاوة على الابصار وَعَلٰى سَمْعِهِمْ اي مواضعه وَعَلٰى اَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ الغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج وهي غطاء التعامي عن ايات الله ودلائل توحيده والمراد بالختم والغشاوة ههنا هما المعنويان لا الحسيان واسناد الختم الى الله قد احتج به اهل السنة على المعتزلة وحاولوا دفع هذه الحجة بمثل ما ذكره صاحب الكشاف والكلام على مثل هذا مستقر في مواطنه ويكون الطبع والختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار كما قاله جماعة قال تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك وقال ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وانما وحد السمع مع جمع القلوب والابصار لانه مصدر يقع على القليل والكثير او لوحدة المسموع وهو الصوت وانما خص هذه الاعضاء بالذكر لانها طرق العلم فالقلب محله وطريقه اما السماع واما الرؤية وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ يعني في الاخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى والعذاب هو كل ما يولم الانسان وهو ماخوذ من الحبس والمنع يقال في اللغة اعذبه عن كذا حبسه ومنعه ومنه عذوبة الماء لانها حبست

بالكفر وهو اشد الفساد وفي الاحرف تنبيه ينبه بها المخاطب قال ابن مسعود الفساد
هنا هو الكفر والعمل بالمعصية وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه
من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما اعد الله لهم
من العذاب والاول اولى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اي للمنافقين آمِنُوا انصحوهم من وجهين
احدهما النهي عن الفساد وهو عبارة عن التخلي عن الرذائل وثانيهما الامر بالايمان وهو
عبارة عن التحلي بالفضائل كَمَا آمَنَ النَّاسُ يعني اصحاب محمد صلعم من المهاجرين و
الانصار وقيل الناس عبد الله بن سلام واصحابه قَالُوا اي اجابوا باحمق جواب و
ابعده عن الحق والصواب أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ اي الجهال نسبوا الى المؤمنين
السفه استهزاء واستخفافا فتسببوا بذلك الى تسجيل الله عليهم بالسفه بابلغ عبارة
واكد قول وحصر كما قال تعالى أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ اي الجهال واصل السفه و
السفاهة رقة الحلوم وفساد البصائر وسخافة العقول وخفة النهي وانما سمي الله
المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند انفسهم عقلاء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء
وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ انهم كذلك اما حقيقة او مجازا عن ابن عباس انها نزلت في شان
اليهود وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا اي المهاجرين والانصار قَالُوا آمَنَّا كايمانكم ومعنى
لقيته ولاقيته استقبلته قريبا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ اي رجعوا
اليهم وقيل هو من الخلوة وقيل الى بمعنى الباء وقيل بمعنى مع والمراد بالشياطين
رؤسائهم وكهنتهم قالوا انا على دينكم وخلوت لفلان واليه اذا انفردت به و
المعنى انا مصاحبوكم في دينكم وموافقوكم عليه وقيل المراد بالشياطين المماثلون
منهم للشياطين في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم او كبار المنافقين والقائلون صغارهم
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اي بمحمد صلعم واصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنامن من
شرهم ونقف على سرهم وناخذ من غنائمهم قال ابن عباس نزلت هذه الاية في
عبد الله بن ابي واصحابه والهزء السخرية واللعب يقال هزأت واستهزأت بمعنى
واصله الخفة وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات فجاءة وتهزأ به ناقته اي تسرع به وتخف

والمراد دريهم للاسلام ودفعهم للحق اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ اي ينزل بهم الهوان و
الحقارة وينتقم منهم ويسحق بهم انتصافا منهم لعباده المؤمنين وجزاء الاستهزائهم
بهم فسمى الجزاء باسمه لانه في مقابلته وورد ذلك في القران كثيرا ومنه جزاء سيئة
سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والجزاء لايكون
سيئة والقصاص لايكون اعتداء لانه حق ومنه ومكروا ومكر الله وانهم يكيدون
كيدا واكيد كيدا وتعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وهو في السنة كثير كقوله
صلعم ان الله لايمل حتى تملوا وانما قال الله يستهزئ بهم لانه يفيد التجدد وقتا بعد
وقت وهو اشد عليهم وانكى لقلوبهم واوجع لهم من الاستهزاء الدائم الثابت المستفاد
من الجملة الاسمية لانه يالفه ويوطن نفسه عليه قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة
فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار وَيَمُدُّهُمْ اي يتركهم ويمهلهم ويطيل لهم
المدة كما قال انما نملي لهم ليزدادوا اثما والمد الزيادة قال يونس بن حبيب يقال
مد في الشر وامد في الخير ومنه وامددناهم باموال وبنين وامددناهم بفاكهة و
قال الاخفش مددت له اذا تركته وامددته اذا اعطيته فِي طُغْيَانِهِمْ اي في ضلالهم
واصل الطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الماء والغلو في الكفر يَعْمَهُونَ اي
يترددون في الضلالة متحيرين والعمه والعامه الحائر المتردد والعمه في القلب كالعمى
في العين قال في الكشاف العمه مثل العمى الا ان العمى في البصر والرأى والعمه في الرأي
خاصة انتهى فبينهما عموم وخصوص أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدٰى يعني
المنافقين استبدلوا الكفر بالايمان وانما اخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل
الاستعارة فالشراء ههنا مستعار للاستبدال كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى
فاما ان يكون معنى الشراء المعاوضة كما هو اصله حقيقة لان فيه اعطاء بدل واخذ
آخر فلا لان المنافقين لم يكونوا مؤمنين وما كانوا على الهدى فيبيعوا ايمانهم والعرب
قد تستعمل ذلك في كل من استبدل شيئا بشئ واصل الضلالة الحيرة والجور عن القصد
وفقد الاهتداء ويطلق على النسيان ومنه قوله تعالى فعلتها اذا وانا من الضالين وعلى

الهلاك كقوله تعالى اذا ضللنا في الارض والهدى التوجه الى المقصد وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه قال ابن عباس في الآية اشتروا الكفر بالايمان وقال مجاهد آمنوا ثم كفروا وقال قتادة قد والله رايتموهم خرجوا من الهدى الى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ومن الامن الى الخوف ومن السنة الى البدعة فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ اي ما ربحوا في تجارتهم واصل الربح الفضل عن راس المال و التجارة صناعة التاجر واسند الربح اليها على عادة العرب في قولهم ربح بيعك وخسرت صفقتك وهو من الاسناد المجازي وهو اسناد الفعل الى ملابس للفاعل كما هو مقرر في علم المعاني والمراد ربحوا وخسروا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ اي مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل في شرائهم الضلالة وقيل في سابق علم الله مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا المثل قول يشبه قولا اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر ويصوره ولهذا ضرب الله الامثال في كتابه وهو احد اقسام القرآن السبعة ولما ذكر حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتاكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب بمعنى اجاب فالسين والتاء زائدتان والوقود سطوعها وارتفاع لهبها فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ يعني النار والاضاءة فرط الانارة وفعلها يكون لازما ومتعديا ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ الذهاب زوال الشيء وَتَرَكَهُمْ اي ابقاهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلي فِي ظُلُمَاتٍ جمع ظلمة والظلمة عدم النور لَا يُبْصِرُونَ هذا المثل للمنافقين لبيان ما يظهرونه من الايمان مع ما يبطنونه من النفاق لا يثبت لهم به احكام الاسلام كمثل المستوقد الذي اضاءت ناره ثم طفئت فانه يعود الى الظلمة ولا تنفعه تلك الاضاءة اليسيرة فكان بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق في حيرته وتردده قال ابن عباس في الآية نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة

مظلمة في مفازة فاستوقد نارا فأضاءت ما حوله فاتقى مما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان وامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلعم وقيل في القبر او على الصراط والاول اولى وانما وصفت هذه النار بالاضاءة مع كونها نارا باطل لان الباطل كذلك يسطع لهب ناره لحظة ثم تخفت ومنه قولهم للباطل صولة ثم يضمحل وقد تقرر عند علماء البلاغة ان لضرب الامثال شانا عظيما في ابراز خفيات المعاني ورفع استار محجبات الدقائق ولهذا استكثر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز وكان رسول الله صلعم يكثر من ذلك في مخاطباته ومواعظه قال ابن جرير وصح ضرب مثل الجماعة بالواحد كما قال رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت وقال تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا صُمٌّ اي عن استماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه والصمم الانسداد بُكْمٌ اي خرس عن النطق فهم لا يقولونه والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل الابكم والاخرس واحد عُمْيٌ اي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى والعمى ذهاب البصر كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب دراكه كما قال الشاعر

شعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ✤ وان ذكرت بسوء كلهم اذن ✤

فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ اي عن ضلالتهم ونفاقهم أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ او حرف الشك لقصد التخيير بين المثلين اي مثلوهم بهذا او هذا وهي وان كانت في الاصل للشك فقد توسع فيها حتى صارت لمجرد التساوي من غير شك وقال الفراء وغيره انها بمعنى الواو والصيب المطر واشتقاقه من صاب يصوب اذا نزل وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب والسماء في الاصل كل ما علاك فاظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء والسماء ايضا المطر سمي بها

لنزوله منها واطلاق السماء على المطر واقع كثيرا في كلام العرب وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى من السماء وان كان المطر لا ينزل منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من الابخرة الارض فابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر منها لا كما هو زعمهم الباطل فِيهِ ظُلُمَاتٌ اي في الصيب وبه قال جمهور المفسرين وقال المحلي في السحاب وهو خلاف ظاهر نظم الآية وقيل في بمعنى مع وانما جمع الظلمات اشارة الى انه انضم الى ظلمة الليل ظلمة الغيم والمطر وَرَعْدٌ اسم لصوت الملك الذي يزجر السحاب وقد اخرج الترمذي من حديث ابن عباس قال سالت اليهود النبي صلعم عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة بيده مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث يشاء الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجره بالسحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث امر قالت صدقت الحديث بطوله وفي اسناده مقال وعلى هذا التفسير اكثر العلماء وقيل هو اضطراب اجرام السحاب عند نزول المطر منها والى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعا للفلاسفة وجهلة المتكلمين و قيل غير ذلك قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوطه من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق وَبَرْقٌ النار التي تخرج منه اي محراق بيد الملك والذي يسوق السحاب واليه ذهب كثير من الصحابة وجمهور علماء الشريعة للحديث السابق وقال بعض المفسرين تبعا للفلاسفة ان البرق ما ينقدح من اصطكاك اجرام السحاب المتراكمة من الابخرة المتصعدة المشتملة على جزء ناري يلهب عند الاصطكاك يَجْعَلُونَ اي اصحاب الصيب اَصَابِعَهُمْ فِيْ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ اطلاق الاصابع على بعضها مجاز مشهور والعلاقة الجزئية والكلية لان الذي يجعل في الاذن انما هو راس الاصبع لا كلها والصواعق ويقال الصواقع وهي قطعة نار تنفصل من محراق الملك الذي يزجر السحاب عند غضبه وشدة ضربه لها ويدل على ذلك حديث ابن عباس المذكور قريبا وبه قال كثير من علماء الشريعة ومنهم من قال انها نار تخرج من فم الملك وقال الخليل هي الوقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها احيانا قطعة نار تحرق ما اتت عليه وقال ابو زيد الصاعقة نار تسقط من

السماء في رعد شديد وقال بعض المفسرين تبعا للفلاسفة ومن قال بقولهم انها نار لطيفة تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامها وسيأتي في سورة الرعد ان شاء الله تعالى في تفسير الرعد والبرق والصواعق ماله مزيد فائدة وايضاح وعن ابن عمر ان رسول الله صلعم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب حَذَرَ الْمَوْتِ اي مخافة الهلاك والموت ضد الحيوة وَاللّٰهُ مُحِيطٌ بِالْكٰفِرِيْنَ اي عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم والاحاطة الاخذ من جميع الجهات حتى لا يفوت المحاط به بوجه من الوجوه يَكَادُ الْبَرْقُ اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل يَخْطَفُ اَبْصَارَهُمْ اي يختلسها والخطف استلاب الشيء والاخذ بسرعة كُلَّمَآ اَضَآءَ لَهُمْ يعني البرق مَّشَوْا فِيْهِ اي في اضاءته ونوره وَاِذَآ اَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوْا اي وقفوا متحيرين وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ اي بصوت الرعد وَاَبْصَارِهِمْ بوميض البرق اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ اي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه والاية على عمومها بلا استثناء وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران لا كما زعم المعتزلة من ان الاستطاعة قبل الفعل وهذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين والمنافقون اصناف منهم من يظهر الاسلام ويبطن الكفر ومنهم من قال فيه النبي صلعم ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وورد بلفظ اربع وزاد واذا خاصم فجر وورد بلفظ اذا عاهد غدر وقد ذكر ابن جرير ومن تبعه من المفسرين ان هذين المثلين لصنف واحد من المنافقين يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ لم يقع النداء في القرآن بغير يا من الادوات والنداء في الاصل طلب الاقبال والمراد به هنا التنبيه واي مبني على الضم في محل نصب والناس نعت لاي على اللفظ وحركته اعرابية وحركة اي بنائية واستشكل رفع التابع مع عدم عامل الرفع والنداء على سبع مراتب نداء مدح كقوله يا ايها النبي ويا ايها الرسول ونداء ذم كقوله يا ايها الذين هادوا يا ايها الذين كفروا ونداء تنبيه كقوله

٢
ع ١٣

بشر مثل محمد صلعم امي لا يكتب ولا يقرء والاول اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الايات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل لا في المنزل عليه وَادْعُوا شُهَدَآءَكُمْ جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة او المعاون والمراد هنا الالهة اي استعينوا بالهتكم التي تعبدونها مِّن دُونِ اللّٰهِ وقيل المعنى وادعوا ناسا يشهدون لكم ومعنى دون ادنى مكان من الشيء واتسع فيه حتى استعمل في تخطى شيء الى شيء اخر ومنه ما في هذه الاية وله معان اخر منها التقصير عن الغاية والحقارة والعرب تقول هذا دون ذلك اي اقرب منه إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فيما قلتم انكم تقدرون على المعارضة وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم او ان محمدا صلعم يقوله من تلقاء نفسه والاول اولى والصدق خلاف الكذب وهو مطابقة الخبر للواقع او للاعتقاد او لهما على الخلاف المعروف في علم المعاني فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فيما مضى وَلَن تَفْعَلُوا ذلك فيما ياتي ويبين لكم عجزكم عن المعارضة وذلك ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الاتيان بمثل القران او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به فحيث لم ياتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي صلعم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقران من جنس كلامهم وكانوا احراصا على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلعم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهذا من الغيوب التي اخبر بها القران قبل وقوعها لانها لم يقع المعارضة من احد من الكفرة في ايام النبوة وفيما بعدها والى الان وقد كرر الله سبحانه تحدى الكفار بهذا في مواضع من القران منها هذا ومنها قوله تعالى في سورة القصص قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين وقال في سورة سبحان قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال في سورة هود ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقال في سورة يونس ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله

وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقد وقع الخلاف بين اهل العلم
هل وجه الاعجاز في القرآن هو كونه في الرتبة العلية من البلاغة الخارجة عن طوق البشر
او كان العجز عن المعارضة الصرفة من الله سبحانه لهم عن ان يعارضوه والحق الاول فان القرآن
تارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود وانه فارقت
اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا اتحدت العرب
به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة حتى
قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمعذق
وان اعلاه لمثمر والكلام في هذا مبسوط في مواطنه فَاتَّقُوا النَّارَ بالايمان بالله وكتبه و
رسله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه وقيل المعنى فاحترزوا من انكار كونه منزلا من
عند الله فانه مستوجب للعقاب بالنار الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ اي حطبها والوقود
بالفتح الحطب بالضم التوقد وقيل كل من الفتح والضم يجري في الآلة والمصدر والمراد بالحجارة
الاصنام التي كانوا يعبدونها لانهم قرنوا انفسهم بها في الدنيا فجعلت وقودا للنار معهم ويدل
على هذا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل المراد بها حجارة
الكبريت لانها اكثر التهابا قاله ابن عباس وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار
وقوتها وفي هذا من التهويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تتقد بالناس والحجارة
فاوقدت بنفس ما يراد احراقه بها أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ اي لمن كان مثل ما انتم عليه من الكفر
قاله ابن عباس والمعنى جعلت عدة لعذابهم وهيئت كذلك واخرج ابن مردويه والبيهقي
في شعب الايمان عن انس قال تلى رسول الله صلعم هذه الاية وقودها الناس والحجارة قال
اوقد عليها الف عام حتى احمرت والف عام حتى ابيضت والف عام حتى اسودت فهي سوداء
مظلمة لا يطفأ لهبها واخرج ابن ابي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن ابي هريرة
مرفوعا مثله واخرج احمد ومالك والبخاري ومسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال
ناركم هذه التي يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية
قال فانها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وعن ابي هريرة قال اترونها

وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وقد وقع الخلاف بين اهل العلم
هل وجه الاعجاز في القرآن هو كونه في الرتبة العلية من البلاغة الخارجة عن طوق البشر
او كان العجز عن المعارضة الصرفة من الله سبحانه لهم عن ان يعارضوه والحق الاول فان القرآن
تارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود وانه فارقت
اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان الاشعار والخطب والرسائل ولهذا تحدت العرب
به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة حتى
قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمعذق
وان اعلاه لمثمر والكلام في هذا مبسوط في مواطنه فَاتَّقُوا النَّارَ بالايمان بالله وكتبه و
رسله والقيام بفرائضه واجتناب مناهيه وقيل المعنى فاحترزوا من انكار كونه منزلا من
عند الله فانه مستوجب للعقاب بالنار الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ اي حطبها والوقود
بالفتح الحطب وبالضم التوقد وقيل كل من الفتح والضم يجري في الآلة والمصدر والمراد بالحجارة
الاصنام التي كانوا يعبدونها لانهم قرنوا انفسهم بها في الدنيا فجعلت وقودا للنار معهم ويدل
على هذا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم وقيل المراد بها حجارة
الكبريت لانها اكثر التهابا قاله ابن عباس وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار
وقوتها وفي هذا من التهويل ما لا يقادر قدره من كون هذه النار تتقد بالناس والحجارة
فاوقدت بنفس ما يراد احراقه بها أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ اي لمن كان مثل ما انتم عليه من الكفر
قاله ابن عباس والمعنى جعلت عدة لعذابهم وهيئت كذلك واخرج ابن مردويه والبيهقي
في شعب الايمان عن انس قال تلى رسول الله صلعم هذه الآية وقودها الناس والحجارة قال
اوقد عليها الف عام حتى احمرت والف عام حتى ابيضت والف عام حتى اسودت فهي سوداء
مظلمة لا يطفأ لهبها واخرج ابن ابي شيبة والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن ابي هريرة
مرفوعا مثله واخرج احمد ومالك والبخاري ومسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال
نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية
قال فانها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها وعن ابي هريرة قال اترونها

بشر مثل محمد صلعم امي لا يكتب ولا يقرء والاول اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك هو مطابق
لسائر الايات الواردة في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل لا في المنزل عليه وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ
جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة او المعاون والمراد هنا الالهة اي استعينوا
بالهتكم التي تعبدونها مِنْ دُونِ اللَّهِ وقيل المعنى وادعوا اناسا يشهدون لكم ومعنى دون
ادنى مكان من الشيء واتسع فيه حتى استعمل في تخطي شيء الى شيء اخر ومنه ما في هذه
الاية وله معان اخر منها التقصير عن الغاية والحقارة والعرب تقول هذا دون ذلك اي
اقرب منه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فيما قلتم انكم تقدرون على المعارضة وهذا تعجيز لهم وبيان
لانقطاعهم او ان محمدا صلعم يقوله من تلقاء نفسه والاول اولى والصدق خلاف الكذب
وهو مطابقة الخبر للواقع او للاعتقاد او لهما على الخلاف المعروف في علم المعاني فَإِنْ
لَمْ تَفْعَلُوا فيما مضى وَلَنْ تَفْعَلُوا ذلك فيما ياتي ويبين لكم عجزكم عن المعارضة وذلك
ان النفوس الابية اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع في الاتيان بمثل القران
او بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لاتوا به فحيث لم ياتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي
صلعم وبان عجزهم وهم اهل الفصاحة والبلاغة والقران من جنس كلامهم وكانوا حراصا
على اطفاء نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم
ورضوا بسبي الذراري واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق
رسول الله صلعم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهذا من الغيوب التي اخبرها
القران قبل وقوعها لانها لم يقع المعارضة من احد من الكفرة في ايام النبوة وفيما بعدها
والى الان وقد كرر الله سبحانه تحدي الكفار بهذا في مواضع من القران منها هذا
ومنها قوله تعالى في سورة القصص قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
اتبعه ان كنتم صادقين وقال في سورة سبحان قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال في سورة هود ام
يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين وقال في سورة يونس ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله

مؤذن بينهم يا اهل النار لا موت ويا اهل الجنة لا موت كل خالد فيما هو فيه واخرج
الطبراني وابن مردويه وابو نعيم من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلعم لو قيل
لاهل النار انكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا ولو قيل لاهل الجنة انكم
ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الابد وقد اخرج ابن ماجة وابن ابي الدنيا
في صفة الجنة والبزار وابن ابي حاتم وابن حبان والبيهقي وابن مردويه عن اسامة بن زيد
قال قال رسول الله صلعم الا هل مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور
يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة
وحلل كثيرة ومقام في ابد في دار سليمة وفاكهة خضرة الحديث والاحاديث في وصف
الجنة كثيرة جدا ثابتة في الصحيحين وغيرهما وكذلك في صفات نساء اهل الجنة مما لا
يتسع المقام لبسطه فلينظر في دواوين الاسلام وقد الف الحافظ محمد بن ابي بكر القيم
الجوزي كتابا في احوال الجنة سماه حادي الارواح الى بلاد الافراح لم يؤلف في الاسلام
قبله مثله وهو اجمع ما جُمع في هذا الباب وقد لخصته بحذف الزوائد والاسانيد و
سميته مثير ساكن الغرام الى روضات دار السلام فليرجع اليه وقد ثبت عن النبي
صلعم في صفات اهل الجنة في الصحيحين وغيرهما من طريق جماعة من الصحابة ان اهل الجنة
لا يبصقون ولا يتمخطون ولا يتغوطون إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً
انزل الله هذه الاية ردا على الكفار لما انكروا ما ضربه سبحانه من الامثال كقوله مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء فقالوا ان الله اجل واعلى من ان يضرب
الامثال وقد قال الرازي انه تعالى لما بين بالدليل كون القران معجزا اورد ههنا شبهة اوردها
الكفار قدحا في ذلك واجاب عنها وتقرير الشبهة انه جاء في القران ذكر النحل والعنكبوت
والنمل وهذه الاشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القران عليها يقدح في فصاحته
فضلا عن كونه معجزا واجاب الله عنها بان صغر هذه الاشياء لا يقدح في الفصاحة اذا
كان ذكرها مشتملا على حكمة بالغة انتهى ولا يخفاك ان تقرير هذه الشبهة على هذا النحو
وارجاع الانكار الى مجرد الفصاحة لا مستند له ولا دليل عليه وقد تقدمه الى شيء

من هذا اصحاب الكشاف والظاهر ما ذكرناه اولا لكون هذه الآية جاءت بعقب
المثلين اللذين هما مذكوران قبلها ولا يستلزم استنكارهم لضرب الامثال بالاشياء
المحقرة ان يكون ذلك لكونه قادحا في الفصاحة والاعجاز والحياء تغير وانكسار يعتري
الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم كذا في الكشاف وتبعه الرازي في مفاتيح الغيب وقال
القرطبي الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح وهذا محال
على الله انتهى وقد اختلفوا في تأويل ما في هذه الآية من ذكر الحياء فقيل ساغ ذلك لكونه
واقعا في الكلام المحكي عن الكفار وقيل هو من باب المشاكلة كما تقدم وقيل هو جار على سبيل
التمثيل وضرب المثل اعتماده وصنعه والبعوض صغار البق الواحدة بعوضة سميت بذلك
لصغرها قاله الجوهري وغيره وهو من عجيب خلق الله في غاية الصغر شديد اللسع وله ستة
ارجل واربعة اجنحة وله ذنب وخرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد
الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو
اعظم منهما في الجثة قال الكسائي والفراء الفاء هنا بمعنى الى وقيل معناه فما دونها واصغر
منها وهذا القول اشبه بالآية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء
الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلعم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت
العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذبابة والح من ذبابة
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بمحمد صلعم والقران فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ يعني ضرب المثل الْحَقُّ اي الثابت
الواقع موقعه وهو المقابل للباطل والحق واحد الحقوق والمراد هنا الاول وقد اتفق المسلمون
على انه يجوز اطلاق هذا اللفظ على الله سبحانه مِنْ رَبِّهِمْ لا يجوز انكاره لان ضرب الامثال
من الامور المستحسنة في العقل وعند العرب وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا اي بهذا المثل والارادة نقيض الكراهة وقيل هي نزوع اي اشتياق
النفس وميلها الى فعل بحيث يحملها عليه او هي قوة هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل و
الثاني قبله وارادته سبحانه ترجيح احد مقدوريه على الآخر بالايقاع او معنى يوجب هذا الترجيح
والارادة صفة له خاصة قديمة زائدة على العلم يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا اي من الكفار وذلك انهم

يكذبونه فيزدادون به ضلالاً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون
انه حق وهو كالتفسير للجملتين السابقتين المصدرتين باما فهو خبر من الله سبحانه وقيل هو
حكاية لقول الكافرين كانهم قالوا ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس الى ضلالة
والى هدى وليس هذا بصحيح فان الكافرين لا يقرون بان في القرآن شيئاً من الهداية
ولا يعترفون على انفسهم شيئاً من الضلالة وقد اطال المتكلمون الخصام في تفسير
الضلال المذكور هنا وفي نسبته الى الله سبحانه وقد نقح الرازي في تفسيره في هذا
الموضع تنقيحاً نفيساً وجوّده وطوّله واوضح فروعه واصوله فليرجع اليه فانه مفيد جداً
واما صاحب الكشاف فقد اعتمد هنا على عصاه التي يتوكأ عليها في تفسيره فجعل اسناد
الاضلال الى الله سبحانه لكونه سبباً فهو من الاسناد المجازي الى ملابس للفاعل الحقيقي
وحكى القرطبي عن اهل الحق من المفسرين ان المراد بقوله يضل يخذل وَمَا يُضِلُّ بِهِ
إِلَّا الْفَاسِقِينَ يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود ولا خلاف في انّ هذا من
كلام الله سبحانه قاله القرطبي والفسق الخروج عن الشيء ذكر معنى هذا الفراء وقد زعم ابن
الاعرابي انه لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق وهذا مردود عليه فقد
حكى ذلك عن العرب وانه من كلامهم جماعة من ائمة اللغة كابن فارس والجوهري وابن
الانباري وغيرهم وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلعم انه قال خمس فواسق الحديث وقال في
الكشاف الفسق الخروج عن القصد ثم قال والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة
انتهى وقال القرطبي الفسق في عرف الاستعمال الشرعي الخروج عن طاعة الله عز وجل فقد
يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان انتهى وهذا انسب بالمعنى اللغوي ولا
وجه لقصره على بعض الخارجين دون بعض قال الرازي في تفسيره واختلف اهل القبلة
هل هو مؤمن او كافر فعند اصحابنا هو مؤمن وعند الخوارج انه كافر وعند المعتزلة انه
لا مؤمن ولا كافر واحتج المخالف بقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقوله ان المنافقين
هم الفاسقون وقوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان وهذه المسئلة طويلة مذكورة في علم الكلام انتهى الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ

الله النقض افساد ما ابرم من بناء او حبل او عهد والنقاضة ما نقض من حبل الشعر وقيل
اصل النقض الفسخ وفك المركب والمعنى متقارب والمعنى يتركون ويخالفون واصل
العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال والعهد قيل هو الذي اخذه الله على بني آدم
حين استخرجهم من ظهره وهو قوله الست بربكم قالوا بلى وقيل هو وصية الله الى خلقه
وامره اياهم بما امرهم به من طاعته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه على السنة
رسله ونقضهم ذلك ترك العمل به وقيل بل هو نصب الادلة على وحدانيته بالسموات
والارض وسائر مخلوقاته ونقضه ترك النظر فيه وقيل هو ما عهده الى الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ الضمير للعهد او لله تعالى قاله السمين
وعلى الاول مصدر مضاف الى المفعول وعلى الثاني مضاف للفاعل ومن لابتداء الغاية
فان ابتداء النقض بعد الميثاق والميثاق العهد المؤكد باليمين مفعال من الوثاقة وهي
الشدة في العقد والربط جميعا والجمع المواثيق والمياثيق واستعمال النقض في ابطال العهد
على سبيل الاستعارة وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ القطع معروف والمصدر في
الرحم القطيعة واختلفوا ما هو الشيء الذي امر الله بوصله فقيل الارحام وقيل الاعراض عن
موالاة المؤمنين وقيل امر ان يوصل القول بالعمل وقيل امر ان يوصل التصديق بجميع
انبيائه فقطعوه بتصديق بعضهم وتكذيب البعض الآخر وقيل المراد به حفظ شرائعه و
حدوده التي امر في كتبه المنزلة وعلى السن رسله بالمحافظة عليها فهي عامة وبه قال الجمهور
وهو الحق والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر
الذي هو احد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به وَيُفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلعم والقرآن والمراد بالفساد في
الارض الافعال والاقوال المخالفة لما امر الله به كعبادة غيره والاضرار بعباده وتغيير ما امر
بحفظه وبالجملة فكل ما خالف الصلاح شرعا وعقلا فهو فساد أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
اي المغبونون واصل الخسار والخسران النقصان والخاسر هو الذي نقص نفسه من الفلاح
والفوز وتسميته خاسرا لانه استبدل النقض بالوفاء والقطع بالوصل كان عملهم فسادا لما نقصوا

انفسهم من الفلاح والربح عن قتادة قال ما نعلم الله اوعد في ذنب ما اوعد في نقض هذا الميثاق
فمن اعطي عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه فليوف به الله وقد ثبت عن رسول الله صلعم في احاديث
ثابتة في الصحيح وغيره من طريق جماعة من الصحابة النهي عن نقض العهد والوعيد الشديد عليه
قال مقاتل الخاسرون هم اهل النار وقال ابن عباس كل شئ نسبه الله الى غير اهل الاسلام
مثل خاسر ومسرف وظالم ومجرم وفاسق فانما يعني به الكفر وما نسبه الى اهل الاسلام فانما
يعني به الذم كيف هو للسوال عن الاحوال والمراد هنا الاحوال التي يقع عليها الكفر من العسر
واليسر والسفر والاقامة والكبر والصغر والعز والذل وغير ذلك تَكْفُرُوْنَ بِاللّٰهِ بعد نصب
الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته وهذا الاستفهام هو للانكار عليهم والتعجب
من حالهم وفيه تبكيت وتعنيف لهم ثم ذكر الدلائل فقال وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا يعني نطفا في اصلاب
ابائكم وعلقا ومضغا فَاَحْيَاكُمْ يعني في الارحام بنفخ الروح وفي الدنيا ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ اي عند
انقضاء اجالكم واختلف المفسرون في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين فقيل ان المراد
كنتم امواتا قبل ان تخلقوا اي معدومين لانه يجوز اطلاق اسم الموت على المعدوم لاجتماعهما في
عدم الاحساس فاحياكم اي خلقكم ثم يميتكم عند انتهاء اجالكم ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ يوم القيمة بعد
الموت بالبعث والحاصل ان المراد بالموت الاول العدم السابق وبالحياة الاولى الخلق وبالموت
الثاني الموت المعهود وبالحياة الثانية الحياة للبعث فجاءت الفاء وثم على بابهما من التعقيب
والتراخي على هذا التفسير وهو احسن الاقوال وقد ذهب الى هذا جماعة من الصحابة فمن بعدهم
قال ابن عطية وهذا القول هو المراد بالاية وهو الذي لا محيد للكفار عنه واذا اذعنت
نفوس الكفار بكونهم كانوا معدومين ثم احياء في الدنيا ثم امواتا فيها لزمهم الاقرار
بالحياة الاخرى قال غيره والحيوة التي تكون في القبر على هذا التاويل في حكم حياة الدنيا
وقيل ان المراد كنتم امواتا في ظهر ادم عليه السلام ثم اخرجكم من ظهره كالذر ثم يميتكم
موت الدنيا ثم يبعثكم وقيل كنتم امواتا اي نطفا في اصلاب الرجال ثم يحييكم حياة الدنيا
ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم في القبور ثم يميتكم في القبر ثم يحييكم الحياة التي ليس
بعدها موت قال القرطبي فعلى هذا التاويل هي ثلث موتات وثلث احيآت وكونهم موتى

في ظهر آدم واخراجهم من ظهره والشهادة عليهم ثم كونهم نطفاً في اصلاب الرجال فعلى
هذا يجيء اربع موتات واربع احياآت وقد قيل ان الله اوجدهم قبل خلق آدم كالهباء ثم اماتهم
فيكون على هذا خمس موتات وخمس احياآت وموتة سادسة للعصاة من امة محمد صلعم
كما ورد في الحديث ولكن ناساً اصابتهم النار بذنوبهم فاماتهم الله اماتة حتى اذا كانوا فحماً
اذن في الشفاعة فجيء بهم الى ان قال فينبتون نبات الحبة في حميل السيل وهو في الصحيح من
حديث ابي سعيد ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ اي تردون في الآخرة الى الله سبحانه فيجازيكم
باعمالكم قال في الكشاف عطف الاول بالفاء وما بعده بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت
بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد
به النشور تراخياً ظاهراً وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى
الجزاء ايضاً متراخ عن النشور انتهى ولا يخفاك انه ان اراد بقوله ان الاحياء الاول قد تعقب
الموت انه وقع على ما هو متصف بالموت فالموت الآخر وقع على ما هو متصف بالحياة وان
اراد انه وقع الاحياء الاول عند اول اتصافه بالموت بخلاف الثاني فغير مسلم فانه وقع عند
آخر اوقات موته كما وقع الثاني عند آخر اوقات حياته فتأمل هذا وقد اخرج ابن جرير عن
ابن مسعود وناس من الصحابة قال لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيمة
هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ قال ابن كيسان اي خلق من اجلكم ما فيها من المعادن
والنبات والحيوان والجبال والبحار لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما الدين فهو الاعتبار
والتفكر في عجائب مخلوقات الله الدالة على وحدانيته واما الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها
وقيل اللام للاختصاص وقيل للملك والاباحة وفيه دليل على ان الاصل في الاشياء المخلوقة الاباحة
حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الاصل ولا فرق بين الحيوانات وغيرها مما ينتفع به من
غير ضرر وفي التاكيد بقوله جَمِيعًا اقوى دلالة على هذا وقد استدل بهذه الآية على تحريم
اكل الطين لانه تعالى خلق لنا ما في الارض دون نفس الارض وقال الرازي في تفسيره ان
لقائل ان يقول ان في جملة الارض ما يطلق عليه انه في الارض فيكون جامعاً للوصفين ولا
شك ان المعادن داخلة في ذلك وكذلك عروق الارض وما يجري مجرى البعض لها ولان

تخصيص الشيئ بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه انتهى وقد ذكر صاحب الكشاف ما هو اوضح
من هذا فقال فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت
ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك
فان الغبراء وما فيها واقع في الجهات السفلية انتهى واما التراب فقد ورد في السنة تحريمه وهو
ايضا ليس مما ينتفع به اكلا ولكنه ينتفع به في منافع اخرى وليس المراد منفعة خاصة كمنفعة الاكل بل ما يصدق
عليه انه ينتفع به بوجه من الوجوه واما السم القاتل ففيه نفع لاجل دفع الحيوانات الموذية و
قتلها فلا يرد انه لا نفع فيه ثُمَّ اسْتَوٰى اِلَى السَّمَآءِ اي قصد واقبل على خلقها وقيل عمد وقال
ابن عباس ارتفع وقال الازهري صعد امره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله خلق الارض
اولا ثم عمد الى خلق السماء واصل ثم يقتضي تراخيا زمانيا ولا زمان هنا فقيل هي اشارة الى التراخي
بين رتبتي خلق الارض والسماء قاله القرطبي والاستواء في اللغة الاعتدال والانتصاب والاستقامة
وضده الاعوجاج قاله في الكشاف والرازي ويطلق على الارتفاع والعلو على الشيئ قال تعالى فاذا
استويت انت ومن معك على الفلك وقال لتستووا على ظهوره وهذا المعنى هو المناسب
لهذه الاية وقد قيل ان هذه الاية من المشكلات وقد ذهب كثير من الائمة الى الايمان بها
وترك التعرض لتفسيرها وخالفهم اخرون وقد استدل بقوله ثم استوى على ان خلق الارض
متقدم على خلق السماء وكذلك الاية التي في حمۤ السجدة وقال تعالى في النازعات ءانتم اشد
خلقا ام السماء بناها فوصف خلقها ثم قال والارض بعد ذلك دحٰها فكان السماء على هذا
خلقت قبل الارض وكذلك قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وقد قيل ان
خلق جرم الارض متقدم على السماء ودحوها متاخر وقد ذكر نحو هذا جماعة من اهل العلم
وهذا جمع جيد لا بد من المصير اليه ولكن خلق ما في الارض لا يكون الا بعد الدحو والاية
المذكورة هنا دلت على انه خلق ما في الارض قبل خلق السماء وهذا يقتضي بقاء الاشكال
وعدم التخلص عنه بمثل هذا الجمع وقال الفراء الاستواء في كلام العرب على وجهين احدهما
ان يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته او يستوي من اعوجاج وقال البيهقي الاستواء بمعنى
الاقبال صحيح لان الاقبال هو القصد والقصد هو الارادة وذلك جائز في صفات الله وقال

سفيان بن عيينة اي قصد اليها وقيل على دون تكييف ولا تحديد واختاره الطبري وقال
ابو العالية استوى ارتفع وقال قتادة ان السماء خلقت اولا حكاه عنه الطبري والبحث في
ذلك يطول وقد استوفاه الرازي في تفسيره واجاب عنه بوجوه ثم قال الجواب الصحيح ان قوله
ثم ليس للترتيب ههنا وانما هو على جهة تعديد النعم والله اعلم فَسَوّٰهُنَّ اي عدل خلقهن
فلا اعوجاج فيه ولا فطور وقيل معناه سوى سطوحهن بالاملاس وقيل جعلهن سواء
سَبْعَ سَمٰوٰتٍ مستويات لا صدع فيها ولا فطور وفي هذا التصريح بان السموات سبع واما
الارض فلم يات في ذكر عددها الا قوله تعالى ومن الارض مثلهن فقيل في العدد وقيل
في غلظهن وما بينهن وقال الماوردي ان الارض سبع ولكن لم يفتق بعضها من بعض والصحيح
انها سبع كالسموات وعلى انها سبع ارضين متفاصلة بعضها فوق بعض تختص دعوة الاسلام
باهل الارض العليا ولا تلزم من في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق
مميز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم للضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون
السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون ايضا منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة
والثاني انهم لا يشاهدون السماء فان الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدون منه وهذا قول
من جعل الارض كرية وفي الاية قول ثالث حكاه الطيبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها
سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء انتهى
وسيأتي تحقيق ما هو الحق في اخر سورة الطلاق ان شاء الله تعالى وقد ثبت في الصحيح قوله
صلعم من اخذ من الارض شبرا ظلما طوقه الله من سبع ارضين وهو ثابت من حديث عائشة
وسعيد بن زيد وقد اطنب الرازي في تفسيره في بيان السموات هل هي سبع او غير وفي ذكر
مذاهب الحكماء في ذلك واجابهم بوجوه ثم قال اعلم ان هذا الخبط مما ينبهك على انه لا
سبيل للعقول البشرية الى ادراك هذه الاشياء وانه لا يحيط بها الا علم فاطرها وخالقها
فوجب الاقتصار فيه على الدلائل السمعية فان قال قائل فهل يدل التنصيص على سبع
سموات على نفي العدد الزائد قلنا الحق ان تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد انتهى
وفي هذا اشارة الى ما ذكره الحكماء من الزيادة على السبع ونحن نقول انه لم يأتنا عن الله

ولا عن الرسول الا السبع فنقتصر على ذلك ولا نعمل بالزيادة الا اذا جاءت من طريق الشرع ولم يات شيء من ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة في هذه الاية قالوا ان الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسمى عليه فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها سبع ارضين في يومين الاحد والاثنين فخلق الارض على حوت وهو الذي ذكره في قوله نٓ والقلم والحوت في الماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الارض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الارض فارسى عليها الجبال فقرت فذلك قوله تعالى وجعل لها رواسي ان تميد بكم وخلق الجبال فيها واقوات اهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلثاء والاربعاء وذلك قوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض الى قوله وبارك فيها يقول انبت شجرها وقدر فيها اقواتها يقول اقوات اهلها في اربعة ايام سواء للسائلين يقول من سأل فهكذا الامر ثم استوى الى السماء وهي دخان وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض واوحى في كل سماء امرها قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظا من الشياطين فلما فرغ من خلق ما احب استوى على العرش اخرجه البيهقي وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن جرير وقد ثبت عن النبي صلعم من حديث ابي هريرة في الصحيح قال اخذ النبي صلعم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبثّ فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم يوم الجمعة بعد العصر وقد ثبت عن النبي صلعم من طرق عند اهل السنن وغيرهم عن جماعة من الصحابة احاديثُ في وصف السموات وان غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء الى سماء خمسمائة عام وانها سبع سموات وان الارض سبع ارضين ولم يات في التنزيل ولا في السنة المطهرة تصريح بان

فيهن من يعقل من العوالم والاوادم وانبيائهم والاثار من الصحابة ومن بعدهم ان جاءت بسند صحيح لا تصلح للاحتجاج على ذلك فكيف بما لم يصح سنده او صح ولكن لم يتابع عليه او توبع ولكن لم يصادف على نص من الله ورسوله وكذلك ثبت في صفة السماء اثار من جماعة من الصحابة وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور بعض ذلك في تفسير هذه الاية وانما تركنا ذكره هنا لكونه غير متعلق بهذه الاية على الخصوص بل هو متعلق بما هو اعم منها ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ اي يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات وانما اثبت سبحانه لنفسه العلم بكل شيء لانه يجب ان يكون عالما بجميع ما ثبت انه خالقه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ اي واذكر يا محمد اذ قال وكل ما ورد في القرآن من هذا فهذا سبيله وقيل اذ زائدة والاول اوجه ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع ملك بوزن فعل قاله ابن كيسان وقيل جمع ملاك بوزن مفعل قاله ابو عبيدة واراد بالملائكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض واسكن فيها الجن واسكن في السماء الملائكة فافسدت الجن في الارض فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال واقاموا مكانهم وقيل القول لمطلق الملائكة وكان ذلك تعليما للمشاورة وتعظيما لآدم وبيانا لكون الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره على شره واللام في للملائكة للتبليغ وهو احد المعاني التي جاءت لها اللام ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ اي خالق بدلا منكم ورافعكم الي وجاعل هنا من جعل المتعدي الى مفعولين وذكر المطرزي انه بمعنى الخالق وذلك يقتضي انه متعد الى مفعول واحد وصيغة اسم الفاعل بمعنى المستقبل والارض هنا هي هذه الغبراء ولا يختص ذلك بمكان دون مكان وقيل انها مكة كما ورد في مرسل ضعيف وقال ابن كثير انه مدرج والخليفة هنا معناه الخالف لمن كان قبله من الملائكة ويجوز ان يكون بمعنى المخلوف اي يخلفه غيره قيل هو آدم كما دل عليه السياق وقيل كل من له خلافة في الارض ويقوي الاول قوله خليفة دون الخلائف واستغنى بذكر آدم عن ذكر من بعده والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه قيل خاطب الله الملائكة بهذا الخطاب للمشورة ولكن لاستخراج ما عندهم وقيل خاطبهم بذلك لاجل ان يصدر منهم ذلك السؤال فيجابون بذلك الجواب وقيل لاجل تعليم عباده مشروعية المشاورة لهم وظاهره

انهم استنكروا استخلاف بني آدم في الارض لكونهم مظنة للافساد في الارض وانما قالوا هذه المقالة قبل ان تتقدم لهم معرفة ببني آدم بل قبل وجود آدم فضلا عن ذريته لعلم قد علموه من الله سبحانه بوجه من الوجوه لانهم لا يعلمون الغيب قال بهذا جماعة من المفسرين و قال بعض المفسرين ان في الكلام حذفا والتقدير اني جاعل في الارض خليفة يفعل كذا وكذا فكرهوا ذلك و قالوا اي استكشافا عما خفي عليهم من الحكمة الباهرة وليس باعتراض على الله ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله بل عباد مكرمون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح المحفوظ او قياس لاحد الثقلين على الآخر أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا بالمعاصي بمقتضى القوة الشهوانية والفساد ضد الصلاح وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ بغير حق بمقتضى القوة الغضبية كما فعل الجن و سفك الدم صبه قال ابن فارس والجوهري والمهدوي ولا يستعمل السفك الا في الدم وَنَحْنُ نُسَبِّحُ ا ... نقول سبحان الله وبحمده وهي صلوة الخلق وعليها يرزقون عن ابي ذر ان رسول الله صلعم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده اخرجه مسلم وقال ابن عباس كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلوة فيكون المعنى ونحن نصلي لك واصل التسبيح في كلام العرب التنزيه والتبعيد من السوء على وجه التعظيم فيكون ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة بِحَمْدِكَ اي حامدين لك او متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وَنُقَدِّسُ لَكَ واصل التقديس التطهير اي ونطهرك عن النقائص وعن كل ما لا يليق بك من سوء ومما نسبه اليك الملحدون وافتراه الجاحدون وذكر في الكشاف ان معنى التسبيح والتقديس واحد وهو تبعيد الله من السوء وفي القاموس وغيره من كتب اللغة ما يرشد الى ما ذكرناه والتاسيس خير من التاكيد خصوصا في كلام الله سبحانه وقيل معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك والاول اولى وعن ابن مسعود وناس من الصحابة نقدس لك اي نصلي لك وقال مجاهد نعظمك ونكبرك واللام زائدة والجملة حال اي فنحن احق بالاستخلاف لما كان سؤالهم واقعا على صيغة تستلزم اثبات شيء من العلم لانفسهم اجاب الله سبحانه عليهم فقال قَالَ إِنِّي

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وفي هذا الاجمال ما يغني عن التفصيل لان من علم ما لا يعلم المخاطب كان حقيقا بأن يسلم له ما يصدر عنه وعلى من لا يعرف ان يعترف لمن يعلم بان افعاله صادرة على ما يوجبه العلم وتقتضيه المصلحة الراجحة والحكمة البالغة ولم يذكر متعلق قوله تعلمون ليفيد التعميم ويذهب السامع عند ذلك كل مذهب ويعترف بالعجز ويقر بالقصور وعن ابن عباس قال ان الله اخرج آدم من الجنة قبل ان يخلقه وقد كان فيها قبل ان يخلق بالفي عام الجن بنو الجان فافسدوا في الارض وسفكوا الدماء فلما افسدوا في الارض بعث الله عليهم جنودا من الملائكة فضربوهم حتى الحقوهم بجزائر البحور فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعل الجان فقال اني اعلم ما لا تعلمون اخرجه الحاكم وصححه عنه وفي الباب آثار من الصحابة كثيرة وعن قتادة كان في علم الله انه سيكون من الخليفة انبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم وقيل اعلم من وجود المصلحة والحكمة ما لا تعلمون انتم وقد ثبت في كتب الحديث المعتبرة احاديث من طريق جماعة من الصحابة في صفة خلقه سبحانه لآدم وهي موجودة فلا نطول بذكرها وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا سمي آدم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون ولما خلق الله آدم وتم خلقه علمه اسماء الاشياء كلها قال في الكشاف وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل واشتقاقه من الادمة وغيرها تعسف قاله البيضاوي وقال السمين بعد كلام طويل ان ادعاء الاشتقاق فيه بعيد لان الاسماء الاعجمية لا يدخلها اشتقاق ولا تصريف انتهى والاسماء هي العبارات والمراد اسماء المسميات قال بذلك اكثر العلماء وهو المعنى الحقيقي للاسم والتاكيد بقوله كلها يفيد انه علمه جميع الاسماء ولم يخرج عن هذا شيء منها كائنا ما كان وقال ابن جرير انها اسماء الملائكة واسماء ذرية آدم ثم رجح هذا وهو غير راجح وقيل صنعة كل شيء قال ابن عباس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم الاسماء كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى على آخرها وقيل علمه اللغات كلها اي جميع اللغات لكن بنوه تفرقوا في اللغات فحفظ بعضهم العربية ونسي غيرها والمراد

علم الاسماء لفظا ومعنى مفردا ومركبا حقيقة ومجازا والمراد بالاسم ما يدل على معنى ذاتا كان
او جزءا فهو اعم من الاسم والفعل والحرف وقال في المظهري وعندي ان الله علم آدم
الاسماء الالهية كلها ثم رجح هذا بكلام طويل وهو غير راجح مع ما فيه من البعد والتكلف
ولم يقل به احد من المفسرين ويأباه ظاهر النظم وسياقه ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لتغليب العقلاء عليهم واختلف
اهل العلم هل عرض على الملائكة المسميات او الاسماء والظاهر الاول لان عرض نفس
الاسماء غير واضح وعرض الشيء اظهاره قال ابن عطية والذي يظهر ان الله علم آدم الاسماء
وعرض عليه مع ذلك الاجناس اشخاصا ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن اسماء
مسمياتها التي قد تعلمها آدم فقال لهم آدم هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا قال الماوردي
فكان الاصح توجه العرض الى المسمى ثم في زمن عرضهم قولان احدهما انه عرضهم بعد ان خلقهم
الثاني انه صورهم بقلوب الملائكة ثم عرضهم فَقَالَ أَنْبِئُونِي اي اخبروني امر تعجيز والنبأ
خبر ذو فائدة عظيمة وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شأن الاسماء وعظم خطرها بِأَسْمَاءِ
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اني اخلق خلقا الا كنتم افضل منهم واعلم أمره سبحانه للملائكة
بهذا القصد التبكيت لهم مع علمه بانهم يعجزون عن ذلك قَالُوا يعني الملائكة سُبْحَانَكَ
تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم وفيه اشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا
وسبحان مصدر لا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا
عَلَّمْتَنَا اي انك اجل من ان نحيط بشيء من علمك الا ما علمتنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ اي بخلقك
وهو من اسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات الْحَكِيمُ اي في امرك وله
معنيان احدهما انه القاضي العدل الثاني المحكم للامر كيلا يتطرق اليه الفساد قَالَ
يعني الله تعالى يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه
وذكر وجه الحكمة التي خلقها بان قال لهم هذا الجرم يسمى القصعة وحكمته وضع الطعام
فيه وهكذا فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ يعني الله تعالى أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ يا ملائكتي إِنِّي أَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه علم احوال آدم قبل

ان يخلقه وفي اختصاصه بعلم غيب السموات والارض رد لما يتكلفه كثير من العباد من
الاطلاع على شيء من علم الغيب كالمنجمين والكهان واهل الرمل والسحر والشعوذة وَاَعْلَمُ
مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ اي ما تظهرون وما تسرون كما يقيده معنى ذلك عند
العرب ومن فسره بشيء خاص فلا يقبل منه ذلك الا بدليل وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا
لِاٰدَمَ قيل هذا خطاب مع ملائكة الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة وهو
الظاهر من قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون والسجود معناه في كلام العرب التذلل و
الخضوع وغايته وضع الوجه على الارض والاسجاد ادامة النظر وفي هذه الاية فضيلة لادم
عليه السلام عظيمة حيث اسجد الله له ملائكته وقيل ان السجود كان لله ولم يكن لادم و
انما كانوا مستقبلين له عند السجود ولا ملجئ لهذا فان السجود للبشر قد يكون جائزا في بعض
الشرائع بحسب ما تقتضيه المصالح وقد دلت هذه الاية على ان السجود لادم وكذلك الاية الاخرى
اعني قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال تعالى ورفع ابويه
على العرش وخروا له سجدا فلا يستلزم تحريمه لغير الله في شريعة نبينا محمد صلعم ان يكون
كذلك في سائر الشرائع ومعنى السجود هنا وضع الجبهة على الارض واليه ذهب الجمهور
وقال قوم هو مجرد التذلل والانقياد والاول اولى وقد وقع الخلاف هل كان السجود من
الملائكة لادم قبل تعليمه الاسماء ام بعده وقد اطال البحث في ذلك البقاعي في تفسيره
وظاهر السياق انه وقع التعليم وتعقبه الامر بالسجود وتعقبه اسكانه الجنة ثم اخراجه
منها واسكانه الارض وفي هذه الاية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبياء على
الملائكة وهذه القصة ذكرت في القران في سبع سور في هذه السورة والاعراف والحجر والاسراء و
الكهف وطٰه وصٓ ولعل السر في تكريرها تسلية رسول الله صلعم فانه كان في محنة عظيمة
في قومه واهل زمانه فكانه قال اولا ترى ان اول الانبياء وهو ادم كان في محنة
عظيمة للخلق ذكره الخطيب والظاهر انه لاظهار شرف ادم وفضله على سائر الخلق حتى
الملائكة وليس في هذه القصة ما يدل على محنة ادم فَسَجَدُوْٓا وكان السجود يوم الجمعة من
وقت الزوال الى العصر قيل اول من سجد لادم جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم

ان يخلقه وفى اختصاصه بعلم غيب السموات والارض رد لما يتكلفه كثير من العباد من
الاطلاع على شيء من علم الغيب كالمنجمين والكهان واهل الرمل والسحر والشعوذة واعلم
مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ اي ما تظهرون وما تسرون كما يفيده معنى ذلك عند
العرب ومن فسره بشيء خاص فلا يقبل منه ذلك الا بدليل وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا
لِاٰدَمَ قيل هذا خطاب مع ملائكة الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة وهو
الظاهر من قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون والسجود معناه في كلام العرب التذلل و
الخضوع وغايته وضع الوجه على الارض والاسجاد ادامة النظر في هذه الاية فضيلة لادم
عليه السلام عظيمة حيث اسجد الله له ملائكته وقيل ان السجود كان لله ولم يكن لادم و
انما كانوا مستقبلين له عند السجود ولا ملجئ لهذا فان السجود للبشر قد يكون جائزا في بعض
الشرائع بحسب ما تقتضيه المصالح وقد دلت هذه الاية على ان السجود لادم وكذلك الاية الاخرى
اعنى قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال تعالى ورفع ابويه
على العرش وخروا له سجدا فلا يستلزم تحريمه لغير الله فى شريعة نبينا محمد صلعم ان يكون
كذلك في سائر الشرائع ومعنى السجود هنا وضع الجبهة على الارض واليه ذهب الجمهور
وقال قوم هو مجرد التذلل والانقياد والاول اولى وقد وقع الخلاف هل كان السجود من
الملائكة لادم قبل تعليمه الاسماء ام بعده وقد اطال البحث في ذلك البقاعي في تفسيره
وظاهر السياق انه وقع التعليم وتعقبه الامر بالسجود وتعقبه اسكانه الجنة ثم اخراجه
منها واسكانه الارض وفي هذه الاية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبياء على
الملائكة وهذه القصة ذكرت فى القران في سبع سور في هذه السورة والاعراف والحجر والاسراء و
الكهف وطه وص ولعل السر في تكريرها تسلية رسول الله صلعم فانه كان في محنة عظيمة
في قومه واهل زمانه فكانه قال اولا ترى ان اول الانبياء وهو ادم كان في محنة
عظيمة للخلق ذكره الخطيب والظاهر انه لاظهار شرف ادم وفضله على سائر الخلق حتى
الملائكة وليس في هذه القصة ما يدل على محنة ادم فَسَجَدُوْٓا وكان السجود يوم الجمعة من
وقت الزوال الى العصر قيل اول من سجد لادم جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم

ذلك من قول جماعة من العلماء ان من اسكن رجلا منزلا له فانه لا يملكه بذلك وان له ان يخرجه منه فهو معنى عرفي والواجب الاخذ بالمعنى العربي اذا لم يثبت في اللفظ حقيقة شرعية والزوج هي حواء بالمد وهي في اللغة الفصيحة بغير هاء وقد جاء بها قليلا كما في صحيح مسلم قال يا فلان هذه زوجتي فلانة الحديث وكان خلق حواء من ضلعه الايسر فلذا كان كل انسان ناقصا ضلعا من الجانب الايسر فجهة اليمين اضلاعها ثمانية عشر وجهة اليسار اضلاعها سبعة عشر وقصة خلقها مبسوطة في كتب السنة لا نطول بذكرها هنا واختلفوا في الجنة التي امر آدم بسكناها فقيل انها جنة كانت في الارض وقيل هي دار الجزاء والثواب وقد استوعب الحافظ ابن القيم في كتابه حادي الارواح الى بلاد الافراح دلائل الفريقين من غير تصريح مرجحا احد القولين وقيل القول الصحيح انها دار الجزاء وقيل الصحيح القول الاول وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع والاولى الوقف والله تعالى اعلم ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ اي اجمعا بين الاستقرار والاكل من رزق الجنة ﴿رَغَدًا﴾ رغد العيش اتسع ولان اي رزق واسع لين وارغد القوم اخصبوا والرغيدة الزبد ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ اي في اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما اباحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها التي لا تنحصر ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يعني للاكل والقرب الدنو قال الاصمعي والنهي عن القرب فيه سد للذريعة وقطع للوسيلة ولهذا جاء به عوضا عن الاكل ولا يخفى ان النهي عن القرب لا يستلزم النهي عن الاكل لانه قد ياكل من ثمرة الشجرة من هو بعيد عنها اذا حمل اليه فالاولى ان يقال المنع من الاكل مستفاد من المقام والشجر ما كان له ساق من نبات الارض وواحده شجرة واختلف اهل العلم في تعيين هذه الشجرة فقيل هي الكرم وقيل هي السنبلة قاله ابن عباس وله عنه طرق صحيحة وقيل التين وقيل الحنطة وقيل اللوز وقيل النخلة وقيل هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل الاترج وقيل هي شبه البر وتسمى الدعة وهذا مروي عن جماعة من الصحابة فمن بعدهم وقيل عن جنس من الشجرة وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب على

الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية والظلم اصله وضع الشيء في غير موضعه ومن لم يجوز ذلك
على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وكلام اهل العلم في عصمة
الانبياء واختلاف مذاهبهم في ذلك مدون في مواطنه وقد اطال البحث في ذلك الرازي
في تفسيره في هذا الموضع فليرجع اليه فانه مفيد فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ اي استزل ادم وحوا
عَنْهَا اي الجنة ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة اي استزلهما واوقعهما فيها وقيل من الازالة
وهي التنحية اي نحاهما وقيل من الزوال وقد اختلف اهل العلم في الكيفية التي فعلها الشيطان
في ازلالهما فقيل انه كان ذلك بمشافهة منه لهما واليه ذهب الجمهور واستدلوا على
ذلك بقوله تعالى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقيل لم يصدر
منه الا مجرد الوسوسة والمفاعلة ليست على بابها بل للمبالغة وقيل غير ذلك فَأَخْرَجَهُمَا
مِمَّا كَانَا فِيهِ اي صرفهما عما كانا عليه من الطاعة الى المعصية وقيل الضمير للجنة وعلى هذا
فالفعل مضمن معنى ابعدهما وانما نسب ذلك الى الشيطان لانه هو الذي تولى اغواء ادم
حتى اكل من الشجرة وَقُلْنَا اهْبِطُوا اي انزلوا الى الارض خطاب لادم وحوا وخوطبا بما
يخاطب به الجمع لان الاثنين اقل الجمع عند البعض من ائمة العربية وقيل انه خطاب لهما
ولابليس وللحية فهبط ادم بسرنديب من ارض الهند على جبل يقال له نوذ واهبطت حوا
بجدة وابليس بالابلة من اعمال البصرة والحية باصبهان وقيل خطاب لهما ولذريتهما لانهما
لما كانا اصل هذا النوع الانساني جعلا بمنزلته ويدل على ذلك قوله بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
فان هذه الجملة الواقعة حالا مبينا للهيئة الثابتة للمامورين بالهبوط تفيد ذلك يعني العداوة
التي بين المؤمنين من ذرية ادم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا والعدو خلاف الصديق وهو من عدى اذا ظلم والعُدوان الظلم الصراح
وقيل انه ماخوذ من المجاوزة يقال عداه اذا جاوزه والمعنيان متقاربان فان من ظلم فقد
تجاوز قال ابن فارس العدو اسم جامع للواحد والاثنين والثلاثة والعداوة التي بين ذرية
ادم والحية هي ما روى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم من ترك الحيات مخافة
طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن اخرجه ابوداود وله عن ابن مسعود ان

رسول الله صلعم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية الا الجان
الابيض الذي كانه قضيب فضة وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلعم قال ان بالمدينة
جنا قد اسلموا فاذا رايتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما
هو شيطان وفي رواية ان بهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيئا فحرجوا عليه ثلثا فان
ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ المراد بالمستقر موضع الاستقرار ومنه
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقد يكون بمعنى الاستقرار ومنه الى ربك يومئذ المستقر
فالاية محتملة للمعنيين ومثلها قوله جعل لكم الارض قرارا وَمَتَاعٌ المتاع ما يستمتع به من الماكول
والمشروب والملبوس ونحوها اي بلغة ومستمتع إِلَى حِينٍ اي الى وقت انقضاء اجالكم وقد
اختلف المفسرون في قوله حين فقيل الى الموت وقيل الى قيام الساعة واصل معنى الحين في
اللغة الوقت البعيد ومنه هل اتى على الانسان حين من الدهر والحين الساعة ومنه او تقول
حين ترى العذاب والحين القطعة من الدهر ومنه فذرهم في غمرتهم حتى حين اي حتى تفنى
اجالهم ويطلق على السنة وقيل على ستة اشهر ومنه تؤتي اكلها كل حين ويطلق على المساء و
الصباح ومنه حين تمسون وحين تصبحون قال ابن العربي الحين المجهول لا يتعلق به حكم و
الحين المعلوم سنة فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ومعنى التلقي اخذه لها وقبوله لما فيها وعمله
بها وقيل فهمه لها وفطانته لما تضمنته واصل معنى التلقي الاستقبال اي استقبل الكلمات
الموحات اليه وقيل ان معنى تلقى تلقن ولا وجه له في العربية واختلف السلف في تعيين هذه
الكلمات فعن ابن عباس قال هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وعنه قال علم شان الحج وهي الكلمات وعن عبد الله بن زيد قال لا اله الا انت سبحانك
وبحمدك عملت سوء وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين وروي نحوه عن انس وسعيد
بن جبير فَتَابَ عَلَيْهِ اي فتجاوز عنه وغفر له واصل التوبة من تاب يتوب اذا رجع إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ
اي الرجاع على عباده بقبول التوبة الرَّحِيمُ بخلقه قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا اما في زمان واحد
او في ازمنة متفرقة لان المراد الاشتراك في اصل الفعل وهذا هو الفرق بين جاؤا جميعا و
جاؤا معا يعني هؤلاء الاربعة او ادم وحوا وذريتهما وكرر قوله اهبطوا للتوكيد والتغليظ وقيل

انه لما تعلق به حكم غير الحكم الاول كرره ولا تزاحم بين المقتضيات فقد يكون التكرير للامرين
معًا اخرج عبد بن حميد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال ما سكن ادم الجنة الا ما بين صلوة
العصر الى غروب الشمس وعنه ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى اهبط من الجنة وعن الحسن
قال لبث ادم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة مأئة وثلثون سنة من ايام الدنيا و
اخرج البخاري والحاكم عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال لولا بنوا اسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حوا لم تخن انثى
زوجها وقد ثبت احاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما في محاجة ادم
وموسى عليهما السلام وحج موسى بقوله اتلومني على امر قدره الله علي قبل ان اخلق وعن ابن
عباس قال اول ما اهبط الله ادم الى ارض الهند وعنه الى ارض بين مكة والطائف وعن
علي اطيب ريح الارض الهند هبط بها ادم فعلق شجرها من ريح الجنة وقد روي عن جماعة
من الصحابة ان ادم اهبط الى ارض الهند منهم جابر وابن عمر وعلي وقد روى عن جماعة
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم حكايات في صفة هبوط ادم من الجنة وما اهبط معه
وما صنع عند وصوله الى الارض ولا حاجة لنا ببسط جميع ذلك وقد ذكر طرفا منها الحافظ
ابن القيم في الحادي فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى اي رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب و
رسول وقيل التوفيق للهداية فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فيما يستقبلهم وقيل عند
الفزع الاكبر وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اي على ما خلفوا وفاتهم من الدنيا وقال ابن جبير لا خوف عليهم
في الاخرة ولا يحزنون للموت والخوف هو الذعر ولا يكون الا في المستقبل والحزن ضد السرور
قال اليزيدي حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وَالَّذِينَ كَفَرُوا اي جحدوا اعطف على فمن تبع
قسيم له وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اي بالقران أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ اي يوم القيمة وصحبة اهل النار
لها بمعنى الاقتران والملازمة هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها وبقي
قسم ثالث وهو من امن ولم يعمل الطاعات فليس داخلا في الايتين وقد تقدم تفسير الخلود ع ١٠
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام
ومعناه عبد الله لان اسر في لغتهم هو العبد وايل هو الله وقيل معناه صفوة الله والاول اولى
والمعنى يا اولاد يعقوب قيل ان له اسمين وقيل ان اسرائيل لقب له وهو اسم اعجمي غير منصرف

وقد تصرفت فيه العرب بلغات كثيرة افصحها لغة القرآن وهي قراءة الجمهور اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ
الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ اي اشكروا وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن
جحدها فقد كفرها والذكر بالكسر هو ضد الانصات وبالضم ضد النسيان وجعله بعض
اهل العلم مشتركا بين ذكر القلب واللسان وقال الكسائي ما كان بالقلب فهو مضموم الذال
وما كان باللسان فهو مكسور الذال قال ابن الانباري والمعنى في الاية اذكروا واشكروا نعمتي فحذف
الشكر اكتفاء بذكر النعمة وهي اسم جنس ومن جملتها انه جعل منهم انبياء وانزل عليهم الكتاب
والمن والسلوى واخرج لهم الماء من الحجر ونجاهم من ال فرعون وفلق لهم البحر واغرق فرعون
وظلل لهم بالغمام وغير ذلك من نعم كثيرة وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المخاطبين بها زمن
محمد صلعم والاول اولى وَأَوْفُوا بِعَهْدِي اي امتثلوا امري يقال اوفى ووفى مشددا ووفى
مخففا ثلث لغات بمعنى وقيل يقال وفيت ووفيت بالعهد واوفيت بالكيل لا غير واختلف
اهل العلم في العهد المذكور في هذه الاية ما هو فقيل هو المذكور في قوله تعالى خذوا
ما اتيناكم بقوة وقيل هو ما في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر
نقيبا وقيل هو قوله ولقد اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس وقال
الزجاج هو ما اخذ عليهم في التورية من اتباع محمد صلعم وقيل هو اداء الفرائض ولا مانع من حمله
على جميع ذلك وقيل اراد جميع ما امر الله به من غير تخصيص بعض التكاليف دون بعض أُوفِ
بِعَهْدِكُمْ اي بما ضمنت لكم من الجزاء وقيل بالقبول والثواب عليه بدخول الجنة وَإِيَّايَ
فَارْهَبُونِ اي خافون في نقضكم العهد والرهب والرهبة الخوف ويتضمن الامر به معنى
التهديد وتقديم معمول الفعل يفيد الاختصاص قال صاحب الكشاف وهو اوكد في افادة
التخصيص من اياك نعبد والفاء جواب امر مقدر اي تنبهوا فارهبون او زائدة وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
يعني القرآن مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ اي لما في التورية من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي
صلعم وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ المراد اهل الكتاب لانهم العارفون بما يجب للانبياء وما يلزم
من التصديق اي لا تكونوا يا معشر اليهود اول كافر بهذا النبي صلعم مع كونكم قد وجدتموه مكتوبا
عندكم في التورية والانجيل مبشرا به في الكتب المنزلة عليكم وقد حكى الرازي في تفسيره في

هذا الموضع ما وقف عليه من البشارات برسول الله صلعم في الكتب السابقة وقيل الضمير في
به عائد الى القرآن المدلول عليه بقوله بما انزلت وقيل عائد الى التوراة المدلول عليها بقوله
لما معكم والخطاب لجماعة والكافر لفظه واحد وهو في معنى الجمع اي اول الكفار او اول فريق
كافر ومفهوم الصفة غير مراد هنا فلا يرد ان المعنى بل آخر كافر وانما ذكرت الاولية لانها الفخر
لما فيها من الابتداء بالكفر بل يجب ان تكونوا اول فريق مؤمن به لانكم اهل نظر في معجزاته و
العلم بشأنه وصفاته ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ اي لا تستبدلوا بآياتي ان صفة محمد صلعم التي
في التوراة عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا
قيمة له والذي كانوا ياخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل
وهذه الآية وان كانت خطابا لبني اسرائيل ونهيا لهم فهي متناولة لهذه الامة بفحوى الخطاب
او بلحنه فمن اخذ من المسلمين رشوة على ابطال حق امر الله به او اثبات باطل نهى الله عنه او
امتنع من تعليم ما علمه الله وكتم البيان الذي اخذ الله عليه ميثاقه به فقد اشترى بآيات
الله ثمنا قليلا ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ اي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق
المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل لا تخلطوا الحق من صفة محمد صلعم بالباطل من تغييرهم
واللبس الخلط وقيل هو ماخوذ من التغطية اي لا تغطوا الحق بالباطل والاول اولى والباء للالصاق
على الاول وقيل للاستعانة واستبعده ابو حيان وقال فيه صرف عن الظاهر من غير ضرورة
قال السمين ولا ادري ما هذا الاستبعاد مع وضوح هذا المعنى الحسن والباطل في كلام العرب
الزائل والباطل الشيطان والمراد به هنا خلاف الحق والمراد النهي عن كتم حجج الله التي اوجب عليهم
تبليغها واخذ عليهم بيانها ومن فسر اللبس او الكتمان بشيء معين ومعنى خاص كما تقدم فلم
يصب ان اراد ان ذلك هو المراد دون غيره لا ان اراد انه مما يصدق عليه ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ لما
فيه من الضرر والفساد وفيه ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه وفيه تنبيه
لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة عاما في المعنى
فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيه ان كفرهم كفر عناد لا كفر
جهل وذلك اغلظ للذنب واوجب للعقوبة وهذا التقييد لا يفيد جواز اللبس والكتمان

مع الجهل لان الجاهل يجب عليه ان لا يقدم على شيء حتى يعلم بحكمه خصوصا في امور الدين فان التكلم فيها والتصدي للاصدار والايراد في ابوابها انما اذن الله به لمن كان راسخا في العلم فرداتي الفهم وما للجهال والدخول فيما ليس من شانهم والقعود في غير مقاعدهم واعلم ان كثيرا من المفسرين جاؤا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا اوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل اوقعوا انفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الامور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك انهم ارادوا ان يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنيه المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاؤا بتكلفات وتعسفات يتبرء منها الانصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه حتى افردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الاهم من التاليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ومن تاخره وان هذا لمن اعجب ما يسمعه من يعرف ان هذا القرآن ما زال ينزل مفرقا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزل الوحي على رسول الله صلعم الى ان قبضه الله عز وجل اليه وكل عاقل فضلا عن عالم لا يشك ان هذه الحوادث المقتضية لنزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة كتحريم امر كان حلالا وتحليل امر كان حراما واثبات امر لشخص او اشخاص تناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحينا في عبادة و حينا في معاملة ووقتا في ترغيب ووقتا في ترهيب واونة في بشارة واونة في نذارة وطورا في امر دنيا وطورا في امر آخرة ومرة في تكاليف آتية ومرة في اقاصيص ماضية واذا كانت اسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف فالقرآن النازل فيها هو باعتبار نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي وهل هذا الا من فتح ابواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض او كان مرضه مجرد الجهل والقصور فانه اذا وجد اهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده ان هذا امر لا بد منه وانه لا يكون القرآن بليغا معجزا الا اذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبين الامر

هذا الموضع ما وقف عليه من البشارات برسول الله صلعم في الكتب السابقة وقيل الضمير في به عائد الى القرآن المدلول عليه بقوله بما انزلت وقيل عائد الى التوراة المدلول عليها بقوله لما معكم والخطاب لجماعة والكافر لفظه واحد وهو في معنى الجمع اي اول الكفار او اول فريق كافر ومفهوم الصفة غير مراد هنا فلا يرد ان المعنى بل اخر كافر وانما ذكرت الاولية لانها افحش لما فيها من الابتداء بالكفر بل يجب ان تكونوا اول فريق مؤمن به لانكم اهل نظر في معجزاته والعلم بشأنه وصفاته ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ اي لا تستبدلوا ببيان صفة محمد صلعم التي في التوراة عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الاخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل وهذه الاية وان كانت خطابا لبني اسرائيل ونهيا لهم فهي متناولة لهذه الامة بفحوى الخطاب او بلحنه فمن اخذ من المسلمين رشوة على ابطال حق امر الله به او اثبات باطل نهى الله عنه او امتنع من تعليم ما علمه الله وكتم البيان الذي اخذ الله عليه ميثاقه به فقد اشترى بآيات الله ثمنا قليلا ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ اي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل لا تخلطوا الحق من صفة محمد صلعم بالباطل من تغيير صفته واللبس الخلط وقيل هو مأخوذ من التغطية اي لا تغطوا الحق بالباطل والاول اولى والباء للالصاق على الاول وقيل للاستعانة واستبعده ابو حيان وقال فيه صرف عن الظاهر من غير ضرورة قال السمين ولا ادري ما هذا الاستبعاد مع وضوح هذا المعنى الحسن والباطل في كلام العرب الزائل والباطل الشيطان والمراد به هنا خلاف الحق والمراد النهي عن كتم حجج الله التي اوجب عليهم تبليغها واخذ عليهم بيانها ومن فسر اللبس والكتمان بشيء معين ومعنى خاص كما تقدم فلم يصب ان اراد ان ذلك هو المراد دون غيره لا ان اراد انه مما يصدق عليه ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ لما فيه من الضرر والفساد وفيه ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة عاما في المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيه ان كفرهم كفر عناد لا كفر جهل وذلك اغلظ للذنب واوجب للعقوبة وهذا التقييد لا يفيد جواز اللبس والكتمان

مع الجهل لان الجاهل يجب عليه ان لا يقدم على شي حتى يعلم بحكمه خصوصا في امور الدين فان التكلم فيها والتصدي للاصدار والايراد في ابوابها انما اذن الله به لمن كان راسا في العلم فرداً في الفهم وما للجهال والدخول فيما ليس من شانهم والقعود في غير مقاعدهم واعلم ان كثيرا من المفسرين جاؤا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا اوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل وقعوا انفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الامور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك انهم ارادوا ان يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاؤا بتكلفات وتعسفات يتبرء منها الانصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه حتى افردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الاهم من التاليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ومن تاخره وان هذا لمن اعجب ما يسمعه من يعرف ان هذا القران ما زال ينزل مفرقا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قبضه الله عز وجل اليه وكل عاقل فضلا عن عالم لا يشك ان هذه الحوادث المقتضية لنزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة كتحريم امر كان حلالا وتحليل امر كان حراما واثبات امر لشخص او اشخاص تناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع المسلمين وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحينا في عبادة وحينا في معاملة ووقتا في ترغيب ووقتا في ترهيب واونة في بشارة واونة في نذارة وطورا في امر دنيا وطورا في امر اخرة ومرة في تكاليف اتية ومرة في اقاصيص ماضية واذا كانت اسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الايتلاف فالقرآن النازل فيها هو باعتبار نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي وهل هذا الا من فتح ابواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض او كان مرضه مجرد الجهل والقصور فانه اذا وجد اهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده ان هذا امر لا بد منه وانه لا يكون القرآن بليغا معجزا الا اذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبين الامر

كفاية وذهب الجمهور الى انه سنة مؤكدة مرغب فيها وليس بواجب وهو الحق للاحاديث
الصحيحة الثابتة عن جماعة من الصحابة من ان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفرد بخمس وعشرين
درجة اوسبع وعشرين درجة وثبت فى الصحيح عنه صلعم الذي يصلي مع الامام افضل من الذي
يصلي وحده ثم ينام والبحث طويل الذيول كثير النقول استوفاه الشوكاني في شرحه للمنتقى
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ الهمزة للاستفهام مع التوبيخ للمخاطبين وليس المراد توبيخهم على
نفس الامر بالبر فانه فعل حسن مندوب اليه بل بسبب ترك فعل البر المستفاد من قوله وَتَنْسَوْنَ
أَنْفُسَكُمْ مع التطهر بتزكية النفس والقيام في مقام دعاة الخلق الى الحق ايهاما للناس و
تلبيسا عليهم نزلت في علماء اليهود والبر الطاعة والعمل الصالح والبر سعة الخير والمعروف
والبر الصدق والبر ولد الثعلب والبر سوق الغنم فالبر اسم جامع لجميع اعمال الخير و
الطاعات والنسيان هو هنا بمعنى الترك وفى الاصل خلاف الذكر والحفظ اي زوال
الصورة التي كانت محفوظة عن المدركة والحافظة والنفس الروح ومنه قوله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها يريد الارواح والنفس الجسد والمعنى وتعدلون عما لها فيه نفع
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ جملة حالية مشتملة على اعظم تقريع واشد توبيخ وابلغ تبكيت اي
كيف تتركون البر الذي تامرون الناس به وانتم من اهل العلم العارفين بقبح هذا الفعل
وشدة الوعيد عليه كما ترونه فى الكتاب الذي تتلونه وتدرسونه والايات التي تقرؤنها
من التورية والتلاوة القراءة وهي المراد هنا واصلها الاتباع أَفَلَا تَعْقِلُونَ استفهام
للانكار عليهم والتقريع لهم وهو اشد من الاول واشد ولشد ما قرع الله في هذا الموضع
من يامر بالخير ولا يفعله من العلماء الذين هم غير عاملين بالعلم فاستنكر عليهم اولا امرهم
للناس بالبر مع نسيان انفسهم من ذلك الامر الذي قاموا به فى المجامع ونادوا به فى المجالس
ايهاما للناس بانهم مبلغون عن الله ما تحملوه من حججه ومبينون لعباده ما امرهم ببيانه وموصلون
الى خلقه ما استودعهم وائتمنهم عليه وهم اترك الناس لذلك وابعدهم من نفعه وازهدهم
فيه ثم ربط هذه الجملة بجملة اخرى جعلها مبينة لحالهم وكاشفة لعوارهم وهاتكة لاستارهم
وهي انهم فعلوا هذه الفعلة الشنيعة والخصلة الفظيعة على علم منهم ومعرفة بالكتاب الذي

انزل عليهم وملازمة لتلاوته وهم في ذلك كما قال المعري ـــ وانما حمل التوراة قارئها
كسب الفوائد لا حب التلاوات . ثم انتقل معهم من تقريع الى تقريع ومن توبيخ الى توبيخ فقال
انكم لو لم تكونوا من اهل العلم وحملة الحجة واهل الدراسة لكتب الله لكان مجرد كونكم ممن
يعقل حائلا بينكم وبين ذلك زائدا لكم عنه زاجرا لكم منه فكيف اهملتم ما يقتضيه العقل
بعد اهمالكم لما يوجبه العلم والعقل في اصل اللغة المنع ومنه عقال البعير لانه يمنعه عن
الحركة ومنه العقل في الدية لانه يمنع الولي عن قتل الجاني والعقل نقيض الجهل ويصح تفسير
ما في الآية هنا بما هو اصل معنى العقل عند اهل اللغة اي افلا تمنعون انفسكم من مواقعة
هذه الحال المزرية ويصح ان يكون معنى الآية افلا تنظرون بعقولكم التي رزقكم الله اياها
حيث لم تنتفعوا بما لديكم من العلم والعقل قوة تهيئ قبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده
الانسان بتلك القوة العقل واخرج احمد وابن ابي شيبة وعبد بن حميد والبزار وابن المنذر
وابن ابي حاتم وابو نعيم في الحلية وابن حبان وابن مردويه والبيهقي عن انس قال قال رسول
الله صلعم رأيت ليلة اسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت رجعت
فقلت لجبريل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء من امتك كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون
انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون وثبت في الصحيحين من حديث اسامة بن زيد
قال سمعت رسول الله صلعم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق به اقتابه
فيدور بها كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون يا فلان ما لك ما اصابك
الم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهاكم
عن المنكر واتيه وفي الباب احاديث معناها جميعا ان يطلع قوم من اهل الجنة على قوم
من اهل النار فيقولون لهم بما دخلتم النار وانما دخلنا الجنة بتعليمكم قالوا انا كنا نامركم و
لا نفعل واخرج الطبراني والخطيب في الاقتضاء والاصبهاني في الترغيب بسند جيد عن
جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلعم مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به
كمثل السراج يضيئ للناس ويحرق نفسه وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ قيل المخاطبين
بهذا هم المؤمنون وقيل اليهود لما عاقهم عن الايمان الشره وحب الرياسة فامروا بالصبر

وهو الصوم لانه يكسر الشهوة والصلوة لانها تورث الخشوع وتنفي الكبر وافرد الصلوة
بالذكر تعظيما لشأنها والمعنى استعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من انواع البلايا
وقيل على طلب الاخرة بالصبر والصبر في اللغة الحبس والمراد هنا استعينوا بحبس انفسكم
عن الشهوات وقصرها على الطاعات على دفع ما يرد عليكم من المكروهات وقيل الصبر
هنا هو خاص بالصبر على تكاليف الصلوة واداء الفرائض واستدل هذا القائل بقوله
تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وليس في هذا الصبر الخاص بهذه الآية ما
ينفي ما يفيده الالف واللام الداخلة على الصبر من الشمول كما ان المراد بالصلوة هنا
جميع ما يصدق عليه الصلوة الشرعية من غير فرق بين فريضة ونافلة وكان رسول الله صلعم
اذا حزنه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي له اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم
تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا
بالصبر والصلوة وقد وردت احاديث كثيرة في مدح الصبر والترغيب فيه والجزاء للصابرين
ولم نذكرها ههنا لانها ليست بخاصة بهذه الآية بل هي واردة في مطلق الصبر وقد ذكر
السيوطي في الدر المنثور هنا منها شطرا صالحا وفي الكتاب العزيز من الثناء على ذلك
والترغيب فيه الكثير الطيب واخرج احمد وابو داود وابن جرير عن حذيفة قال كان رسول
الله صلعم اذا حزنه امر فزع الى الصلوة واخرج احمد والنسائي وابن حبان عن صهيب عن
النبي صلعم قال كانوا يعني الانبياء يفزعون اذا فزعوا الى الصلوة وعن ابن عباس انه كان في
مسير له فنعي اليه ابن له فنزل فصلى ركعتين ثم استرجع فقال فعلنا كما امرنا الله تعالى و
استعينوا بالصبر والصلوة وقد روي نحو ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين واختلف
المفسرون في مرجع الضمير في قوله وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ فقيل انه راجع الى الصلوة وان كان المتقدم
هو الصبر والصلوة فقد يجوز ارجاع الضمير الى احد الامرين المتقدم ذكرهما كما قال تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه اذا كان احدهما داخلا تحت الآخر بوجه من الوجوه وقيل انه
عائد الى الصلوة من دون اعتبار دخول الصبر تحتها لان الصبر هو عليها كما قيل سابقا و
قيل ان الضمير راجع الى الصلوة وان كان الصبر مرادا منها لكن لما كان آكد واعم تكليفا واكثر

ثوابا كانت الكناية بالصبر عنها ومنه قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كذا قيل وقيل ان الضمير راجع الى الاشياء المكنوزة ومثل ذلك قوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فارجع الضمير هنا الى الفضة والتجارة لما كانت الفضة اعم نفعا واكثر وجودا والتجارة هي الحاملة على الانفضاض والفرق بين هذا الوجه والوجه الاول ان الصبر هناك جعل داخلا تحت الصلوة وهنا لم يكن داخلا وان كان مرادا وقيل ان المراد الصبر والصلوة ولكن ارجع الضمير الى احدهما استغناء به عن الاخر ومنه قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية اي ابن مريم آية وامه آية وقيل رجع الضمير اليهما بعد تأويلهما بالعبادة وقيل رجع الى المصدر المفهوم من قوله واستعينوا وهو الاستعانة وقيل رجع الى جميع الامور التي نهي عنها بنوا اسرائيل والاول هو الظاهر الجاري على قاعدة كون الضمير للاقرب والكبيرة التي يكبر امرها ويتعاظم شأنها على حاملها لما يجده عند تحملها والقيام بها من المشقة ومنه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا استثناء مفرغ وشرطه ان يسبق بنفي فيؤول الكلام هنا بالنفي اي انها لا تخف ولا تسهل الا على الخاشعين يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله والخاشع هو المتواضع قال في الكشاف الخشوع هو الاخبات والتطامن واما الخضوع فاللين والانقياد انتهى وقال الزجاج الخاشع الذي يرى اثر الذل والخشوع عليه وخشعت الاصوات اي سكنت وخشع ببصره اذا غضه وقال سفيان الثوري سألت الاعمش عن الخشوع فقال يا ثوري انت تريد ان تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع باكل الخشن ولبس الخشن وتطأطؤ الراس لكن الخشوع ان ترى الشريف والدني في الحق سواء وتخشع لله في كل فرض افترض عليك انتهى وما احسن ما قاله بعض المحققين في بيان ماهيته انه هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع واستثنى سبحانه الخاشعين مع كونهم باعتبار استعمال جوارحهم في الصلوة وملازمتهم لوظائف الخشوع الذي هو روح الصلوة واتعابهم لانفسهم اتعابا عظيما في الاسباب الموجبة للحضور والخضوع لانهم لما يعلمونه من تضاعف الاجر وتوفر الجزاء والظفر بما وعد الله به من عظيم الثواب تسهل عليهم تلك المتاعب ويتذلل لهم ما يركبونه من المصاعب بل يصير ذلك لذة لهم خالصة وراحة عندهم محضة

ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ اي يستيقنون وقيل يعلمون والظن هنا عند الجمهور بمعنى اليقين ومنه قوله
تعالى إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ وقوله وظنوا انهم مواقعوها وقيل ان الظن في الاية على
بابه ويضمر في الكلام بذنوبهم فكأنهم توقعوا لقاءه مذنبين ذكره الماوردي والاول اولى
واصل الظن الشك مع الميل الى احد الطرفين وقد يقع موقع اليقين في مواضع منها هذه
الاية ومعنى أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ ملاقوا جزائه والمفاعلة هنا ليست على بابها ولا ارى في
حمله على اصل معناه من دون تقدير المضاف بأسا اي يوقنون انهم يرونه وفي هذا مع ما بعده
من قوله وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اقرار بالبعث وما وعد الله به في اليوم الاخر وفيه دليل على ع
ثبوت رؤية الله تعالى في الاخرة يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ انما كرر
ذلك سبحانه توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا لهم من ترك اتباع محمد صلعم ثم قرنه بالوعيد وهو
قوله واتقوا يوما قيل المراد بالنعمة اياديه عندهم وايامه قاله سفيان بن عيينة وعن
مجاهد التي انعم بها على بني اسرائيل فيما سمى وفيما سوى ذلك فجر لهم الحجر وانزل عليهم المن
والسلوى وانجاهم من عبودية آل فرعون وكان عمر بن الخطاب اذا تلى هذه الاية قال مضى
القوم وانما يعني انتم وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ يعني على عالمي زمانكم فلا يتناول من مضى
ولا من يوجد بعدهم وهذا التفضيل وان كان في حق الاباء ولكن يحصل به الشرف للابناء
قيل المراد بالعالمين عالم زمانهم وقيل على جميع العالمين بما جعل فيهم الانبياء وقال في الكشاف
على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة
انتهى قال الرازي في تفسيره وهذا ضعيف لان لفظ العالم مشتق من العلم وهو الدليل وكلما كان دليلا
على الله كان علما وكان من العالم وهذا التحقيق قول المتكلمين العالم كل موجود سوى الله وعلى
هذا يمكن تخصيص لفظ العالم ببعض المحدثات انتهى اقول هذا الاعتراض ساقط اما اولا فدعوى
اشتقاقه من العلم لا برهان عليه واما ثانيا فلو سلمنا صحة هذا الاشتقاق كان المعنى موجودا
بما يتحصل معه مفهوم الدليل على الله الذي يصح اطلاق اسم العلم عليه وهو كائن في كل فرد
من افراد المخلوقات التي يستدل بها على الخالق وغايته ان جمع العالم يستلزم ان يكونوا مفضلين
على افراد كثيرة من المحدثات واما انهم مفضلون على كل المحدثات في كل زمان فليس في اللفظ ما يفيد هذا

ولا في اشتقاقه ما يدل عليه واما من جعل العالم اهل العصر فغايته ان يكونوا مفضلين على اهل عصور
لا على اهل كل عصر فلا يستلزم ذلك تفضيلهم على اهل العصر الذين فيهم نبينا صلعم و
لا على ما بعده من العصور ومثل هذا الكلام ينبغي استحضاره عند تفسير قوله تعالى وآتاكم
ما لم يؤت احدا من العالمين وعند قوله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وعند قوله
تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان قيل ان التعريف في
العالمين يدل على شموله لكل عالم قلت لو كان الامر هكذا لم يكن ذلك مستلزما لكونهم
افضل من امة محمد صلعم لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس فان هذه الآية ونحوها
تكون مخصصة لتلك الآيات وَاتَّقُوا يَوْمًا اي واخشوا عذاب يوم اي معناه الوعيد والمراد
باليوم يوم القيمه اي عذابه لَا تَجْزِي اي لا تكفي ولا تقضي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا يعني حقا لزمها و
قيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيمة ولا ترد عنها شيئا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه
وامه وابيه والنفس الاولى هي المؤمنه والثانية هي الكافرة ومعنى التنكير التحقير اي شيئا
يسيرا حقيرا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ اي في ذلك اليوم وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا آباءنا
فرد الله عليهم ذلك وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه والشفاعة
مأخوذة من الشفع وهو الاثنان تقول استشفعته اي سألته ان يشفع لي اي يضم جاهه
الى جاهك عند المشفوع اليه ليصل النفع الى المشفوع له وضمير منها يرجع الى النفس المذكورة
ثانيا اي ان جاءت بشفاعة شفيع ويجوز ان يرجع الى النفس المذكورة اولا اي اذا شفعت لم يقبل
منها وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ اي فدية وهو مماثلة الشيء بالشيء والعدل بفتح العين الفداء
وبكسرها المثل وقيل بالفتح المساوي للشيء قيمة وقدرا وبالكسر المساوي له في جنسه وجرمه و
اما العدل واحد الاعدال فهو بالكسر لا غير قاله السمين والضمير يرجع الى النفوس المدلول
عليها بالنكرة في سياق النفي والنفس تذكر وتؤنث والمعنى كما قال السدي لا تغني نفس مؤمنة
عن نفس كافرة من المنفعة شيئا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ اي لا يمنعون من العذاب والنصر
العون والانصار الاعوان ومنه من انصاري الى الله والنصر ايضا الانتقام يقال انتصر زيد
لنفسه من خصمه اي انتقم منه لها والنصر ايضا الاتيان يقال نصرت ارض بني فلان اي اتيتها

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ اي واذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجداد كم فاعتده نعمة
ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم وهذا شروع فى تفصيل نعم الله عليهم وفصلت بعشرة
امور تنتهى بقوله واذ استسقى موسى والنجاة النجوة من الارض وهي ما ارتفع منها ثم سمي
كل فائز وخارج من ضيق الى سعة ناجيا وان لم يلق على نجوة وال فرعون قومه والال يضاف
الى ذوى الخطر ولا يضاف الى البلدان فلا يقال من ال المدينة وجوزه الاخفش واختلفوا
هل يضاف الى المضمر ام لا فمنعه قوم وسوّغه اخرون وهو الحق وفرعون قيل هو اسم ذلك
الملك بعينه وقيل انه اسم لكل ملك من ملوك العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن ارم
بن سام بن نوح كما يسمى من ملك الفرس كسرى ومن ملك الروم قيصر ومن ملك
الحبشة النجاشي وقيل فرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق واسم فرعون
موسى المذكور هنا قابوس في قول اهل الكتاب وقال وهب اسم الوليد بن مصعب
بن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة وعاش موسى مائة وعشرين سنة قال المسعودي
لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية وقال الجوهري ان كل عات يقال له فرعون وقد تفرعن
وهو ذو فرعنة اي دهاء ومكر وقال فى الكشاف تفرعن فلان اذا عتى وتجبر يَسُومُونَكُمْ
اي يكلفونكم ويولونكم قاله ابو عبيدة وقيل يذيقونكم ويلزمونكم اياه واصل السوم
الدوام ومنه سائمة الغنم لمداومتها الرعي وفى الكشاف اصله من سام السلعة اذا طلبها
كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه انتهى سُوءَ الْعَذَابِ اي اشده
واسوءه وافظعه وان كان كله سيئا والسوء كل ما يغم الانسان من امر دنيوي واخروي
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ الذبح فى الاصل الشق وهو فري اوداج المذبوح
قيل ذبحوا منهم اثنى عشر الفا وقيل سبعين الفا وهل نساء جمع نسوة او جمع امرأة من
حيث المعنى قولان والمراد يتركون نساءكم احياء ليستخدموهن ويمتهنوهن وانما امر بذبح
الابناء واستحياء النساء لان الكهنة اخبروه بانه يولد مولود يكون هلاكه على يده و
عبّر عن البنات باسم النساء لانه جنس يصدق عليهن وقالت طائفة انه امر بذبح الرجال
واستدلوا بقوله نساءكم والاول اصح بشهادة السبب ولا يخفى ما في قتل الابناء واستحياء

البنات للخدمة ونحوها من انزال الذل بهم والصاق الاهانة الشديدة بجميعهم لما
في ذلك من العار والاشارة بقوله وَفِي ذَٰلِكُمْ الى جملة الامر من الانجاء والذبح قاله ابن
عطية بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ اي اختبار وامتحان والبلاء يطلق تارة على الخير وتارة
على الشر فان اريد به هنا الشر كانت الاشارة الى ما حل بهم من النقمة بالذبح ونحوه وان
اريد به الخير كانت الاشارة الى النعمة التي انعم الله عليهم بالانجاء وما هو مذكور قبله من
تفضيلهم على العالمين وقد اختلف السلف ومن بعدهم في مرجع الاشارة فرجح الجمهور
الاول ورجح الآخرون الآخر قال ابن كيسان ابلاه وبلاه في الخير والشر وقيل الاكثر في الخير
ابليته وفي الشر بلوته وفي الاختبار ابتليته وبلوته قاله النحاس وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ
اي فلقنا واصل الفلق الفرق والفصل ومنه فرق الشعر ومنه وقرآناً فرقناه اي فصلناه
والباء في بكم بمعنى اللام او السببية والمراد ان فرق البحر كان بسبب دخولهم فيه لما صاروا
بين الماءين صار الفرق بهم واصل البحر في اللغة الاتساع اطلق على البحر الذي هو مقابل
البر لما فيه من الاتساع بالنسبة الى النهر والخليج ويطلق على الماء المالح وقال السيوطي
في مفحمات الاقران البحر هو القلزم وكنيته ابو خالد كما روي عن قيس بن عباد قال ابن عساكر
كانه كني بذلك لطول بقائه وروى ابو يعلى بسند ضعيف عن النبي صلعم قال فلق البحر
لبني اسرائيل يوم عاشوراء انتهى فَأَنجَيْنَاكُمْ اي اخرجناكم منه وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
فيه ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله عز وجل والمراد بآل
فرعون هنا هو وقومه واتباعه والغرق الرسوب في الماء وتجوز به عن المداخلة في الشيء
تقول غرق فلان في اللهو فهو غرق قاله السمين وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ يعني الى اهلاكهم
وقيل الى مصارعهم اي حال كونكم ناظرين اليهم بابصاركم والمعنى ينظر بعضكم الى
بعض الآخر من السالكين في البحر وقيل نظروا الى انفسهم ينجون والى آل فرعون يغرقون قيل
ان البحر قذفهم حتى نظروا اليهم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس قال
قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء
فقال ما هذا اليوم قالوا هذا يوم صالح نجى الله فيه بني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى

فقال رسول الله صلعم نحن احق بموسى منكم فصامه وامر بصومه وَإِذْ وَاعَدْنَا قراءة الجمهور واعدنا قال النحاس وهي اجود واحسن وليس هو من الوعد والوعيد في شيء وانما هو من باب الموافاة يعني من المواعدة وهو من الله الامر ومن موسى القبول وذلك ان الله وعد مجيء الميقات مُوسَىٰ اسم اعجمي عبري معرب غير منصرف فموسى بالعبرية الماء والشجر سمي موسى لانه اخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً قال الزجاج تمام اربعين ليلة وهي عند اكثر المفسرين ثلثون من ذى القعدة وعشر من ذى الحجة وبه قال ابو العالية وانما خص الليالي بالذكر دون الايام لانها غرر الشهور ولان الليلة اسبق من اليوم فهي قبله في الرتبة وقيل لان الاشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لان الظلمة اقدم من الضوء وللمعاني متقاربة ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ اي جعلتم العجل الها قال الحسن البصري كان اسم عجل بني اسرائيل الذي عبدوه بهموت وقيل يهبوت مِن بَعْدِهِ اي بعد مضى موسى الى الطور وقد ذكر بعض المفسرين انهم عدوا عشرين يوما وعشرين ليلة وقالوا قد اختلف موعده فاتخذوا العجل وهذا غير بعيد منهم فقد كانوا يسلكون طرائق من التعنت خارجة عن قوانين العقل مخالفة لما يخاطبون به بل ويشاهدونه بابصارهم فلا يقال كيف يعدون الايام والليالى على تلك الصفة وقد صرح لهم في الوعد بانها اربعون ليلة والمعنى من بعد عبادتكم العجل وسمي العجل عجلا لاستعجالهم عبادته كذا قيل وليس بشيء لان العرب تطلق هذا الاسم على ولد البقر وقد كان جعله لهم السامري على صورة العجل وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ اي وانتم ضارون لانفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير موضعها وقيل انما سماهم ظالمين لانهم اشركوا بالله وخالفوا موعد نبيهم قيل والذين عبدوه منهم ثمانية الاف وقيل كلهم الا هارون مع اثنى عشر الفا وهذا اولى ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم اي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم والعفو محو ان يكون بعد العقوبة والغفران لا يكون معها وهذا هو الفرق بينهما وهو من الاضداد يقال عفت الريح الاثر اي اذهبته وعفا الشيء اي كثر ومنه حتى عفوا مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ اي من بعد عبادتكم العجل لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ما انعم الله به عليكم من العفو عن ذنبكم العظيم الذي وقعتم فيه وتستمرون بعد ذلك على الطاعة

واصل الشكر في اللغة الظهور قال الجوهري الشكر الثناء على المحسن بما اولاك من المعروف يقال شكرته وشكرت له وباللام افصح والشكران خلاف الكفران وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ الكتاب التوراة بالاجماع من المفسرين واختلفوا في الفرقان فقال الفراء وقطرب المعنى آتينا موسى التوراة ومحمد الفرقان وقد قيل ان هذا غلط اوقعهما فيه ان الفرقان مختص بالقرآن وليس كذلك فقد قال تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان قال الزجاج ان الفرقان هو الكتاب اعيد ذكره تأكيدا وقيل ان الواو صلة والواو قد تزاد في النعوت وقيل ان المعنى ذلك المنزل جامع بين كونه كتابا وفارقا بين الحق والباطل وهو كقوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وقيل الفرقان الفرق بينهم وبين قوم فرعون انجى الله هؤلاء واغرق هؤلاء وقال ابن زيد الفرقان انفراق البحر وقيل الفرقان الفرج من الكرب وقيل انه الحجة والبيان بالآيات التي اعطاه الله من العصا واليد وغيرهما وهذا اولى وارجح ويكون العطف على بابه كانه قال آتينا موسى التوراة والآيات التي ارسلناه بها معجزة له لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ يعني بالتوراة اي لكي تهتدوا والتدبر فيه والعمل بما يحويه وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يعني الذين عبدوا العجل والقوم يطلق تارة على الرجال دون النساء ومنه قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء ومنه ولوطا اذ قال لقومه اراد الرجال وقد يطلق على الجميع كقوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه والمراد هنا بالقوم عبدة العجل وهذا شروع في بيان كيفية العفو والقوم ليس له واحد من لفظه ومفرده رجل يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ يعني الها تعبدونه فكانهم قالوا ما نصنع فقال فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ اي ارجعوا الى خالقكم واعزموا وصمموا بالتوبة والبارئ الخالق وقيل البارئ هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال وفي ذكر البارئ هنا اشارة الى عظيم جرمهم اي فتوبوا الى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ اي اجعلوا القتل متعقبا للتوبة قال القرطبي واجمعوا على انه لم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بان يقتل نفسه بيده قيل قاموا صفين وقتل بعضهم بعضا وقيل وقف الذين عبدوا العجل ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم فتاب الله على الباقين منهم وقيل فان فعلتم فقد تاب عليكم واما

ما قاله صاحب الكشاف من انه يجوز ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون
التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فهو بعيد جدا كما لا يخفى عن ابن عباس
قال امر موسى قومه عن امر ربه ان يقتلوا انفسهم واحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا و
قام الذين لم يعكفوا فاخذوا الخناجر بايديهم واصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم
بعضا فانجلت الظلمة عنهم عن سبعين الف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقي
كانت له توبة وعن علي قال قالوا لموسى ما توبتنا قال يقتل بعضكم بعضا فاخذوا السكاكين
فجعل الرجل يقتل اخاه واباه وابنه لا يبالي من قتل حتى قتل منهم سبعون الفا فاوحى الله الى
موسى مرهم فليرفعوا ايديهم وقد غفر لمن قتل وتيب على من بقي ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ
يعني هذا القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لا بد منه فَتَابَ عَلَيْكُمْ اي فعلتم ما امرتم
به فتجاوز عنكم وهذه الفاء فاء التفسير وفاء التفصيل وهذا من كلام الله تعالى خاطبهم
به على طريق الالتفات من التكلم الذي يقتضيه السياق الى الغيبة وقيل انه من جملة كلام موسى
لقومه والاول اولى اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ اي الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة البالغ في قبولها منهم
الرَّحِيْمُ بخلقه وَاِذْ قُلْتُمْ يٰمُوْسٰى لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ اي نصدقك بان ما نسمعه كلام الله حَتّٰى نَرَى
اللّٰهَ جَهْرَةً اي عيانا ظاهر السياق ان القائلين بهذه المقالة هم قوم موسى قيل هم السبعون
الذين اختارهم ممن لم يعبد العجل وذلك انهم لما سمعوا كلام الله قالوا له بعد ذلك
هذه المقالة معتذرين عن عبادة اصحابهم العجل فخرج بهم موسى والجهرة المعاينة و
اصلها الظهور فَاَخَذَتْكُمُ الصّٰعِقَةُ قيل هي الموت وفيه ضعف وقيل هي سبب الموت
واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السماء فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة
من السماء وقيل ارسل جنودا من الملائكة فسمعوا بحسيسهم فخروا صعقين والاول اولى
والمراد باخذ الصاعقة اصابتها اياهم وسيأتي في الاعراف انهم ماتوا بالرجفة اي
الزلزلة ويمكن الجمع بانه حصل لهم الجميع وَاَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ اي ينظر بعضكم الى بعض كيف
يأخذه الموت وكيف يحيى فمكثوا ميتين يوما وليلة وقيل المراد من هذا النظر الكائن منهم
انهم نظروا اوائل الصاعقة النازلة بهم الواقعة عليهم لا اخرها الذي ماتوا عنده

وقيل المراد بالصاعقة الموت واستدل عليه بقوله ثم بعثناكم بعد موتكم ولا موجب للمصير الى هذا التفسير لان المصعوق قد يموت كما في هذه الآية وقد يغشى عليه ثم يفيق كما في قوله تعالى وخر موسى صعقا فلما افاق ومما يوجب بعد ذلك قوله وانتم تنظرون فانها لو كانت الصاعقة عبارة عن الموت لم يكن لهذه الجملة كثير معنى بل قد يقال انه لا يصح ان ينظروا الموت النازل بهم الا ان يكون المراد نظر الاسباب المؤثرة للموت ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ المراد بذلك الاحياء لهم لوقوعه بعد الموت فبعثوا بعد الموت ليستوفوا آجالهم قاله انس ولو انهم كانوا قد ماتوا لانقضاء آجالهم لم يبعثوا الى يوم القيمة واصل البعث الاثارة للشيء من محله وانما عوقبوا باخذ الصاعقة لهم لانهم طلبوا ما لم يأذن به الله من رويته في الدنيا وقد ذهبت المعتزلة ومن تابعهم الى انكار الروية في الدنيا والاخرة وذهب من عداهم الى جوازها في الدنيا والاخرة لوقوعها في الاخرة وقد تواترت الاحاديث الصحيحة بان العباد يرون ربهم في الاخرة وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف ان يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة وزعموا ان العقل قد حكم بها دعوى مبنية على شفا جرف هار وقواعد لا يغتر بها الا من لم يحظ من العلم النافع بنصيب وسيأتيك ان شاء الله تعالى بيان ما تمسكوا به من الادلة القرانية وكلها خارج عن محل النزاع بعيد من موضع الحجة وليس هذا موضع المقال في هذه المسئلة وقد استوعب الحافظ ابن القيم ادلة الروية في كتابه حادي الارواح واتى بما يشفي العليل ويروي الغليل فليرجع اليه لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ انعامنا بذلك اي بالبعث بعد الموت قاله ابو السعود وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ اي جعلناه كالظلة والغمام جمع غمامة قاله الاخفش قال الفراء ويجوز غمائم قال ابن عباس غمام ابرد من هذا واطيب وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيمة وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر وكان معهم في التيه وقال قتادة كان هذا الغمام في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر والتيه واد بين الشام والمصر وقدره تسعة فراسخ مكثوا فيه اربعين سنة متحيرين لا يهتدون الى الخروج وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى يعني في التيه قال

قتادة اطعمهم ذلك حين برزوا الى البرية فكان المن يسقط عليهم في محلتهم سقوط الثلج اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يسقط عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فيأخذ الرجل قدر ما يكفيه يومه ذلك فان تعدي ذلك فسد ما يبقى عنده حتى اذا كان يوم سادسه يوم جمعة اخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه فبقي عنده لانه كان يوم عيد لا يشخص فيه لامر المعيشة ولا لطلبة شيء وهذا كله في البرية وقد ذكر المفسرون ان هذا جرى في التيه بين مصر والشام لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا وسيأتي بسطه في سورة المائدة وكان عدد الذين تاهوا ستمائة الف وماتوا كلهم في التيه الا من لم يبلغ العشرين ومات فيه موسى وهارون وكان موت موسى بعد هارون بسنة والمن قيل هو الترنجبين وعلى هذا اكثر المفسرين وهو طل ينزل من السماء على شجر او حجر ويحلو وينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ ذكر معناه في القاموس وقيل المن العسل وقيل شراب حلو وقيل خبز الرقاق قاله وهب وقيل هو مصدر يعم جميع ما منّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ومنه ما ثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث سعيد بن زيد عن النبي صلعم ان الكمأة من المن الذي انزل على موسى وقد ثبت مثله من حديث ابي هريرة عند احمد والترمذي ومن حديث جابر وابي سعيد وابن عباس عند النسائي وقد قالوا ياموسى قد قتلنا الرجلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى قيل هو السماني كحمادي طائر يحبونه فيأكلونه قال ابن عطية السلوى طائر باجماع المفسرين قال القرطبي ما ادعاه من الاجماع لا يصح وقد قال المورج احد علماء اللغة والتفسير انه العسل وبه قال الجوهري وقال ابن يحيى السلوى طائر يشبه السماني وخاصيته ان اكل لحمه يلين القلوب القاسية يموت اذا سمع صوت الرعد كما ان الخطاف يقتله البرد فيلهمه الله تعالى ان يسكن جزائر البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء اوان المطر والرعد فيخرج من الجزائر وينتشر في الارض قال الاخفش السلوى لا واحد له من لفظه مثل الخير والشر وهو يشبه ان يكون واحده سلوى وقال الخليل واحده سلواة وقال الكسائي السلوى واحدة وجمعه سلاوي وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل يأخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شيء

كُلُوا اي وقلنا لهم كلوا مِنْ طَيِّبَاتِ اي حلالات او مستلذات مَا رَزَقْنَاكُمْ ولا تدخروا
لغدٍ وَمَا ظَلَمُونَا اي وما بخسوا حقنا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ باخذهم اكثر مما حد لهم
فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا
ولا حساب في العقبى فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر وتقديم الانفس يفيد الاختصاص وفيه
ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم
على الكفر وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ سميت قرية لاجتماع الناس فيها وقد يطلق عليهم
مجازا وقوله تعالى واسأل القرية يحتمل الوجهين مشتقة من قريت اي جمعت لجمعها لاهلها كقولك
قريت الماء في الحوض اي جمعته واسم ذلك الماء قرى بكسر القاف قال جمهور المفسرين القرية
هي بيت المقدس وبه قال مجاهد وقال ابن عباس هي اريحا قرية الجبارين قال ابن الاثير
قرية بالغور قريبة من بيت المقدس وجزم القاضي وغيره بالاول وقيل كان فيها قوم من بقية
عاد يقال لهم العمالقة فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موسى
لان موسى مات في التيه وعلى الاول القائل موسى عليه السلام وقيل قرية من قرى الشام
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا امر اباحة ورغدا كثيرا واسعا اي اكلا رغدا وَادْخُلُوا
الْبَابَ الذي امرتم بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة وقيل هو
باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنو اسرائيل ومن قال ان القرية اريحا قال ادخلوا
من اي باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب سُجَّدًا اي منحنين خضعا متواضعين
كالراكع ولم يرد به نفس السجود والسجود قيل هو هنا الانحناء وقيل التواضع والخضوع واستدلوا
على ذلك بانه لو كان المراد السجود الحقيقي الذي هو وضع الجبهة على الارض لامتنع الدخول
المامور به لانه لا يمكن الدخول حال السجود قال في الكشاف انهم امروا بالسجود عند الانتهاء
الى الباب شكرا لله وتواضعا واعترضه ابو حيان في النهر الماد فقال لم يؤمروا بالسجود بل هو قيد
في وقوع المامور به وهو الدخول والاحوال نسب تقييدية والاوامر نسب اسنادية انتهى ويجاب
عنه بأن الامر بالمقيد امر بالقيد فمن قال اخرج مسرعا فهو امر بالخروج على هذه الهيئة فلو
خرج غير مسرع كان عند اهل اللسان مخالفا للامر ولا ينافي هذا كون الاحوال نسبا تقييدية

فان اتصافها بكونها قبوحا اما مورا بها هو شيء زائد على مجرد التقبيل وَقُولُوا حِطَّةٌ قيل الحطة في الاصل اسم للهيئة من الحط كالجلسة والقعدة وقيل هي التوبة معناه الاستغفار و قال ابن فارس في المجمل حطة كلمة امروا بها لو قالوها لحطت اوزارهم اي لا يدري معناها قال الرازي في تفسيره امرهم بان يقولوا ما يدل على التوبة وذلك لان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها واذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب لان التوبة لا يتم الا به انتهى وكون التوبة لا يتم الا بذلك لا دليل عليه بل مجرد عقد القلب عليها يكفي سواء اطلع الناس على ذنبه ام لا وربما كان التكتم بالتوبة على وجه لا يطلع عليها الا الله عز وجل احب الى الله واقرب الى مغفرته واما رفع ما عند الناس من اعتقادهم بقاءه على المعصية فذلك باب اخر نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب وخطايا جمع خطية وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ اي نزيدهم ثوابا او احسانا الى احسانهم المتقدم وهو اسم فاعل من احسن وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلعم سئل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ قيل انهم قالوا حنطة وقيل قالوا بلسانهم حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استخفافا منهم بامر الله وقيل غير ذلك والصواب انهم قالوا حبة في شعيرة قالوا ذلك استهزاء اخرجه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلعم وفي رواية عن ابن عباس عند ابن جرير وابن المنذر حنطة في شعيرة والاول الرجح لكونه في الصحيحين وبدلوا الفعل ايضا حيث دخلوا يزحفون على استاههم فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هو من وضع الظاهر موضع المضمر لنكتة تتعدد في كل محل بما يناسبه تعظيما كقوله اولئك حزب الله الا ان حزب الله وتحقيرا كقوله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان او ازالة للبس او غير ذلك وهي مبسوطة في الاتقان للجلال السيوطي وكما تقرر في علم البيان وهي هنا تعظيم الامر عليهم ومبالغة في تقبيح فعلهم وشانهم رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يعني عذابا والرجز العذاب قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا واخرج مسلم وغيره من حديث اسامة بن زيد وسعد بن مالك وخزيمة بن ثابت قالوا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به اناس من قبلكم فاذا كان بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها واذا بلغكم انه بارض فلا تدخلوها ومن المعلوم ان الطاعون ضرب الجن للانس فهو ارضي لا سماوي وانما قيل فيه من السماء لان القضاء به يقع فيها قال الجلال المحلي فهلك منهم في ساعة سبعون الفا او اقل انتهى وهذا الوباء غير الذي حل بهم في التيه بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ اي يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى وفي الاعراف يظلمون تنبيها على انهم جامعون بين هذين الوصفين وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اي طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسألوا موسى ان يستسقي لهم ففعل والاستسقاء انما يكون عند عدم الماء وحبس القطر ومعناه في اللغة طلب السقيا وفي الشرع ما ثبت عن النبي صلعم في صفته من الصلوة والدعاء وهذا تذكير لنعمة اخرى كفروها فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ وكانت العصا من اس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى كذا قيل والله اعلم والحجر يحتمل ان يكون معينا فيكون اللام للعهد وهو الذي فر بثوبه فلما سألوه السقيا ضربه ويحتمل ان لا يكون معينا فتكون للجنس وهو اظهر في المعجزة واقوى للحجة فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا يعني على عدد اسباط بني اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت والانفجار الانشقاق وانفجر الماء انفتح قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست عرقت وانفجرت سالت قال ابن عطية ولا خلاف انه كان حجرا مربعا يخرج من كل جهة ثلاث عيون اذا ضربه موسى سالت العيون واذا استغنوا عن الماء جفت قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ المشرب موضع الشرب وقيل هو المشروب نفسه وفيه دليل على انه يشرب من كل عين قوم منهم لا يشاركهم غيرهم قيل كان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها الى غيرها والاسباط ذرية الاثني عشر من اولاد يعقوب وكل عين تسيل في قناة الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا كُلُوا اي قلنا لهم كلوا المن والسلوى وَاشْرَبُوا اي الماء المتفجر من الحجر مِن رِّزْقِ اللَّهِ فهذا كله من رزقه كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة وَلَا تَعْثَوْا في

ع ٦ ١٣

الارض مفسدين عثي يعثي عثيا وعثا يعثو عثوا وعاث يعيث عيثا لغات بمعنى افسد قال في
الكشاف العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد في حال افسادكم لانهم كانوا متمادين فيه انتهى وفي
هذه الاية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع
الكثير ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اعظم منه لانه انفجر الماء من بين اصابعه فروي منه الجم الغفير لان
انفجار الماء من بين اللحم والدم اعظم من انفجاره من الحجر وَإِذْ قُلْتُمْ اي اذكروا يا بني اسرائيل اذ قال
اسلافكم وهذا انكير لجناية اخرى صدرت منهم واسناد الفعل الى فروعهم وتوجيه
التوبيخ اليهم لما بينهم وبين اصولهم من الاتحاد يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ
لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا
هذا الضجر منهم بما صاروا فيه من النعمة والرزق الطيب والعيش المستلذ ونزوع ما الفوه
قبل ذلك من خشونة العيش ويحتمل ان لا يكون هذا منهم تشوقا الى ما كانوا فيه وبطرا لما
صاروا اليه من المعيشة الرافهة بل هو باب من تعنتهم وشعبة من شعب تجرفهم كما هو دابهم
وهجيرهم في غالب ما قص علينا من اخبارهم وقال الحسن البصري انهم كانوا اهل كراث وبصل
وعدس فنزعوا الى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم الى ما جرت عليه عادتهم فقالوا
لن نصبر على طعام واحد اي نوع منه والمراد بالطعام الواحد هو المن والسلوى وهما وان كانا
طعامين لكن لما كانوا يأكلون احدهما بالاخر جعلوهما طعاما واحدا وقيل لتكررهما في كل يوم
وعدم وجود غيرهما معهما ولا تبدل لهما والبقل كل نبات ليس له ساق والشجر ما له ساق وقال
في الكشاف البقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطائب البقول التي يأكلها الناس
كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها انتهى وجمعه بقول والقثاء معروف الواحد قثاءة
وفيها لغتان كسر القاف وضمها والمشهور الكسر والفوم قيل هو الثوم وقد قرأه ابن مسعود
بالثاء وروى نحو ذلك عن ابن عباس وقيل الفوم الحنطة واليه ذهب اكثر المفسرين كما قال
القرطبي وقد رجح هذا ابن النحاس قال الجوهري وممن قال بهذا الزجاج والاخفش وقال بالاول
الكسائي والنضر بن شميل وقيل الفوم السنبلة وقيل الحمص وقيل الفوم كل حب يخبز والعدس
البصل معروف فان قيل انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة او لانهم ملوا من

الشعار في التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا بتلك الاطعمة والاول اولى قال يعني موسى عليه السلام لهم وقيل القائل هو الله والاول اولى أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى اي اخس وارداء وهو الذي طلبوه والاستبدال وضع الشيء موضع الاخر قال الزجاج ادنى ماخوذ من الدنو اي القرب وقيل من الدناءة وقيل اصله ادون من الدون اي الردي والهمزة للانكار مع التوبيخ والمراد اتضعون هذه الاشياء التي هي دون موضع المن والسلوى اللذين هما خير منها من جهة الاستلذاذ والوصول من عند الله بغير واسطة احد من خلقه والحل الذي لا تطرقه الشبهة وعدم الكلفة بالسعي له والتعب في تحصيله بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اي اشرف وافضل وهو ما هم فيه اهْبِطُوا مِصْرًا اي انزلوا مصرا وانتقلوا من هذا المكان الى مكان اخر فالهبوط لا يختص بالنزول من المكان العالي الى الاسفل بل قد يستعمل في الخروج من ارض الى ارض مطلقا قاله الشهاب وظاهر هذا ان الله اذن لهم بدخول مصر وقيل ان الامر للتعجيز والاهانة لانهم كانوا في التيه لا يمكنهم هبوط مصر لانسداد الطرق عليهم اذ لو عرفوا طريق مصر لما اقاموا اربعين سنة متحيرين لا يهتدون الى طريق من الطرق فهو مثل قوله تعالى كونوا حجارة او حديدا قال الخليل وسيبويه اراد مصرا من الامصار ولم يرد المدينة المعروفة وهو خلاف الظاهر بل يجوز صرفه مع حصول العلمية والتأنيث لانه ثلاثي ساكن الاوسط وبه قال الاخفش والكسائي والمصر في الاصل الحد الفاصل بين الشيئين وقيل المصر البلدة العظيمة فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ يعني من نبات الارض وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اي على فروعهم واخلافهم الذِّلَّةُ اي الهوان وقيل الجزية وزي اليهودية وفيه بعد والاول اولى والمعنى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان بسبب قتلهم عيسى في زعمهم والذلة بالكسر الصغار والحقارة والذلة بالضم ضد العجز وَالْمَسْكَنَةُ اي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة ومعنى ضرب الذلة والمسكنة الزامهم بذلك والقضاء به عليهم قضاء مستمر الايقاف فهم ولا ينفصل عنهم مع دلالته على ان ذلك مشتمل عليهم اشتمال القباب على من فيها ولازم لهم لزوم الدرهم المضروب لسكته وهذا الخبر

من العذاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
اي عهدكم يا معشر اليهود والمراد انه اخذ سبحانه عليهم الميثاق ان يعملوا بما شرعه لهم
في التورىة او بما هو اعم من ذلك او اخص وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ يعني الجبل العظيم والطور
اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وانزل عليه التورىة فيه قال ابن عباس
وكان بنو اسرائيل اسفل منه وقيل هو اسم لكل جبل بالسريانية وفي القاموس يطلق على اي
جبل كان وصرح به السمين ويطلق ايضا على جبال مخصوصة باعيانها وهذا الجبل الذي
رفع فوقهم كان من جبال فلسطين وعن ابن عباس الطور ما انبت من الجبال وما لم ينبت
فليس بطور وقد ذكر كثير من المفسرين ان موسى لما جاء بني اسرائيل من عند الله بالالواح
قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا الا ان يكلمنا الله بها كما كلمك فصعقوا ثم احيوا فقال
لهم خذوها والتزموها فقالوا لا فامر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله
فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة واوتوا ببحر من خلفهم ونار من قبل
وجوههم وقيل لهم خذوها وعليكم الميثاق ان لا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل فسجدوا
توبة لله واخذوا التورىة بالميثاق قيل وسجدوا على انصاف وجوههم اليسرى وجعلوا يلاحظون
الجبل باعينهم اليمنى وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود قيل فكانه حصل لهم بعد
هذا القسر والالجاء قبول واذعان اختياري او كان يكفي في الامم السابقة مثل هذا الايمان
قال ابن جرير عن بعض العلماء لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق قال ابن عطية والذي
لا يصح سواه ان الله سبحانه اخترع وقت سجودهم الايمان لا انهم امنوا كرها وقلوبهم غير
مطمئنة انتهى وهذا تكلف ساقط حمله عليه المحافظة على ما قد ارتسم لديه من قواعد
مذهبية قد سكن قلبه اليها كغيره وكل عاقل يعلم انه لا سبب من اسباب الاكراه اقوى من
هذا او اشد منه ونحن نقول اكرههم الله على الايمان فامنوا مكرهين ورفع عنهم العذاب
بهذا الايمان وهو نظير ما ثبت في شرعنا من رفع السيف عمن تكلم بكلمة الاسلام والسيف
مصلت قد هزه حامله على راسه وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلعم قال لمن قتل من تكلم بكلمة
الاسلام معتذرا عن قتله بانه قالها تقية ولم يكن عن قصد صحيح اانت فتشت عن قلبه وقال

لم اوص ان انقب عن قلوب الناس قال القفال انه ليس اجبارا على الاسلام لان الجبر ما
سلب الاختيار بل كان اكراها وهو جائز ولا يسلب الاختيار كالمحاربة مع الكفار فاما قوله
لا اكراه في الدين وقوله افانت تكره الناس فقد كان قبل الامر بالقتال ثم نسخ ذكره الشهاب
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ اي قلنا لهم خذ واما اعطيناكم بِقُوَّةٍ القوة الجد والاجتهاد وَاذْكُرُوا
مَا فِيهِ اي ادرسوا ولا تنسوه والمراد بذكر ما فيه ان يكون محفوظا عندهم ليعملوا به لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ اي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى اورجاء منكم ان تكونوا متقين
ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اصل التولي الادبار عن الشيء والاعراض بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامور
والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ اي الميثاق او رفع الطور وايتاء
التورية والمراد هنا اعراضهم عن الميثاق الماخوذ عليهم من بعد البرهان لهم والترهيب باشد
ما يكون واعظم ما تجوزه العقول وتقدره الافهام وهو رفع الجبل فوق رؤسهم كأنه ظلة
عليهم فَلَوْلَا حرف امتناع لوجود تختص بالجمل الاسمية فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بان تداركهم بلطفه
والفضل الزيادة والخير والافضال والاحسان قاله ابن فارس في المجمل وَرَحْمَتُهُ حتى اظهروا
التوبة لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ اي المغبونين بذهاب الدنيا والهالكين بالعذاب في العقبى
والخسران النقصان وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ اي عرفتم فيتعدى لواحد فقط والفرق بينهما ان العلم
يستدعي معرفة الذات وما هي عليه من الاحوال والمعرفة تستدعي معرفة الذات او الفرق
ان المعرفة يسبقها جهل بخلاف العلم ولذلك لا يجوز اطلاقها عليه سبحانه الَّذِينَ
اعْتَدَوْا مِنْكُمْ اي جاوزوا الحد فِي السَّبْتِ يقال سبت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون
فيه اعمالهم واصل السبت في اللغة القطع لان الاشياء تمت فيه وانقطع العمل وقيل هو ماخوذ
من السبوت وهو الراحة والدعة وقال في الكشاف السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
يوم السبت انتهى وفيه نظر فان هذا اللفظ موجود واشتقاقه مذكور في لسان العرب قبل
فعل اليهود ذلك وقد ذكر جماعة من المفسرين ان اليهود افترقت فرقتين ففرقة اعتدت في
السبت اي جاوزت ما امر الله به من العمل فيه فصادوا السمك الذي نهاهم الله عن صيده
فيه والفرقة الاخرى انقسمت الى فرقتين ففرقة جاهرت بالنهي واعتزلت وفرقة لم توافق

المعتدين ولا صادوا معهم لكنهم جالسوهم ولم يجاهروهم بالنهي ولا اعتزلوا عنهم فمسخهم
الله جميعاً ولم ينج الا الفرقة الاولى فقط وهذه من جملة المحن التي امتحن الله بها هؤلاء الذين
بالغوا في التحريفة وعاندوا انبياءهم وما زالوا في كل موطن يظهرون من حماقاتهم وسخف عقولهم
وتعنتهم نوعاً من انواع التعسف وشعبة من شعب التكليف فان الحيتان كانت في يوم
السبت كما وصف الله سبحانه بقوله اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون
لا تأتيهم كذلك نبلوهم فاحتالوا للصيد وحفروا الحفائر وشقوا الجداول فكانت الحيتان
تدخلها يوم السبت فيصيدونها يوم الاحد فلم ينفعوا بهذه الحيلة الباطلة وكانت هذه
القصة في زمن داود بقرية بارض ايلة فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ امر تحويل وتسخير
وتكوين وهو عبارة عن تعلق القدرة بنقلهم عن حقيقة البشرية الى حقيقة القردة اي كونوا
مبعدين عن الرحمة مطرودين عن الشرف وقيل فيه تقديم وتاخير معناه كونوا خاسئين
قردة ولهذا لم يقل خاسئات والخاسي المبعد ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئاً
اي مبعداً وقوله اخسئوا فيها اي تباعدوا تباعد سخط ويكون الخاسي بمعنى الصاغر والمراد
هنا كونوا بين المصير الى اشكال القردة مع كونهم مطرودين صاغرين فقردة خبر الكون و
خاسئين خبر آخر وقيل انه صفة لقردة والاول اظهر وعن ابن عباس قال مسخهم الله قردة
بمعصيتهم ولم يعش مسخ قط فوق ثلثة ايام ولم ياكل ولم يشرب ولم ينسل قال الحسن انقطع ذلك
النسل وقال مجاهد مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله لهم كقوله
مثل الحمار يحمل اسفاراً وقال ابن عباس صار شباب القوم قردة والمشيخة صاروا خنازير
اختلف في مرجع الضمير في قوله فَجَعَلْنَاهَا فقيل العقوبة وقيل الامة وقيل القردة وقيل
الحيتان والاول اظهر نَكَالاً اي عقوبة وعبرة والنكال الزجر والعقاب والنكل القيد لانه
يمنع صاحبه لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا اي عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم الى
يوم القيامة وقيل من الذنوب التي عملوا قبل وبعد قاله ابن عباس وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ
من قومهم او لكل متق سمعها الموعظة ماخوذ من الاتعاظ والانزجار
والوعظ التخويف وقال الخليل الوعظ التذكير بالخير وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ

توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت من اسلافهم اي اذكروا
وقت قول موسى لاصولكم وقد قتل لهم قتيل لايدري قاتله وسألوه ان يدعو الله ان يبينه
لهم فدعاه والقتيل اسمه عاميل إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قيل ان قصة ذبح البقرة
المذكورة هنا مقدم في التلاوة ومؤخر في المعنى على قوله تعالى واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها
ويجوز ان يكون قوله اذ قتلتم مقدما في النزول ويكون الامر بالذبح مؤخراً ويجوز ان يكون
ترتيب نزولها على حسب تلاوتها فكان الله امرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع من
امر القتل فامروا ان يضربوا ببعضها هذا على فرض ان الواو تقتضي الترتيب وقد تقرر في علم
العربية انها لمجرد الجمع من دون ترتيب ولا معية قال الكرخي وانما اخر اول القصة تقديما لذكر
مساويهم تعديدا لها ليكون ابلغ في توبيخهم على القتل والبقرة اسم للانثى ويقال للذكر ثور
وقيل انها تطلق عليهما واصله من البقر وهو الشق لانها تشق الارض بالحرث قال الازهري
البقر اسم جنس وجمعه باقر قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا اي نحن نسألك امر القتيل وانت تأمرنا بذبح
بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه والهزو
هنا اللعب والسخرية وانما يفعل ذلك اهل الجهل لانه نوع من العبث الذي لا يفعله العقلاء
ولهذا اجابهم موسى بالاستعاذة بالله سبحانه من الجهل قَالَ يعني موسى أَعُوذُ بِاللّٰهِ اي امتنع
به أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ اي بالجواب لا على وفق السؤال او من المستهزئين بالمؤمنين وهذا
ابلغ من قولك ان اكون جاهلا قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ اي ما سنها وهذا السؤال
عن صفة البقرة لا عن حقيقتها فانها معروفة وهذا نوع من انواع تعنتهم المألوفة فقد كانوا
يسلكون هذه المسالك في غالب ما امرهم الله به ولو تركوا التعنت والاسئلة المتكلفة لاجزاهم
ذبح بقرة من عرض البقر ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ اي لا هي كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لم تلد ومعناه في اللغة الواسع قال في
الكشاف وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها انتهى ويقال للشيء القديم
فارض والبكر الصغيرة الفتية التي لم تحمل ولم تلد ويطلق في اناث البهائم وبني آدم على ما لم يفتحله
الفحل ويطلق ايضا على الاول من الاولاد عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ اي نصف بين سنين والعوان

المتوسطة بين سني الفارض والبكر وهي التي قد ولدت بطنا او بطنين ويقال هي التي قد ولدت
مرة بعد مرة والجمع عون بالضم والاشارة الى الفارض والبكر وهما وان كانتا مؤنثتين فقد
اشير اليهما بما هو للمذكر على تاويل المذكور كانه قال ذلك المذكور وجاز دخول بين المقتضية
لشيئين لان المذكور متعدد فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ به اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال
وهذا تجديد للامر وتاكيد له وزجر لهم عن التعنت فلم ينفعهم ذلك ولا نجع فيهم بل رجعوا
الى طبيعتهم وعادوا الى عكرهم واستمروا على عادتهم المالوفة وقَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا
لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا اللون واحد الالوان وجمهور المفسرين
على انها كانت جميعها صفراء قال بعضهم حتى قرنها وظلفها وقال الحسن وسعيد بن جبير انها
كانت صفراء القرن والظلف فقط وهو خلاف الظاهر والمراد بالصفرة هنا الصفرة المعروفة
وروي عن الحسن ان صفراء معناه سوداء وهذا من بدع التفاسير ومنكراتها وليت شعري
كيف يصدق على اللون الاسود الذي هو اقبح الالوان انه يسر الناظرين وكيف يصح وصفه بالفقوع
الذي يعرف كل من يعرف لغة العرب انه لا يجري على الاسود بوجه من الوجوه فانهم يقولون
في وصف الاسود حالك وحلكوك ودجوجي وغربيب قال الكسائي يقال فقع لونها اذا
خلصت صفرته وقال في الكشاف الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه ومعنى تَسُرُّ
النَّاظِرِينَ تدخل عليهم السرور اذا نظروا اليها اعجابا بها واستحسانا للونها قال وهب كانت
كان شعاع الشمس يخرج من جلدها يعجبهم حسنها وصفاء لونها قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا
مَا هِيَ اي سائمة او عاملة وعلى هذا فليس هذا السوال تكريرا للسوال الاول كما ادعاه بعضهم قال
الخطيب إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا اي التبس واشتبه امرها علينا اي ان جنس البقر متشابه
عليهم لكثرة ما يتصف منها بالعوان الصفراء الفاقعة وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ وعدوا
من انفسهم بالاهتداء الى ما دلهم عليه والامتثال لما امروا به قيل لو لم يستثنوا لما بينت لهم
اخر الدهر قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ اي ليست مذللة والذلول التي لم يذللها العمل
تُثِيرُ الْأَرْضَ اي تقلبها للزراعة وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ اي ليست بسانية يعني من النواضح التي
يسنى عليها ويسقى الزرع وحرف النفي الاخر توكيد للاول اي هذه بقرة غير مذللة بالحرث

ولا بالنضح ولهذا قال الحسن كانت البقرة وحشية وقال قوم ان قوله تثير فعل مستأنف والمعنى
ايجاب الحرث لها والنضح بها والاول ارجح لانها لو كانت مثيرة ساقية لكانت مذللة ريضة
وقد نفى الله ذلك عنها ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ اي بريئة من العيوب والمسلمة هي التي لا عيب فيها وقيل مسلمة
من العمل وهو ضعيف لان الله سبحانه قد نفى ذلك عنها والتاسيس خير من التاكيد والافادة
اولى من الاعادة ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ اي لا لون فيها غير لونها والشية ماخوذة من وشي الثوب
اذا نسج على لونين مختلفين وثور موشي في وجهه وقوائمه سواد ويقال ثور اشيه وفرس
ابلق وكبش اخرج وتيس ابرق وغراب ابقع كل ذلك بمعنى ابلق والمراد ان هذه البقرة خالصة
الصفرة ليس في جسمها لمعة من لون اخر فلما سمعوا هذه الاوصاف التي لا يبقى بعدها ريب
ولا يخالج سامعها شك ولا تحتمل الشركة بوجه من الوجوه اقصروا من غوايتهم وانتبهوا من رقدتهم
وعرفوا بمقدار ما اوقعهم فيه تعنتهم من التضييق عليهم ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ اي اوضحت
لنا الوصف وبينت لنا الحقيقة التي يجب الوقوف عندها فحصلوا تلك البقرة الموصوفة بتلك
الصفات قيل ال في الان للتعريف الحضوري وقيل زائدة لازمة ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ وامتثلوا
ع ١٠ الامر الذي كان يسيرا فعسروه وكان واسعا فضيقوه ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ما امروا به لما
وقع منهم من التثبط والتعنت وعدم المبادرة فكان ذلك مظنة للاستبعاد محلا للمجيء بعبارة
مشعرة بالتثبط والتعنت الكائن منهم وقيل انهم ما كادوا يفعلون لعدم وجدان البقرة
المتصفة بهذه الاوصاف وقيل لارتفاع ثمنها وقيل لخوف انكشاف امر المقتول والاول ارجح
وقد استدل جماعة من المفسرين والاصوليين بهذه الاية على جواز النسخ قبل امكان الفعل
وليس ذلك عندي بصحيح لوجهين الاول ان هذه الاوصاف المزيدة بسبب تكرار السوال
هي من باب التقييد للمامور به لا من باب النسخ وبين البابين بون بعيد كما هو مقرر في علم
الاصول الثاني انا لو سلمنا ان هذا من باب النسخ لا من باب التقييد لم يكن فيه دليل على ما قالوه
فانه قد كان يمكنهم بعد الامر الاول ان يعمدوا الى بقرة من عُرُض البقر فيذبحوها ثم كذلك
بعد الوصف بكونها جامعة بين الوصف بالعوان والصفرة ولا دليل يدل على ان هذه المحاورة
بينهم وبين موسى عليه السلام واقعة في لحظة واحدة بل الظاهر ان هذه الاسئلة المتعنتة

كانوا يتواطئون عليها او يدرون الرأي بينهم في امرها ثم يوردونها واقل الاحوال الاحتمال
القادح في الاستدلال وعن عبيدة السلماني قال كان رجل من بني اسرائيل عقيما لا يولد له
وكان له مال كثير وكان ابن اخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم
ثم اصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم الى بعض فقال ذو الرأي منهم علام يقتل بعضكم
بعضا وهذا رسول الله فيكم فاتوا موسى فذكروا ذلك له فقال ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة
الآية قال فلو لم يعترضوا لاجزأت عنهم ادنى بقرة ولكنهم شددوا فشدد عليهم حتى انتهوا الى البقرة
التي امروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال والله لا انقصها من ملء جلدها
ذهبا فاخذوها بملء جلدها ذهبا فذبحوها فضربوه ببعضها فقام فقالوا من قتلك فقال هذا
لابن اخيه ثم مال ميتا فلم يعط من ماله شيئا ولم يورث قاتل بعده وعن ابن عباس ان القتيل
وجد بين قريتين وان البقرة كانت لرجل كان يبر اباه فاشتروها بوزنها ذهبا وقد روي في
هذا قصص مختلفة لا يتعلق بها كثير فائدة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ اي واذكروا يا بني اسرائيل وقت
قتل هذه النفس وما وقع فيه من القصة والخطاب لليهود المعاصرين للنبي صلعم واسناد القتل
والتدارؤ اليهم لان ما يصدر عن الاسلاف ينسب للاخلاف توبيخا وتقريعا قال الرازي في
تفسيره اعلم ان وقوع القتل لا بد ان يكون متقدما لامره تعالى بالذبح فاما الاخبار عن وقوع
القتل وعن انه لا بد ان يضرب القتيل ببعض تلك البقرة فلا يجب ان يكون متقدما على الاخبار
عن قصة البقرة فقول من يقول القصة يجب ان تكون متقدمة في التلاوة على الاولى خطأ
لان هذه القصة في نفسها يجب ان تكون متقدمة على الاولى في الوجود فاما التقدم في الذكر
فغير واجب لانه تارة يقدم ذكر السبب على الحكم واخرى على العكس من ذلك فكأنهم لما وقعت
لهم تلك الواقعة امرهم الله بذبح البقرة فلما ذبحوها قال واذ قتلتم نفسا من قبل اسمه عاميل ذكره
الكرماني وقيل نكار حكاه الماوردي وقاتله ابن اخيه وقيل اخوه ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ اختلفتم و
تنازعتم لان المتنازعين يدرء بعضهم بعضا اي يدفعه ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ اي ما كتمتم
بينكم من امر القتل فالله مظهره لعباده ومبينه لهم وعن المسيب بن رافع قال ما عمل رجل
حسنة في سبعة ابيات الا اظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة ابيات الا اظهرها الله

وتصديق ذلك في كتاب الله والله مخرج ما كنتم تكتمون واخرج احمد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو ان رجلا عمل عملا في صخرة صما لا باب لها ولا كوة خرج عمله الى الناس كائنا ما كان واخرج البيهقي من حديث عثمان قال قال رسول الله صلعم من كانت له سريرة صالحة او سيئة اظهر الله عليه منها رداء يعرف به والموقوف اصح وللجماعة من الصحابة والتابعين كلمات تفيد هذا المعنى فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا يعني القتيل واختلف في تعيين البعض الذي امروا بان يضربوا به القتيل فقيل بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمين وقال ابن عباس بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن ولا حاجة الى ذلك مع ما فيه من القول بغير علم ويكفينا ان نقول امرهم الله بان يضربوه ببعضها فاي بعض ضربوا به فقد فعلوا ما امروا به وما زاد على هذا فهو من فضول العلم اذا لم يرد به برهان وليس في الكتاب العزيز والسنة المطهرة ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى اي كمثل هذا الاحياء يوم القيمة فلا فرق بينهما في الجواز والامكان والغرض من هذا الرد عليهم في انكار البعث وهذا يقتضي ان يكون الخطاب مع العرب لا مع اليهود لانهم يقرون بالبعث والجزاء وعلى هذا الجملة اعتراض في خلال الكلام المسوق في شان اليهود وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ اي علاماته ودلائله الدالة على كمال قدرته وهذا يحتمل ان يكون خطابا لمن حضر القصة ويحتمل ان يكون خطابا للموجودين عند نزول القرآن والروية هنا بصرية لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ اي تمنعون انفسكم عن المعاصي وقد اخرج عبد بن حميد وابو الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه قصة طويلة في ذكر البقرة وصاحبها لا حاجة الى التطويل بذكرها وقد استوفاها السيوطي في الدر المنثور ثُمَّ موضوعة للتراخي في الزمان ولا تراخي هنا فهي محمولة على الاستبعاد مجازا قَسَتْ قُلُوبُكُمْ اي يبست وجفت وقيل غلظت واسودت وصلبت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه والقسوة الصلابة واليبس وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان لآيات الله مع وجود ما يقتضي خلاف هذه القسوة من احياء القتيل وتكلمه وتعيينه لقاتله وفيه استعارة تبعية تمثيلية تشبيها لحال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ بالقسوة

والاشارة بقوله من بعد ذلك الى ما تقدم من الايات الموجبة للين القلب ورقته التي
جاء بها موسى او احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة وهذا امر كل للاستبعاد المذكور
اشد تأكيد فهي اي القلوب في الغلظة والشدة كالحجارة اي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه قيل
او في قوله او اشد قسوة بمعنى الواو كما في قوله تعالى اثما او كفورا وقيل هي بمعنى بل واختاره
ابو حيان وعلى ان او على اصلها او بمعنى الواو فالعطف على قوله كالحجارة اي هذه القلوب
هي كالحجارة او هي اشد قسوة منها فشبهوها باي الامرين شئتم فانكم مصيبون في هذا
التشبيه وقد اجاب الرازي في تفسيره عن وقوع او ههنا مع كونها للترديد الذي لا يليق
بعلام الغيوب بثمانية اوجه وان من الحجارة قال في الكشاف انه بيان لفضل قلوبهم
على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة انتهى وفيه ان مجيء البيان بالواو
غير معروف ولا مألوف والاولى جعل ما بعد الواو تذييلا او حالا لما يتفجر منه الانهار
قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط
والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء يعني العيون الصغار التي
هي دون الانهار التفجر التفتح والشق واحد الشقوق وهو يكون بالطول او بالعرض بخلاف
الانفجار فهو الانفتاح من موضع واحد مع اتساع الخرق والمراد ان الماء يخرج من الحجارة من
مواضع الانفجار والانشقاق وان منها لما يهبط من خشية الله اي ان من الحجارة لما ينحط
من المكان الذي هو فيه الى اسفل منه من الخشية التي تداخله وتحل به وقيل ان الهبوط
مجاز عن الخشوع منها والتواضع الكائن فيها انقيادا لله عز وجل فهو مثل قوله تعالى لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله واختاره ابن عطية وقد حكى
ابن جرير عن فرقة ان الخشية للحجارة مستعارة كما استعيرت الارادة للجدار وذكر الجاحظ
ان الضمير في قوله وان منها راجع الى القلوب لا الى الحجارة وهو فاسد فان الغرض من سياق
هذا الكلام هو التصريح بان قلوب هؤلاء بلغت في القسوة وفرط اليبس الموجبين لعدم قبول
الحق والتأثر للمواعظ الى مكان لا تبلغ اليه الحجارة التي هي اشد الاجسام صلابة واعظمها
صلادة فانها ترجع الى نوع من اللين وهو تفجرها بالماء وتشققها عنه وقبولها لما توجبه الخشية

لله من الخشوع والانقياد بخلاف تلك القلوب وفي قوله وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
من التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى فان الله عز وجل اذا كان عالما بما يعملونه مطلعا
عليه غير غافل عنه كان لمجازاتهم بالمرصاد أَفَتَطْمَعُونَ الهمزة للاستفهام وتدخل على ثلاثة
من حروف العطف الفاء كما هنا والواو كقوله الآتي اولا يعلمون وثم كقوله اثم اذا ما وقع واختلف
في مثل هذه التراكيب فذهب الجمهور الى ان الهمزة مقدمة من تاخير لان لها الصدر والتقدير
فأتطمعون وألا يعلمون وثم أاذا وذهب الزمخشري الى انها داخلة على محذوف دل عليه سياق
الكلام والتقدير هنا اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ مع انهم
لم يؤمنوا بموسى هذا الاستفهام فيه معنى الانكار كانه ايسهم من ايمان هذه الفرقة من اليهود
والخطاب لاصحاب النبي صلعم او له صلعم والجمع للتعظيم وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ قيل المراد بالفريق
هم الذين كانوا مع موسى عليه السلام يوم الميقات والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللّٰهِ اي التوراة وقيل انهم سمعوا خطاب الله لموسى عليه السلام حين كلمه
وعلى هذا فيكون الفريق هم السبعون الذين اختارهم موسى ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ اي يغيرونه ويبدلونه
والتحريف الامالة والتحويل وثم للتراخي اما في الزمان او في الرتبة والمراد من التحريف انهم عمدوا
الى ما سمعوه من التوراة فجعلوا حلاله حراما او نحو ذلك مما فيه موافقة لاهوائهم كتحريفهم
صفة رسول الله صلعم واسقاط الحد عن اشرافهم او سمعوا كلام الله لموسى عليه السلام
فزادوا فيه ونقصوا وهذا اخبار عن اصرارهم على الكفر وانكار على من طمع في ايمانهم و
حالهم هذه الحال اي ولهم سلف حرفوا كلام الله وغيروا شرايعه وهم مقتدون بهم متبعون
سبيلهم مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ اي علموا صحة كلام الله ومراده فيه وَهُمْ يَعْلَمُونَ اي ذلك الذي
فعلوه هو تحريف مخالف لما امرهم الله به من تبليغ شرايعه كما هي فهم وقعوا في المعصية عالمين
بها وذلك اشد لعقوبتهم وابين لضلالتهم وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا نزلت في اليهود
قال ابن عباس ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلعم قالوا لهم آمنا بالذي
آمنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهودا رؤساء اليهود لاموا منافقي

اليهود على ذلك وعن عكرمة انها نزلت في ابن صوريا وقالوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيكُم
وذلك ان ناسا من اليهود اسلموا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب
به اباءهم وقيل ان المراد ما فتح الله عليهم في التوراة في صفة محمد صلعم والفتح عند العرب
القضاء والحكم والفتاح القاضي بلغة اليمن والفتح النصر ومن ذلك قوله تعالى يستفتحون
على الذين كفروا وقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ومن الاول ثم يفتح بيننا بالحق وهو خير
الفاتحين اي الحاكمين ويكون الفتح بمعنى الفرق بين الشيئين وقيل معناه الانزال وقيل
الاعلام او التبيين والمراد اي ما من به عليكم من نصركم على عدوكم لِيُحَاجُّوكُم بِهِ اي
ليخاصمكم اصحاب محمد صلعم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في
كتابكم الا تتبعونه عِندَ رَبِّكُم في الدنيا والاخرة وقيل عند بمعنى في وقيل عند ذكر
ربكم والاول اولى والمحاجة ابراز الحجة اي لا تخبروهم بما حكم الله به عليكم من العذاب فيكون ذلك حجة لهم
عليكم فيقولون نحن اكرم على الله منكم واحق بالخير منه والحجة الكلام المستقيم وحاججت فلانا
فحججته اي غلبته بالحجة أَفَلَا تَعقِلُونَ ما فيه الضرر عليكم من هذا التحديث الواقع منكم لهم
وهذا من تمام مقولهم ثم وبخهم الله سبحانه فقال أَوَلَا يَعلَمُونَ اي اليهود أَنَّ اللّٰهَ يَعلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعلِنُونَ ما يخفون وما يبدون ويظهرون من جميع انواع الاسرار وانواع الاعلان
ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان وتحريف الكلم عن مواضعه قال ابن عباس
هذه الايات في المنافقين من اليهود وقال ابو العالية ما يسرون من كفرهم بمحمد صلعم وتكذيبهم
وما يعلنون حين قالوا للمؤمنين امنا وقد قال بمثل هذا جماعة من السلف وَمِنهُم أُمِّيُّونَ
اي ومن اليهود والامي منسوب الى الامة الامية التي هي على اصل ولادتها من امهاتها لم تتعلم
الكتابة ولا تحسن القراءة للمكتوب ومنه حديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقال
ابو عبيدة انما قيل لهم اميون لنزول الكتاب عليهم كانهم نسبوا الى ام الكتاب فكانه قال
ومنهم اهل كتاب وقيل هم نصارى العرب وقيل هم قوم كانوا اهل كتاب فرفع كتابهم لذنوب
ارتكبوها وقيل هم المجوس حكاه المهدوي وقيل غير ذلك والراجح الاول وقيل اميون اي عوام
ومن هذا شانه لا يطمع في ايمانه لَا يَعلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ اي انهم لا علم لهم بالامام

عليه من الاماني التي يتمنونها ويعللون بها انفسهم والاماني جمع امنية وهي ما يتمناه الانسان
لنفسه فهؤلاء لا علم لهم بالكتاب الذي هو التوراة لما هم عليه من كونهم لا يكتبون ولا يقرؤن
المكتوب والاستثناء منقطع اي لكن الاماني ثابتة لهم من كونهم مغفوراً لهم بما يدعونه
لانفسهم من الاعمال الصالحة او بما لهم من السلف الصالح في اعتقادهم وقيل الاماني الاكاذيب
المختلفة قاله ابن عباس اي ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليداً من المحرفين او مواعيد
فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هوداً وقيل الاماني التلاوة ومنه قوله
تعالى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي اذا تلى القى الشيطان في تلاوته اي لا علم لهم
الا مجرد التلاوة من دون تفهم وتدبر وقراءة عارية عن معرفة المعنى وقيل الاماني التقدير
قال الجوهري يقال منى له اي قدر قال في الكشاف والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني
يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا انتهى
وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه والمعنى
لكن يتمنون اشياء لا تحصل لهم وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ اي ليسوا على يقين والظن هو التردد
الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم كذا في القاموس اي ما هم الا يترددون بغير جزم
ولا يقين وقيل الظن هنا بمعنى الكذب وقيل هو مجرد الحدس لما ذكر الله سبحانه اهل العلم
منهم بانهم يتكلون على الاماني ويعتمدون على الظن الذي لا يقفون من تقليدهم على غيره
ولا يظفرون بسواه فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ الويل الهلاك قال الفراء الاصل
في الويل وي اي حزن كما تقول وي لفلان اي حزن له فوصلته العرب باللام قال الخليل
ولم يسمع على بنائه الا ويح وويس وويه وويك وويب وكله متقارب في المعنى وقد فرق بينها
قوم وهي مصادر لم تنطق العرب بافعالها وجاز الابتداء به وان كان نكرة لان فيه معنى الدعاء
وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلعم
الويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب والتحريف السنة والكتابة معروفة والمعنى انهم يكتبون الكتاب المحرف ولا يبينون
ولا ينكرونه على فاعله وقوله بايديهم تاكيد لان الكتابة لا تكون الا باليد فهو مثل قوله ولا طائر

يطير بجناحيه وقوله يقولون بأفواههم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ قال ابن السراج هو
كناية عن انه من تلقاءهم دون ان ينزل عليهم وفيه انه قد دل على انه من تلقائهم قوله يكتبون
الكتاب فاسناد الكتابة اليهم يفيد ذلك لِيَشْتَرُوا بِهِ اي بما كتبوا ثَمَنًا قَلِيلًا اي المآكل والرشاء
والاشتراء الاستبدال ووصفه بالقلة لكونه فانيا لا ثواب فيه او لكونه حراما لا تحل به البركة فهؤلاء
الكتبة لم يكتفوا بالتحريف ولا بالكتابة لذلك المحرف حتى نادوا في المحافل بانه من عند الله لينالوا
بهذه المعاصي المتكررة هذا الغرض النزر والعوض الحقير فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ
تأكيد لقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ومع ذلك فيه نوع مغايرة لان هذا اوقع
تعليلا فهو مقصود وذلك وقع صلة فهو غير مقصود والكلام في هذا كالذي فيما قبله من جهة
ان التكرير للتأكيد وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ قيل من الرشاء ونحوها وقيل من المعاصي وكرر الويل تغليظا
عليهم وتعظيما لفعلهم وهتكا لاستارهم وقال سعد التفتازاني انما كرر ليفيد ان الهلاك مترتب
على كل واحد من الفعلين على حدة لا على مجموع الامرين والكسب مسبب فجاء النظم على هذا
الترتيب وقد ذكر صاحب الدر المنثور آثارا عن جماعة من السلف انهم كرهوا بيع المصاحف مستدلين
بهذه الآية ولا دلالة فيها على ذلك ثم ذكر آثارا عن جماعة منهم انهم جوزوا ذلك ولم يكرهوه وَقَالُوا
اي اليهود لَنْ تَمَسَّنَا اي تصيبنا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً استثناء مفرغ اي قدرا مقدرا
يحصرها العد ويلزمها في العادة القلة ثم يرفع عنا العذاب وقد اختلف في سبب نزول هذه
الآية قال ابن عباس ان اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل
الف سنة من ايام الدنيا يوما واحدا في النار وانما هي سبعة ايام معدودة ثم ينقطع العذاب
فانزل الله في ذلك هذه الآية وعن عكرمة قال اجتمعت يهود يوما فخاصموا النبي صلعم فقالوا
لن تمسنا النار الا اربعين يوما ثم يخلفنا فيها ناس واشاروا الى النبي صلعم واصحابه فقال رسول
الله صلعم ورد يديه على راسه كذبتم بل انتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها ان شاء الله ابدا
ففيهم نزلت هذه الآية واخرج احمد والبخاري والدارمي والنسائي من حديث ابي هريرة ان
النبي صلعم سأل اليهود في خيبر من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم
رسول الله صلعم اخسئوا والله لا نخلفكم فيها ابدا والمراد بقوله قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا

الانكار عليهم لما صدر منهم من هذه الدعوى الباطلة انها لم تمسهم النار الا اياما معدودة
اي لم يتقدم لكم مع الله عهد بهذا ولا اسلفتم من الاعمال الصالحة ما يصدق هذه الدعوى
حتى يتعين الوفاء بذلك وعدم اخلاف العهد اي ان اتخذتم عهدا فَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ
هذا جواب الاستفهام المتقدم في قوله اتخذتم وقال ابن عطية هذا اعتراض بين اثناء الكلام
قال الرازي العهد في هذا الموضع يجري مجرى الوعد وانما سمي خبره سبحانه عهدا لان خبره
اوكد من العهود المؤكدة أَمْ تَقُولُونَ ام متصلة وحرف الاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت
او منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قيل انهم لو قالوا
نعم لكفروا قاله السمين بَلٰى اثبات لما بعد حرف النفي اي بلى تمسكم النار ابدا لا على الوجه
الذي ذكرتم من كونه اياما معدودة مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً المراد بها الجنس هنا ومثله قوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها من يعمل سوءا يجز به ثم اوضح سبحانه ان مجرد كسب السيئة لا يوجب
الخلود في النار بل لابد ان يكون سببه محيطا به فقال وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيْئَتُهُ اي احدقت به
من جميع جوانبه فلا تبقى له حسنة وسدت عليه مسالك النجاة قيل هي الشرك قاله ابن عباس
ومجاهد وقيل هي الكبيرة وتفسيرها بالشرك اولى لما ثبت في السنة تواترا من خروج عصاة
الموحدين من النار ويؤيد ذلك كونها نازلة في اليهود وان كان الاعتبار بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب وعليه اجماع المفسرين وبهذا يبطل تشبث المعتزلة والخوارج قال الحسن
كل ما وعد الله عليه النار فهو الخطيئة فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ والخلود
في النار هو للكفار والمشركين فيتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الآية بالكفر و
الشرك وَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي جمعوا بين الايمان والعمل الصالح فان قلت لو
دل الايمان على العمل لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكرارا قلت آمنوا يفيد الماضي
عملوا يفيد المستقبل فكأنه قال آمنوا ثم داموا عليها آخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة
أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لا يخرجون منها ولا يموتون واتى بالفاء في الشق الاول
دون الثاني ايذانا بتسبب الخلود في النار عن الشرك وعدم تسبب الخلود في الجنة عن الايمان
بل هو بمحض فضل الله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا الخطاب مع بني اسرائيل وهم اليهود المعاصرون

للنبي صلعم بما وقع من اسلافهم وقيل الخطاب للنبي صلعم والاول اولى اي اذكر واذ اخذنا
وهذا شروع في تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف اليهود بما ينادي بعدم ايمان اخلافهم
مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ الذين كانوا في زمن موسى وقد تقدم تفسير الميثاق الماخوذ على بني اسرائيل
وقال مكي ان الميثاق الذي اخذه الله عليهم هنا هو ما اخذه عليهم في حياتهم على السن انبيائهم
وهو قوله لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللّٰهَ خبر بمعنى النهي وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من الاعتناء بشان
المنهي عنه وتاكد طلب امتثاله حتى كانه امتثل واخبر عنه وعبادة الله اثبات توحيده وتصديق
رسله والعمل بما انزل الله في كتبه وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا اي معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما
وامتثال امرهما وسائر ما اوجبه الله على الولد لوالديه من الحقوق ومنه البر بهما والرحمة لهما
والنزول عند امرهما فيما لا يخالف امر الله ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما وان كانا
كافرين وان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما بالمعروف من غير
عنف ولا يقول لهما اف وَذِي الْقُرْبَىٰ اي القرابة لان حقها تابع لحقهما والاحسان اليهم انما هو
بواسطة الوالدين والقربى مصدر كالرجعى والعقبى وهم القرابة والاحسان بهم صلتهم والقيام
بما يحتاجون اليه بحسب الطاقة وبقدر ما تبلغ اليه القدرة وَالْيَتَامَىٰ جمع يتيم واليتيم في بني
ادم من فقد ابوه وفي سائر الحيوانات من فقدت امه واصله الانفراد يقال صبي يتيم اي
منفرد من ابيه فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره و
يتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه وَالْمَسَاكِينِ جمع
مسكين وهو من اسكنته الحاجة وذللته وهو اشد فقرا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وكثير
من اهل الفقه وروي عن الشافعي ان الفقير اسوء حالا من المسكين وقد ذكر اهل العلم
لهذا البحث ادلة مستوفاة في مواطنها وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا مصدر كبشرى وقرأ زيد بن
ثابت وابن مسعود حَسَنًا قال الاخفش هما بمعنى واحد مثل البخل والبخل والرشد والرشد فهو
صفة مشبهة لا مصدر كما فهم من عبارة القاموس فسقط ما للكرخي هنا والظاهر ان هذا القول
الذي امرهم الله به لا يختص بنوع معين بل كل ما صدق عليه انه حسن شرعا كان من جملة ما
يصدق عليه هذا الامر وقد قيل ان ذلك هو كلمة التوحيد وقيل الصدق وقيل الامر بالمعروف

و قيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق والنهي عن المنكر وقيل غير ذلك قيل الخطاب
للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلعم فلهذا عدل عن الغيبة الى الخطاب قاله ابن عباس ع
قيل ان المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام وانما عدل من الغيبة الى الخطاب
على طريق الالتفات وتقدم تفسير قوله وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وهو خطاب لبني اسرائيل
فالمراد الصلوة التي كانوا يصلونها والزكوة التي كانوا يخرجونها قال ابن عطية وزكاتهم هي التي
كانوا يضعونها فتنزل النار على ما يتقبل ولا تنزل على ما لا يتقبل والخطاب في قوله ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ
قيل للحاضرين منهم في عصر النبي صلعم لانهم مثل سلفهم في ذلك وفيها التفات من الغيبة الى الخطاب
اي اعرضتم عن العهد ومن فوائد الالتفات تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما
جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد كما هو مقرر
في محله والاعراض والتولي بمعنى واحد وقيل التولي بالجسم والاعراض بالقلب إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ
منصوب على الاستثناء وهو من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم كعبد الله
بن سلام واصحابه وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ كاعراضا بائكرامهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية
لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به ثم اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
قيل هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلعم من اليهود والمراد اسلافهم المعاصرون لموسى على
سنن التذكيرات السابقة وهذا شروع في بيان ما فعلوه بالعهد المتعلق بحقوق العباد بعد
بيان ما فعلوا بالعهد المتعلق بحقوق الله وما يجري مجراها وقيل لآبائهم وفيه تقريع لهم وتوبيخ
لَا تَسْفِكُونَ اي لا تريقون والسفك الصب وقرئ من السفك وقد تقدم دِمَاءَكُمْ اي لا يفعل
ذلك بعضكم ببعض او لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكانكم سفكتم دماء انفسكم
فهو من باب المجازاة بادنى ملابسة او لانه يوجب قصاصا فهو من باب اطلاق المسبب على
السبب وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا
شيئا فتخرجوا بسببه من دياركم والدار المنزل الذي فيه ابنية للمقام بخلاف منزل الارتحال و
قال الخليل كل موضع حله قوم فهو دار لهم وان لم يكن فيه ابنية وقيل سميت دارا لدورها على سكانها
كما يسمى الحائط حائطا لاحاطته على ما يحويه ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ من الاقرار اي حصل منكم الاعتراف

بهذا الميثاق المأخوذ عليكم انه حق وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ يا معشر اليهود الشهادة هنا بالقلوب وقيل هي بمعنى الحضور اي انكم الآن تشهدون على اسلافكم بذلك وعلى هذا اسناد الاقرار اليهم مجاز وكان الله سبحانه قد اخذ في التوراة على بني اسرائيل ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا ينفيه ولا يسترقه ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ اي انتم هؤلاء الحاضرون المشاهدون تخالفون ما اخذه الله عليكم في التوراة واصل المظاهرة المعاونة مشتقة من الظهر لان بعضهم يقوي بعضا فيكون له كالظهر ومنه قوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم والاثم في الاصل الذنب وجمعه آثام ويطلق على الفعل الذي يستحق به صاحبه الذم واللوم وقيل هو ما تنفر منه النفس ولا يطمئن اليه القلب والآية تحتمل ما ذكرنا وتحتمل ان يجوز به عما يوجب الاثم اقامة للسبب مقام المسبب والعدوان التجاوز في الظلم وهو مصدر كالكفران والغفران والمشهور ضم فائه وفيه لغة بالكسر وَإِن يَأْتُوكُمْ اي الفريق الذي تخرجونه من ديارهم وقت الحرب حال كونه أُسَارَىٰ اي اسيرا قال الزجاج يقال اسارى كما يقال سكارى قال ابن فارس يقال في جمع اسير اسرى واسارى انتهى فالعجب من ابي حاتم حيث ينكر ما ثبت في التنزيل وقرءبه الجمهور والاسير مشتق من السير وهو القد الذي يشد به المحمل فسمي اسيرا لانه يشد وثاقا ثم سمي كل اخيذ اسيرا وان لم يوخذ تُفَادُوهُمْ اي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقيل تبادلوهم وهو مفاداة الاسير والفداء هو ما يؤخذ من الاسير ليفك به اسره يقال فداه وفاداه اعطي فداءه وانقذه وَهُوَ ضمير الشان ويسمى ضمير القصة ولا يرجع الا على ما بعده وفائدته الدلالة على تعظيم الخبر عنه وتفخيمه مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ قال المفسرون كان الله سبحانه قد اخذ على بني اسرائيل في التوراة اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة وفداء اسراهم فاعرضوا عن كل ما امروا به الا الفداء فوبخهم الله على ذلك بقوله أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ اي ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة

افعالهم لانهم اتوا ببعض ما يوجب عليهم وتركوا البعض وهذا هو مناط التوبيخ حسبما يفيده
ترتيب النظم الكريم لان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند
الله داخلا في الميثاق فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَّفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ يا معشر اليهود اِلَّا خِزْيٌ فِي
الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا الخزي الهوان والعذاب وقد وقع هذا الجزاء الذي وعد الله به الملاعين
اليهود موفرا فصاروا في خزي عظيم بما الصق بهم من الذل والمهانة بالاسر والقتل وضرب
الجزية والجلاء فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الاجلاء والنفي من
منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّوْنَ اِلٰى اَشَدِّ الْعَذَابِ يعني
النار لانهم جاؤا بذنب شديد ومعصية فظيعة وهذا اخبار من الله سبحانه بان اليهود
لا يزالون في عذاب موفر لازم لهم بالجزية والصغار والذلة والمهانة وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُوْنَ فيه وعيد وتهديد عظيم اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ بان
اثروها عليها لان الجمع بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا
فاتته لذات الاخرة قال قتادة استحبوا قليل الدنيا على كثير الاخرة فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ
ابدا ما داموا وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ اي لا يمنعون من عذاب الله لا يوجد لهم ناصر يدفع عنهم ع ٤
ولا يثبت لهم نصر في انفسهم على عدوهم وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ اي اعطيناه
التورية جملة واحدة مفصلة محكمة شروع في بيان بعض اخر من جناياتهم وتصديره
بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهٖ بِالرُّسُلِ اي اتبعنا والتقفية
الاتباع والارداف وهو ان يقفو اثر الاخر ماخوذ من القفا وهو مؤخر العنق والمراد
ان الله سبحانه ارسل على اثره رسلا جعلهم تابعين له وكانت الرسل من بعد موسى الى
زمن عيسى متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة وهم انبياء بني اسرائيل
المبعوثون من بعدهم كاشموئيل بن بابل والياس ومنشائل واليسع ويونس وزكريا ويحيى
وشعيا وحزقيل وداود وسليمان وارميا وهو الخضر وعيسى بن مريم فهؤلاء الرسل
بعثهم الله وانتخبهم من امة موسى واخذ عليهم ميثاقا غليظا ان يؤدوا الى امتهم صفة محمد
صلى الله عليه وسلم وصفة امته وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله عيسى فجاءهم بشريعة جديدة

وغير بعض احكام التورية فذلك قوله وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ اي الدلالات
الواضحات وهي الادلة التي ذكرها الله في آل عمران والمائدة وهي الايات التي وضع
على يديه من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وخلقه من الطين كهيئة الطير
وابراء الاسقام والخبر بكثير من الغيوب وما ورد عليهم من التورية والانجيل
الذي احدث الله اليه وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم
بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لهما كزيد من الرجال ذكر السيوطي في التحبير ان مدة
ما بين موسى وعيسى الف وتسعمائة سنة وخمس وعشرون سنة وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ والتأييد التقوية وروح القدس من اضافة الصفة الى الموصوف اي الروح
المقدسة والقدس الطهارة والمقدس المطهر قيل هو جبريل قاله ابن مسعود ايد
الله به عيسى وسمي جبريل روحا واضيف الى القدس لانه كان بتكوين الله له من غير
ولادة وقيل القدس هو الله عز وجل وروحه جبريل وقيل المراد بروح القدس الاسم
الذي كان يحيي به عيسى الموتى واسم الله الاعظم وقيل المراد به الانجيل وقيل المراد
به الروح المنفوخ فيه ايده الله به لما فيه من القوة وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلعم
قال اللهم ايد حسان بروح القدس وكان جبريل يسير مع عيسى حيث سار فلم يفارقه
حتى صعد به الى السماء وهو ابن ثلث وثلثين سنة أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
أَنْفُسُكُمُ اي بما لا يوافقها ويلايمها واصل الهوى الميل الى الشيء قال الجوهري وسمي
الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه الى النار ووبخهم الله سبحانه بهذا الكلام المعنون بهمزة
التوبيخ اسْتَكْبَرْتُمْ عن اجابته احتقارا للرسل واستبعادا للرسالة والسين زائدة للمبالغة
فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ الفاء للتفصيل ومن الفريق المكذب بين عيسى ومحمد عليهما
الصلوة والسلام ومن الفريق المقتولين يحيى وزكريا عليهما الصلوة والسلام وسائر من
قتلوه وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ جمع اغلف المراد به هنا الذي عليه غشاوة تمنع من وصول
الكلام اليه فلا يعي ولا يفقه قال في الكشاف هو مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقوله
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل ان الغلف جمع غلاف مثل حمار وحمر اي قلوبنا

او عية للعلم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علما كثيرا فرد الله عليهم ما قالوه
فقال بَل لَّعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ اي طردهم وابعدهم من كل خير واصل اللعن في كلام العرب
الطرد والابعاد فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ وصف ايمانهم بالقلة لانهم الذين قص الله
علينا من عنادهم وعجرفتهم وشدة لجاجهم وبعدهم من اجابة الرسل ما قصه ومن
جملة ذلك انهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وقال معمر المعنى لا يؤمنون
الا بقليل مما في ايديهم ويكفرون باكثره قال الواقدي معناه لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا
قال الكسائي يقول العرب مررنا بارض قلّ ما تنبت الكراث والبصل اي لا تنبت
شيئا واخرج احمد بسند جيد عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلعم القلوب اربعة
قلب اجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب اغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب
مصفح فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر
واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم انكر واما القلب المصفح فقلب فيه ايمان و
نفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدها القيح فاي المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه وقال قتادة لا يؤمن منهم الا قليل
لان من امن من المشركين كان اكثر منهم وقيل فزمانا قليلا يؤمنون فهو على حد قوله امنوا
وجه النهار واكفروا اخره وَلَمَّا جَاءَهُمْ اي اليهود كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّٰهِ هو القران مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ من التوراة والانجيل انه يخبرهم بما فيهما ويصدقه ولا يخالفه وَكَانُوا مِن قَبْلُ
مبعث النبي صلعم يَسْتَفْتِحُونَ اي يستنصرون به والاستفتاح الاستنصار اي كانوا من
قبل يطلبون من الله النصر على اعدائهم بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي يجدون صفته
عندهم في التورية وقيل الاستفتاح هنا بمعنى الفتح اي يخبرونهم بانه سيبعث ويعرفونهم
بذلك عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا احزنهم امر ودهمهم
عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة
فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما
قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا يعني محمدا صلعم وعرفوا انه نبي من غير

بني اسرائيل كَفَرُوا بِهِ اي جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكَافِرِينَ اي
عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واستعلت عليهم
وشملتهم واللام للعهد او للجنس ودخلوا فيه دخولا اوليا بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ اي
بئس الشيء وقال الفراء بئسما بجملته شيء واحد ركب كحبذا اي بئس ما باعوا به حظ انفسهم
حين استبدلوا الباطل بالحق أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ يعني القرآن بَغْيًا اي حسدا قال
الاصمعي البغي ماخوذ من قولهم قد بغى الجرح اذا فسد وقيل اصله الطلب ولذلك سميت
الزانية بغيا وهو علة لقوله يكفروا قاله القاضي وقال الزمخشري هو علة لقوله اشتروا او
قوله الآتي ان ينزل علة لقوله بغيا اي لان ينزل والمعنى انهم باعوا انفسهم بهذا الثمن البخس
حسدا ومنافسة أَنْ يُنَزِّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وليس بواجب عليه عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَبَاءُوا اي فرجعوا وصاروا احقاء بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ قيل الغضب الاول لعبادتهم العجل
والثاني لكفرهم بمحمد صلعم وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام والانجيل ثم لكفرهم بمحمد صلعم
والقرآن وقيل لكفرهم بمحمد صلعم ثم البغي عليه وقال ابن عباس الاول بتضييعهم التورية
وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلعم وقيل غير ذلك فالتنكير للتعظيم وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
مُهِينٌ ذو اهانة ماخوذ من الهوان قيل وهو ما اقتضى الخلود في النار وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ وهو القرآن وقيل كل كتاب اي صدقوا بالقرآن او صدقوا بما انزل الله
من الكتب قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا اي التورية وَيَكْفُرُونَ الواو للحال بِمَا وَرَاءَهُ
اي بما سواه من الكتب قاله الفراء وبما بعده يعني الانجيل والقرآن قاله ابو عبيدة وقال
الجوهري وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام وامام وهي من الاضداد ومنه قوله تعالى
وكان وراءهم ملك اي قدامهم وهذا الخطاب وان كان مع الحاضرين من اليهود فالمراد به
اسلافهم ولكنهم لما كانوا يرضون بافعال سلفهم كانوا مثلهم وفي الاية دليل على ان من
رضي بالمعصية فكانه فاعل لها وَهُوَ الْحَقُّ يعني القرآن مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ يعني التوراة قُلْ
يا محمد فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل
الانبياء وهذا تكذيب لهم لان الايمان بالتورية مناف لقتل اشرف خلقه وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى

هذا داخل تحت الامر السابق اي وقل لهم لقد جاءكم موسى والغرض منه بيان
كذبهم هكذا افاده البيضاوي وكثير من المفسرين وفيه نظر اشار له ابو السعود بِالْبَيِّنٰتِ
اي بالدلالات الواضحة والمعجزات الظاهرة والبينات يجوز ان يراد بها التوراة او التسع
الايات المشار اليها بقوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ويجوز ان يراد بها
الجميع ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْۢ بَعْدِهٖ اي من بعد النظر في تلك البينات او من بعد موسى
لما ذهب الى الميقات ليأتي بالتوراة وَاَنْتُمْ ظٰلِمُوْنَ اي حال كونكم ظالمين بهذه العبادة
الصادرة منكم عنادا بعد قيام الحجة عليكم وانما كرره تبكيتا لهم وتاكيد للحجة عليهم
وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ خُذُوْا مَاۤ اٰتَيْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاسْمَعُوْا قد
تقدم تفسير اخذ الميثاق ورفع الطور والامر بالسماع معناه الطاعة والقبول وليس
المراد مجرد الادراك بحاسة السمع ومنه قولهم سمع الله لمن حمده اي قبل واجاب قَالُوْا
سَمِعْنَا اي سمعنا قولك بحاسة السمع وَعَصَيْنَا يعني امرك بقلوبنا اي لا نقبل ما تامرنا
به ويجوز ان يكونوا ارادوا بقولهم سمعنا ما هو معهود من تلاعبهم واستعمالهم المغالطة
في مخاطبة انبياءهم وذلك بان يحملوا قوله تعالى اسمعوا على معناه الحقيقي اي السماع
بالحاسة ثم اجابوا بقولهم سمعنا اي ادركنا ذلك باسماعنا عملا بموجب ما تامرنا
به ولكنهم لما كانوا يعلمون ان هذا غير مراد الله عز وجل بل مراده بالامر بالسماع الامر
بالطاعة والقبول لم يقتصروا على هذه المغالطة بل ضموا الى ذلك ما هو الجواب عندهم
فقالوا وعصينا وَاُشْرِبُوْا فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ اي تداخل حبه في قلوبهم والحرص
على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وفيه تشبيه بليغ اي جعلت قلوبهم لتمكن حب
العجل منها كأنه تشربه وانما عبر عن حب العجل بالشرب دون الاكل لان شرب الماء
يتغلغل في الاعضاء حتى يصل الى باطنها والطعام يتجاوزها ولا يتغلغل فيها وقيل ان موسى
امر ان يبرد العجل ويذرى في النهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب
العجل ظهر سحالة الذهب على شاربه وما ابعده والاشراب مخالطة المائع للجامد ثم
اتسع فيه حتى قيل في الالوان نحو اشرب بياضه حمرة والباء للسببية اي بسبب كفرهم

قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ الذي زعمتم انكم تؤمنون بما انزل عليكم وتكفرون بما
وراءه فان هذا الصنع وهو قولكم سمعنا وعصينا في جواب ما امرتم به في كتابكم واخذ
عليكم الميثاق به مناد عليكم بابلغ نداء بخلاف ما زعمتم وكذلك ما وقع منكم من
عبادة العجل ونزول حبه من قلوبكم منزلة الشراب هو من اعظم ما يدل على
انكم كاذبون في قولكم نؤمن بما انزل علينا لا صادقون فان زعمتم ان كتابكم الذي
امنتم امركم بهذا فبئسما يأمركم به ايمانكم بكتابكم وفي هذا من التهكم ما لا يخفى إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بزعمكم والمعنى لستم بمؤمنين لان الايمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد
اباؤهم اي فكذلك لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمدا والايمان بها لا يأمر بتكذيبه
قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ اي نعيمها لان الدار الاخرة في الحقيقة هي
انقضاء الدنيا وهي للفريقين وهذا ردٌّ عليهم لما ادعوا انهم يدخلون الجنة ولا يشاركهم
في دخولها غيرهم والزام لهم بما تبين به انهم كاذبون في تلك الدعوى وانها صادرة
منهم لا عن برهان خَالِصَةً مصدر كالعافية والعاقبة وهو بمعنى الخلوص والمراد انه
لا يشاركهم فيها غيرهم اذا كانت اللام في قوله مِنْ دُونِ النَّاسِ للجنس او لا يشاركهم فيها
المسلمون ان كانت اللام للعهد وهذا ابج لقولهم في الاية الاخرى وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وهو مؤكد له لان دون تستعمل للاختصاص يقال
هذا لي دونك اي لا حق لك فيه فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ اي فاطلبوه واسألوه وانما امرهم بتمني
الموت لان من اعتقد انه من اهل الجنة كان الموت احب اليه من الحياة اذ لا سبيل
الى دخولها الا بعد الموت ولما كان ذلك منهم مجرد دعوى احجموا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
في قولكم ودعواكم ولهذا قال سبحانه وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا هو ظرف زمان يصدق بالماضي
وللمستقبل تقول ما فعلت ابدا ذكره السمين وقال هنا لن وفي الجمعة لا لان لن ابلغ
في النفي من لا ودعواهم هنا بالغة قاطعة فناسب ذكر لن فيها ودعواهم في الجمعة قاصرة
مردودة وهي زعمهم انهم اولياء الله فناسب ذكر لا فيها بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ اي بما قدمته
من الذنوب التي يكون فاعلها غير امن من العذاب بل غير طامع في دخول الجنة فضلا

عن كونها خالصة له مختصة به وانما اضاف العمل الى اليد لان اكثر جنايات الانسان
تكون من يده وقيل ان الله سبحانه صرفهم عن التمني ليجعل ذلك اية لنبيه صلعم والمراد
بالتمني هنا هو التلفظ بما يدل عليه لا مجرد خطوره بالقلب وميل النفس اليه فان
ذلك لا يراد في مقام المحاجة ومواطن الخصومة ومواقف التحدي وفي تركهم للتمني
اوصرفهم عنه معجزة لرسول الله صلعم فانهم قد كانوا يسلكون من التجرؤ والتجري
على الله وعلى انبيائه بالدعاوى الباطلة في غير موطن ما قد حكاه عنهم التنزيل فلم يتركوا
عادتهم هنا الا لما قد تقرر عندهم من انهم اذا فعلوا ذلك التمني نزل بهم الموت اما
لامر قد علموه او للصرفة من الله عز وجل وقد يقال قد ثبت النهي عن النبي صلعم عن تمني
الموت فكيف امره الله ان يامرهم بما هو منهي عنه في شريعته ويجاب بان المراد هنا
الزامهم الحجة واقامة البرهان على بطلان دعواهم عن ابن عباس قال قال لهم رسول
الله صلعم ان كنتم في مقالتكم صادقين فقولوا اللهم امتنا فوالذي نفسي بيده لا
يقولها رجل منكم الا غص بريقه فمات مكانه وعنه لو ان اليهود تمنوا لماتوا ولرأوا
مقاعدهم من النار وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰلِمِينَ فيه تخويف وتهديد لهم وانما خصهم بالظلم
لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان اعم وكانوا اولى به
وَلَتَجِدَنَّهُمْ اللام للقسم والنون للتاكيد اي والله لتجدنهم يا محمد وهذا ابلغ من قوله
ولن يتمنوه ابدا أَحْرَصَ النَّاسِ عَلٰى حَيٰوةٍ زيادة على عدم تمني الموت والحرص اشد
الطلب وتنكير حيوة للتحقير اي انهم احرص الناس على حقير حياة واقل لبث في الدنيا
فكيف بحياة كثيرة ولبث متطاول وقال في الكشاف انه اراد بالتنكير حيوة مخصوصة
وهي الحياة المتطاولة وتبعه في ذلك الرازي والخازن في تفسيرهما وَمِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا
ووجه ذكرهم بعد ذكر الناس مع كونهم داخلين فيهم للدلالة على مزيد حرص المشركين
من العرب ومن شابههم من غيرهم فمن كان احرص منهم وهم اليهود كان بالغا في
الحرص الى غاية لا يقادر قدرها وانما بلغوا في الحرص الى هذا الحد الفاضل على حرص
المشركين لانهم يعلمون بما يحل بهم من العذاب في الاخرة بخلاف المشركين من العرب

وغيرهم فانهم لا يقرون بذلك فكان حرصهم على الحياة دون حرص اليهود والاول وان
كان فيه خروج من الكلام في اليهود الى غيرهم من مشركي العرب لكنه ارجح لعدم استلزامه
التكلف ولا ضير في استطراد ذكر حرص المشركين بعد ذكر حرص اليهود وقال الرازي
ان الثاني ارجح ليكون ذلك ابلغ في ابطال دعواهم وفي اظهار كذبهم في قولهم ان الدار الاخرة
لنا لا لغيرنا انتهى ويجاب عنه بان هذا الذي جعله مرجحا قد افاده قوله تعالى ولتجدنهم
احرص الناس ولا يستلزم استيناف الكلام في المشركين ان لا يكونوا من جملة الناس
يَوَدُّ أَحَدُهُمْ وهم المجوس اي يتمنى احدهم لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ اي تعمير الف سنة
وانما خص الالف بالذكر لان العرب كانت تذكر ذلك عند ارادة المبالغة ولانها
نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زي هزار سال اي عش الف سنة
او الف نيروز والف مهرجان فهذه تحيتهم وهذا كناية عن الكثرة فليس المراد خصوص
هذا العدد والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ
اي بمباعده قيل هو راجع الى احدهم كما جرى عليه الجلال وعلى هذا يكون قوله ان يعمر
فاعلا لمزحزحه وقيل هو لما دل عليه يعمر من مصدره اي وما التعمير بمزحزحه ويكون قوله
ان يعمر بدلا منه وحكى الطبري عن فرقة انها قالت هو عماد وقيل هو ضمير الشان واليه
نحا الفارسي تبعا للكوفيين وقيل ما تميمية وهو مبتدا خبره بمزحزحه على زيادة الباء
وقيل ما هي الحجازية والضمير اسمها وما بعده خبرها والاول ارجح وكذلك الثاني والثالث
ضعيف جدا لان العماد لا يكون الا بين شيئين ولهذا يسمونه ضمير الفصل والرابع فيه
ان ضمير الشان يفسر بجملة سالمة عن حرف جر كما حكاه ابن عطية عن النحاة والزحزحة
التنحية يقال زحزحته فتزحزح اي نحيته فتنحى وتباعد مِنَ الْعَذَابِ من بمعنى عن اي
النار أَنْ يُعَمَّرَ اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ لا يخفى ع ١٠
عليه خافية من احوالهم قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ اي بسبب نزوله بالقران المشتمل
على سبهم وتكذيبهم هذه الاية قد اجمع المفسرون على انها نزلت في اليهود قال ابن جرير
الطبري واجمع اهل التاويل جميعا ان هذه الاية نزلت جوابا على اليهود اذ زعموا ان جبريل

عداوتهم وان ميكائيل ولي لهم ثم اختلفوا ما كان سبب قولهم ذلك فقال بعضهم
انما كان سبب قيلهم ذلك من اجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من
امر نبوته ثم ذكر روايات في ذلك وجبريل اسم ملك وهو اعجمي فلذلك لم ينصرف والقول
باشتقاقه من جبروت الله بعيد لان الاشتقاق لا يكون في الاسماء الاعجمية وكذا قول
من قال انه مركب تركيب الاضافة او تركيب مزج نحو حضرموت وفيه ثلث عشرة لغة
افصحها واشهرها بزنة قنديل والضمير في قوله فَإِنَّهُ يحتمل وجهين الاول ان يكون لله
ويكون الضمير في قوله نَزَّلَهُ لجبريل اي فان الله سبحانه نزل جبريل عَلَىٰ قَلْبِكَ وفيه
ضعف كما يفيده قوله مصدقا لما بين يديه الثاني انه لجبريل والضمير في قوله نزله
للقران اي فان جبريل نزل القران على قلبك وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم
وخزانة الحفظ وبيت الرب وقد قيل انه في الدماغ بِإِذْنِ اللَّهِ اي بعلمه وارادته و
تيسيره وتسهيله وقال ابن الخطيب تفسير الاذن هنا بالامر اي بامر الله اولى من
تفسيره بالعلم لانه حقيقة في الامر مجاز في العلم ويجب الحمل على الحقيقة ما امكن واذا كان
نزوله باذن الله فلا وجه للعداوة وانما كان لها وجه لو كان النزول برائه مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ هو التوراة كما سلف او جميع الكتب المنزلة وفي هذا دليل على شرف
جبريل وارتفاع منزلته وانه لا وجه لمعاداة اليهود له حيث كان منه ما ذكر من تنزيل
الكتاب على قلبك او من تنزيل الله له على قلبك وهذا وجه الربط بين الشرط و
الجواب اي من كان معاديا لجبريل منهم فلا وجه لمعاداته له فانه لم يصدر منه الا
ما يوجب المحبة دون العداوة او من كان معاديا له فان سبب معاداته انه وقع منه
ما يكرهونه من التنزيل وليس ذلك بذنب له وان كرهوه فان هذه الكراهة منهم
له بهذا السبب ظلم وعدوان لان هذا الكتاب الذي نزل به هو مصدق لكتابهم موافق
له وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ اي في القران هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي
يترتب عليها الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها ووعدا او شدة على الكافرين ثم اتبع سبحانه
هذا الكلام بجملة مشتملة على شرط وجزاء تتضمن الذم لمن عادى جبريل بذلك السبب والوعيد

الشديد له فقال مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ العداوة من
العبد هي صدود والمعاصي منه لله تعالى والبغض لاوليائه والعداوة من الله للعبد هي
تعذيبه بذنبه وعدم التجاوز عنه والمغفرة له قال الكرماني قدم الملائكة على الرسل كما
قدم الله على الجميع لان عداوة الرسل بسبب نزول الكتب ونزولها بتنزيل الملائكة
وتنزيلهم لها بامر الله فذكر الله ومن بعده على هذا الترتيب وانما خص جبريل وميكائيل
بعد ذكر الملائكة لقصد التشريف لهما والدلالة على فضلهما وانهما وان كانا من الملائكة
فقد صارا باعتبار ما لهما من المزية بمنزلة جنس آخر اشرف من جنس الملائكة تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير
الذاتي كما ذكره صاحب الكشاف وقرره علماء البيان وفي جبريل عشر لغات ذكرها ابن جرير
الطبري وغيره وفي ميكائيل ست لغات وهما اسمان اعجميان قيل معناهما عبد الله لان
جبر وميك بالسريانية هو العبد والايل هو الله والعرب اذا نطقت بالعجمي تساهلت فيه
وقال ابن جني خلطت فيه والاولى ما ذكرناه فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ فاما عداوتهم لله
فانها لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الاليم الدائم الذي لا ضرر اعظم
منه وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يا محمد آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ اي علامات واضحات دالة على معانيها
وعلى كونها من عند الله ودالة على نبوتك مفصلات بالحلال والحرام والحدود والاحكام
وَمَا يَكْفُرُ بِهَا اي ما يجحد بهذه الآيات إِلَّا الْفَاسِقُونَ اي الخارجون عن طاعتنا وما
امروا به والظاهر ان المراد جنس الفاسقين ويحتمل ان يراد اليهود لان الكلام معهم
والاول اولى لانهم داخلون فيه دخولا اوليا أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا استفهام انكار
نَبَذَهُ فَرِيقٌ اصل النبذ الطرح والالقاء ومنه سمي اللقيط منبوذا ومنه سمي النبيذ وهو
التمر والزبيب اذا طرحا في الماء وهو حقيقة في الاجرام واسناده الى العهد مجاز مِنْهُمْ يعني
اليهود بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وفريق منهم بالجحد
للحق والمعنى على انكار اللياقة والمناسبة اي لا ينبغي منهم نبذ العهد كلما عقدوه وَلَمَّا
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم هذا اشنع عليهم
مما قبله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ اي بصحة التوراة وان التوراة بشرت بنبوة محمد صلعم

فلما بعث محمد صلعم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة فاتفقت التوراة والقرآن نبذ
فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ اي اليهود كِتَابَ اللَّهِ اي التوراة فلو افقة القرآن
لها واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن او لانهم لما
كفروا بالنبي صلعم وبما انزل عليه بعد ان اخذ الله عليهم في التوراة الايمان به وتصديقه
واتباعه وبين لهم صفته كان ذلك منهم نبذا للتوراة ونقضا لها ورفضا لما فيها ويجوز
ان يراد بالكتاب هذا القرآن اي لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
من التوراة نبذ واكتاب الله الذي جاء به هذا الرسول والاول اولى لان النبذ لا يكون
الا بعد التمسك والقبول ولم يتمسكوا بالقرآن وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ هذا مثل يضرب لمن
يستخف بالشيء فلا يعمل به تقول العرب اجعل هذا خلف ظهرك ودبر اذنك وتحت قدمك
اي اتركه واعرض عنه كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به و
ومعرفة وهم علماء اليهود وحملهم على ذلك عداوة النبي صلعم وكانوا قليلا وَاتَّبَعُوا
عطف على نبذ مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ يعني اليهود والتلاوة القراءة
قال الزجاج على عهد سليمان وقيل المعنى في زمن ملكه وقيل في قصصه وصفاته و
اخباره قال الفراء تصلح على وفي في هذا الموضع والاول اظهر وقيل يضمن تتلو معنى تتقول
اي تتقول على ملك سليمان وهذا اولى فان التجوز في الافعال اولى من التجوز في الحروف
وقد كانوا يظنون ان هذا هو علم سليمان وانه يستجيزه ويقول به فرد الله ذلك
عليهم وقال وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ يعني بالسحر ولم يعمل به وسليمان علم اعجمي فلذلك
لم ينصرف وقال ابو البقا فيه العجمة والتعريف والالف والنون وهذا انما
يثبت اذا دخله الاشتقاق والتصريف وقد تقدم انهما لا يدخلان في الاسماء الاعجمية
وفيه تنزيه سليمان عن السحر ولم يتقدم ان احدا نسب سليمان الى الكفر ولكن لما نسبته
اليهود الى السحر صاروا بمنزلة من نسبه الى الكفر لان السحر يوجب ذلك وقالوا ان سليمان
ملك الناس بالسحر ولهذا اثبت الله سبحانه كفر الشياطين فقال وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
اي بتعليمهم عن ابن عباس قال ان الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء فاذا سمع

احدهم بكلمة حق كذب معها الف كذبة فاشربتها قلوب الناس واتخذ وها دواوين فاطلع الله على ذلك سليمان بن داؤد فاخذها فدفنها تحت الكرسي فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال الا ادلكم على كنز سليمان الذي لا كنز لاحد مثل كنزه الممنع قالوا نعم فاخرجوه فاذا هو سحر فتنا سختها الامم وانزل الله عذر سليمان فيما قالوا من السحر فقال واتبعوا الآية اخرجه الحاكم وصححه واخرج النسائي وابن ابي حاتم عنه قال كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الاعظم وكان يكتب كل شيء بامر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان اخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل به فاكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماءهم فلم يزل جهالهم يسبونه حتى انزل الله على محمد صلعم واتبعوا الآية يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ هو ما يفعله الساحر من الحيل والتخييلات التي يحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب فيظنه ماء وما يظنه راكب السفينة والدابة من ان الجبال تسير وهو مشتق من سحرتُ الصبي اذا خدعته و قيل اصله الخفاء فان الساحر يفعله خفية وقيل اصله الصرف لان السحر مصروف عن جهته وقيل اصله الاستحالة لان من سحرك استمالك وقال الجوهري السحر الاخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر والساحر العالم وقال الغزالي السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الخواص هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستغاثة بالشياطين وتحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور انتهى و قد اختلف هل له حقيقة ام لا فذهبت المعتزلة وابوحنيفة الى انه خداع لا اصل له ولا حقيقة وذهب من عداهم الى ان له حقيقة مؤثرة وقد صح ان النبي صلعم سُحِرَ سَحَرَهُ لبيد بن الاعصم اليهودي حتى كان يخيل اليه انه ياتي الشيء ولم يكن قد اتاه ثم شفاه الله سبحانه والكلام في ذلك يطول وعد رسول الله صلعم السحر من الكبائر وثناه بالشرك

كما في الصحيحين وأي ويعلمون الناس مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ وقيل واتبعوا ما انزل على
الملكين وهذا نوع اقوى من السحر فالتغاير بالحقيقة لا بالاعتبار قال السدي هذا
سحر آخر خاصموه به فان كلام الملائكة فيما بينهم اذا علمته الانس فصنع وعمل به كان سحرا
بِبَابِلَ اي في بابل وهو لا ينصرف للعجمة والعلمية فانها اسم ارض او بلد في سواد العراق
وان شئت قلت للتانيث والعلمية سميت بذلك لتبلبل السنة الخلائق بها والبلبلة
التفرقة هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ بدل من الشياطين في قوله ولكن الشياطين كفروا
ذكر هذا ابن جرير وقال فان قال لنا القائل وكيف وجه تقديم ذلك قيل وجه تقديمه
ان يقال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان وما انزل الله
على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
فيكون معنيًّا بالملكين جبريل وميكائيل لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم ان
الله انزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان بن داؤد فاكذبهم الله بذلك و
اخبر نبيه صلى الله عليه واله وسلم ان جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر وبرّء سليمان مما
نحلوه من السحر واخبرهم ان السحر من عمل الشياطين وانما تعلم الناس ذلك ببابل و
ان الذي يعلمونهم ذلك رجلان احدهما هاروت والاخر ماروت فيكون هاروت
وماروت على هذا التاويل ترجمة عن الناس وردًّا عليهم انتهى وقال القرطبي في
تفسيره بعد ان حكى معنى هذا الكلام ورجح ان هاروت وماروت بدل من الشياطين
ما لفظه هذا اولى ما حملت عليه الاية واصح ما قيل فيها ولا يلتفت الى سواه فالسحر
استخراج الشياطين للطافة جوهرهم ودقة افهامهم واكثر ما يتعاطاه من الانس النساء
وخاصة في حال طمثهن قال الله ومن شر النفاثات في العقد ثم قال ان قيل كيف يكون
اثنان بدلا من جمع والبدل انما يكون على حد المبدل ثم اجاب عن ذلك بان الاثنين
قد يطلق عليهما الجمع وانما خصا بالذكر دون غيرهما لتمردهما ويؤيد هذا انه قرء ابن
عباس والضحاك والحسن الملكين بكسر اللام ولعل وجه الجزم بهذا التاويل مع بعده
وانه لا موجب لهذا التعسف المخالف لما هو الظاهر فان لله سبحانه ان يمتحن عباده

بما شاء كما امتحن بنهر طالوت ولهذا يقول الملكان انما نحن فتنة قال ابن جرير وذهب
كثير من السلف الى انهما كانا ملكين من السماء وانهما انزلا الى الارض فكان من امرهما
ما كان وكان عبد الرحمن بن ابزي يقرءها وما انزل على الملكين داؤد وسليمان و
قال الضحاك هما علجان من اهل بابل وبابل قيل هي العراق بارض الكوفة وقيل نهاوند
وقيل نصيبين وقيل المغرب وهاروت وماروت اسمان اعجميان لا ينصرفان وهما
سريانيان ويجمعان على هواريت ومواريت وهواريه ومواريه وليس من زعم اشتقاقهما
من الهرت والمرت وهو الكسر بمصيب لعدم انصرافهما ولو كانا مشتقين كما ذكر لانصرفا
اخرج البيهقي في شعب الايمان من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلعم اشرفت
الملئكة على الدنيا فرأت بني آدم يعصون فقالت يارب ما اجهل هؤلاء وما اقل معرفة
هؤلاء بعظمتك فقال الله لو كنتم في مسلاخهم لعصيتموني قالوا كيف يكون هذا ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك قال فاختاروا منكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت
ثم اهبطا الى الارض وركبت فيهما شهوات بني آدم ومثلت لهما امرءة فما عصما حتى
واقعا المعصية فقال الله اختارا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة فنظر احدهما لصاحبه
قال ما تقول قال اقول ان عذاب الدنيا منقطع وان عذاب الآخرة لا ينقطع فاختارا
عذاب الدنيا فهما اللذان ذكر الله في كتابه وما انزل على الملكين الآية وقد رويت هذه
القصة عن ابن عمر بالفاظ وفي بعضها انه يروي ذلك ابن عمر عن كعب الاحبار كما اخرجه
جماعة من اهل الاثر واخرج الحاكم وصححه عن علي ابن ابي طالب ان هذه الزهرة تسميها
العرب الزهرة والعجم اناهيد قال ابن كثير وهذا الاسناد رجاله ثقات وهو غريب جدا
وعن ابن عباس الزهرة امرءة واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عنه ان المرءة التي فتن
بها الملكان مسخت فهذه هي الكوكبة الحمراء يعني الزهرة واخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم
والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عنه فذكر قصة طويلة وفيها التصريح بان الملكين
شربا الخمر وزنيا بالمرءة وقتلاها وعن ابن مسعود قال انهما انزلت اليهما الزهرة في صورة
امرءة وانهما وقعا في الخطيئة وقد روي في هذا الباب قصص طويلة وروايات مختلفة

استوفاها السيوطي في الدر المنثور وذكر ابن كثير في تفسيره بعضها ثم قال وقد روي
في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري
وقتادة وابي العالية وغيرهم وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتاخرين و
حاصلها راجع في تفصيلها الى اخبار بني اسرائيل اذ ليس فيها حديث مرفوع متصل
الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق
القرآن اجمال القصتين من غير بسط ولا اطناب فيهما فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على
ما اراده الله تعالى والله تعالى اعلم انتهى وقال ابو السعود هذا مما لا تعويل عليه لما ان مداره
رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل انتهى ومثله في الخازن و
نحوه في المظهري وهذا القول يقتضي ان هذه القصة غير صحيحة وانها لم تثبت بنقل معتبر وتبع
ابو السعود في ذلك البيضاوي التابع في ذلك للفخر الرازي والسعد التفتازاني وغيرهما
ممن اطال في ردها لكن قال الشيخ زكريا الانصاري الحق ما افاده شيخنا حافظ عصره
الشهاب بن حجر ان لها طرقا تفيد العلم بصحتها فقد رواها مرفوعة الامام احمد وابن حبان
والبيهقي وغيرهم وموقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم باسانيد صحيحة و
البيضاوي لما استبعد هذا المنقول ولم يطلع عليه قال انه محكي عن اليهود ولعله من رموز
الاولين ذكره الخطيب وقد اطنب الشيخ ابن حجر المكي في جواب الرازي واستبعاده لهذه القصة
في كتابه الزواجر بما لا مزيد عليه وقال القرطبي بعد سياق بعض تلك قلنا هذا كله
ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره لا يصح منه شيئ فانه قول تدفعه الاصول في الملائكة
الذين هم امناء الله على وحيه وسفراءه الى رسله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يؤمرون ثم ذكر ما معناه ان العقل يجوز وقوع ذلك منهم لكن وقوع هذا الجائز لا يدرك
الا بالسمع ولم يصح انتهى وا قول هذا مجرد استبعاد وقد ورد الكتاب العزيز في هذا الموضع
بما تراه ولا وجه لاخراجه عن ظاهره بهذه التكلفات وما ذكره من ان الاصول تدفع ذلك
فعلى فرض وجود هذه الاصول فهي مخصصة بما وقع في هذه القصة ولا وجه لمنع التخصيص
وقد كان ابليس بتلك المنزلة العظيمة وصار اشر البرية واكفر العالمين وما يعلمان من احد

اي هاروت وماروت او الملكان والاول اولى قال الزجاج تعليم انذار من السحر لا تعليم دعاء اليه قال وهو الذي عليه اكثر اهل اللغة والنظر ومعناه انهما يعلمان على النهي يقولان لهم لا تفعلوا كذا وقد قيل ان قوله يعلمان من الاعلام لا من التعليم وقد جاء في كلام العرب تعلم بمعنى اعلم كما حكاه ابن الانباري وابن الاعرابي وهو كثير في اشعارهم حَتّٰى يَقُوْلَآ اي الا ان ينصحاه اولا وان يقولا اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ هو على ظاهره اي ابتلاء واختبار من الله لعباده ومحنة وقيل انه استهزاء منهما لانهما انما يقولانه لمن قد تحقق اضلاله والاول اولى والمعنى انما نحن ابتلاء فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان ولا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به قاله ابو السعود واخرج البزار باسناد صحيح والحاكم وصححه عن ابن مسعود من اتى كاهنا او ساحرا وصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد واخرج البزار عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلعم من تطير او تطير له او تكهن او تكهن له او سحر او سحر له ومن عقد عقدة ومن اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد واخرج عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلعم من تعلم شيئا من السحر قليلا او كثيرا كان اخر عهده من الله وقولهما فَلَا تَكْفُرْ ابلغ انذار واعظم تحذير اي ان هذا ذنب يكون من فعله كافرا فلا تكفروا فيه دليل على ان تعلم السحر كفر وظاهره عدم الفرق بين المعتقد وغير المعتقد وبين من تعلمه ليكون ساحرا ومن تعلمه ليقدر على دفعه وبه قال احمد فَيَتَعَلَّمُوْنَ مِنْهُمَا يعني من الملكين مَا يُفَرِّقُوْنَ بِهٖ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهٖ اي سحرا يكون سببا في التفريق بينهما كالتموه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى وفي اسناد التفريق الى السحرة وجعل السحر سببا لذلك دليل على ان للسحر تاثيرا في القلوب بالحب والبغض والجمع والفرقة والقرب والبعد وقد ذهب طائفة من العلماء الى ان الساحر لا يقدر على اكثر مما اخبر الله به من التفرقة لان الله ذكر ذلك في معرض الذم للسحر وبين ما هو الغاية في تعليمه فلو كان يقدر على اكثر

من ذلك المذكور وقالت طائفة اخرى ان ذلك خرج مخرج الاغلب وان الساحر يقدر
على غير ذلك المنصوص عليه وقيل ليس للسحر تاثير في نفسه اصلا لقوله تعالى وَمَا هُم
بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ والحق انه لا تنافي بين القولين المذكورين فان المستفاد
من جميع ذلك ان للسحر تاثيرا في نفسه وحقيقة ثابتة ولم يخالف في ذلك الا المعتزلة وابو حنيفة
كما تقدم وهذا الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ يعني
السحر لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا وفيه تصريح بان السحر لا يعود
على صاحبه بفائدة ولا يجلب اليه منفعة بل هو ضرر محض وخسران صرف وشر بحت
قال ابو السعود فيه ان الاجتناب عما لا تؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان
تجر الى الغواية انتهى وَلَقَدْ عَلِمُوا يعني اليهود لَمَنِ اشْتَرَاهُ اي اختار السحر والمراد بالشراء
هنا الاستبدال اي من استبدل ما يتلو الشياطين مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ اي من
نصيب كما عند اهل اللغة كذا قال الزجاج وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ اي باعوها وقد
اثبت لهم العلم في قوله ولقد علموا ونفاه عنهم في قوله لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ واختلفوا في
توجيه ذلك فقال قطرب والاخفش ان المراد بقوله ولقد علموا الشياطين والمراد بقوله
لو كانوا يعلمون الانس وقال الزجاج ان الاول للملكين وان كان بصيغة الجمع فهو مثل قولهم
الزيدان قاموا والثاني المراد به علماء اليهود وانما قال لو كانوا يعلمون لانهم تركوا العمل بعلمهم
وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا اي اليهود بالنبي صلعم وما جاء به من القرآن وَاتَّقَوْا ما وقعوا فيه من
السيء والكفر لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ اي لكان ثواب الله اياهم خَيْرٌ لهم يعني هذا الثواب
والمثوبة وزنها مفعولة قاله الواحدي او مفعلة كمشورة ومتربة وكان من حقها الاعلال
فيقال مثابة كمقالة الا انهم صححوها قاله السمين لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ذلك هو اما للدلالة على ع ١٢ ٧
انه لا علم لهم او لتنزيل علمهم مع عدم العمل منزلة العدم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا
رَاعِنَا اي راقبنا واحفظنا ويجوز ان يكون من ارعنا سمعك اي فرغه لكلامنا ووجه
النهي عن ذلك ان هذا اللفظ كان بلسان اليهود سبا قيل انه في لغتهم بمعنى اسمع لا سمعت
وقيل غير ذلك فلما سمعوا المسلمين يقولون للنبي صلعم راعنا طلبا منه ان يراعيهم من المراعاة

اغتنموا الفرصة وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم كذلك مظهرين انهم يريدون المعنى العربي مبطنين انهم يقصدون السب الذي هو معنى هذا اللفظ في لغتهم وفي ذلك دليل على انه ينبغي تجنب الالفاظ المحتملة للسب والنقص وان لم يقصد المتكلم بها ذلك المعنى المفيد للشتم سدا للذريعة ودفعا للوسيلة وقطعا لمادة المفسدة والتطرق اليه ثم امرهم الله بأن يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يحتمل النقص ولا يصلح للتعريض فقال وَقُولُوا انْظُرْنَا اي اقبل علينا وانظر الينا وهو من باب الحذف والايصال وقيل معناه انتظرنا وتأنَّ بنا وقرء الاعمش أَنظِرْنَا بمعنى أَخِّرْنَا وامهلنا حتى نفهم عنك وامرهم بعد هذا النهي والامر بامر آخر وهو قوله وَاسْمَعُوا اي اسمعوا ما امرتم به ونهيتم عنه معناه اطيعوا الله في ترك خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اللفظ وخاطبوه بما امرتم به ولا تخاطبوه بما يسر اليهود بل تخيروا الخطاب به صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ادقها ويحتمل ان يكون معناه اسمعوا ما يخاطبكم به الرسول من الشرع حتى يحصل لكم المطلوب بدون طلب للمراعاة قال ابن جرير والصواب من القول عندنا في ذلك ان الله نهى المؤمنين ان يقولوا لنبيه صلى الله عليه وسلم راعنا لانها كلمة كرهها الله ان يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم نظير الذي ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقولوا للعنب الكرم ولكن قولوا الحبلة ولا تقولوا عبدي ولكن قولوا فتاي وما اشبه ذلك ثم توعد اليهود بقوله وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ويحتمل ان يكون وعيدا شاملا لجنس الكفرة مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فيه بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين حيث لا يودون انزال الخير عليهم من الله سبحانه وقد قيل بأن الخير الوحي وقيل غير ذلك والظاهر انهم لا يودون ان ينزل على المسلمين اي خير كان فهو لا يختص بنوع معين كما يفيده وقوع هذه النكرة في سياق النفي وتأكيد العموم بدخول من المزيدة عليها وان كان بعض انواع الخير اعظم من بعض فذلك لا يوجب التخصيص وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ اي يميز مَنْ يَشَاءُ تمييزه والرحمة قيل هي القرآن والاسلام وقيل النبوة وقيل جنس الرحمة من غير تعيين كما يفيده ذلك الاضافة الى ضميره تعالى وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فكيف لا يودون ان يختص

برحمته من يشاء من عباده وكل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتداء
وتفضلا عليهم من غير استحقاق احد منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه ما
ننسخ من اية كلام مستأنف قاله ابو السعود وقال الجمل لم يعطف لشدة ارتباطه بما قبله
والنسخ في كلام العرب على وجهين احدهما النقل كنقل كتاب من اخر وعلى هذا يكون
القران كله منسوخا اعني من اللوح المحفوظ ولا مدخل لهذا المعنى في هذه الاية ومنه
انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي نأمر بنسخه الثاني الابطال والازالة وهو المقصود
هنا وهذا القسم الثاني ينقسم الى قسمين عند اهل اللغة احدهما ابطال الشيء وزواله
واقامة اخر مقامه ومنه نسخت الشمس الظل اذا اذهبته وحلت محله وهو معنى
قوله ما ننسخ من اية وفي صحيح مسلم لم تكن نبوة قط الا تناسخت اي تحولت من حال
الى حال والثاني ازالة الشيء دون ان يقوم مقامه اخر كقولهم نسخت الريح الاثر ومن
هذا المعنى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يزيله وروي عن ابي عبيد ان هذا قد
كان يقع في زمن رسول الله صلعم فكانت تنزل عليه السورة فترفع فلا تتلى ولا تكتب
ومنه ما روي عن ابي عايشة ان سورة الاحزاب كانت تعدل سورة البقرة في الطول
قال ابن فارس النسخ نسخ الكتاب والنسخ ان يزيل امرا كان من قبل يعمل به ثم ينسخه
بحادث غيره كالاية تنزل بامر ثم تنسخ باخرى وكل شيء خلف شيئا فقد انتسخه يقال
نسخ الشيب الشباب وتناسخ الورثة ان تموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم
وكذا تناسخ الازمنة والقرون وقال ابن جرير معنى ما ننسخ ما ننقل من حكم اية الى غيره
فنبدله ونغيره وذلك ان يحول الحلال حراما والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور
مباحا ولا يكون ذلك الا في الامر والنهي والحظر والاطلاق والمنع والاباحة فاما الاخبار
فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ واصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة الى اخرى
فكذلك معنى نسخ الحكم الى غيره انما هو تحويله الى غيره وسوى نسخ حكمها او خطها اذ هي في
كلتي حالتيها منسوخة انتهى وقد جعل علماء الاصول مباحث النسخ من جملة مقاصد ذلك
الفن فلا نطول بذكره بل نحيل من اراد الاستيفاء عليه على كتابنا حصول المأمول من علم

الاصول فليرجع اليه وقد اتفق اهل الاسلام على ثبوته سلفا وخلفا وهو جائز عقلا
وواقع سمعا ولم يخالف في ذلك احد الا من لا يعتد بخلافه ولا يؤبه بقوله وقد اشتهر
عن اليهود اقماهم الله انكاره وهم محجوجون بما في التورية فان الله قال لنوح عليه السلام
عند خروجه من السفينة اني قد جعلت كل دابة ماكلا لك ولذريتك واطلعت
ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تاكلوه ثم قد حرّم على موسى وعلى بني اسرائيل
كثيرا من الحيوان وثبت في التورية ان ادم كان يزوج الاخ من الاخت وقد حرم الله
ذلك على موسى عليه السلام وعلى غيره وثبت فيها ان ابراهيم عليه السلام امر
بذبح ابنه ثم قال الله له لا تذبحه وان موسى عليه السلام امر بني اسرائيل ان يقتلوا
من عبد منهم العجل ثم امرهم برفع السيف عنهم وحرم عليهم العمل يوم السبت ولم
يحرمه على من كان قبلهم ونحو هذا كثير في التورية الموجودة بايديهم والقران
الكريم نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتورية والانجيل وغيرهما ونسخ الاية
بيان انتهاء التعبد بقراتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
من القلوب او نَنْسَأْها بفتح النون والسين والهمزة ومعنى هذه القراءة نؤخرها عن النسخ
من قولهم نسأت هذا الامر اذا اخرته قال ابن فارس ويقولون نسأ الله في اجلك
وانسأ الله اجلك وقد انتسأ القوم اذا تاخروا وتباعدوا ونسأتهم انا اي اخرتهم
وقيل معناه نؤخر نسخ لفظها اي نتركه في ام الكتاب فلا يكون وقيل نذهبها
عنكم لا تقرء ولا تذكر وقرئ ننسها بضم النون من النسيان الذي بمعنى الترك اي نتركها
فلا نبدلها ولا ننسخها ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا عبادته فتركهم
في العذاب وحكى الازهري ان معناه نامر بتركها يقال انسيته الشيء اي امرته بتركه
ونسيته تركته وقال الزجاج ان القراءة بضم النون لا يتوجه فيها معنى الترك لا يقال
انسى بمعنى ترك قال وما روي عن ابن عباس او ننسها اي نتركها لا نبدلها فلا يصح
والذي عليه اكثر اهل اللغة والنظر ان معنى او ننسها نبح لكم تركها من نسي اذا ترك ثم تعديه
وقد ثبت في البخاري وغيره عن انس ان الله انزل في الذين قتلوا في بير معونة ان بلغوا

قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخ وهكذا ثبت في مسلم وغيره عن ابي موسى
قال كنا نقرأ سورة تشبهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير اني حفظت منها لو كان
لابن ادم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوفه الا التراب وكنا نقرأ سورة
نشبهها باحدى المسبحات اولها سبح لله ما في السموات فانسيناها غير اني حفظت منها
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسألوا عنها
يوم القيامة وقد روي مثل هذا من طريق جماعة من الصحابة ومنه اية الرجم كما رواه
عبد الرزاق واحمد وابن حبان عن عمر نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ اي نات بما هو انفع
للناس منها في العاجل والاجل او في احدهما او بما هو مماثل لها من غير زيادة ومرجع
ذلك الى اعمال النظر في المنسوخ والناسخ فقد يكون الناسخ اخف فيكون انفع لهم في
العاجل وقد يكون اثقل وثوابه اكثر فيكون انفع في الاجل وقد يستويان فتحصل المماثلة
وقال الشافعي الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الاية وليس بصحيح والحق
جواز نسخ الكتاب بالسنة والكلام في هذا معروف في اصول الفقه فان شئت الاطلاع
عليه فارجع الى كتابنا حصول المامول أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هذه الاية
تفيد ان النسخ من مقدوراته وان انكاره انكار للقدرة الالهية والخطاب للنبي صلعم
والمراد هو وامته وفيه دليل جواز النسخ والاستفهام للتقرير وهكذا قوله أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ اي له التصرف فيهما بالايجاد والاختراع ونفوذ الامر
في جميع مخلوقاته فهو اعلم بمصالح عباده وما فيه النفع لهم من احكامه التي تعبدهم بها
وشرعها لهم وقد يختلف ذلك باختلاف الاحوال والازمنة والاشخاص وهذا وان
كان خطابا للنبي صلعم لكنه فيه تكذيب لليهود المنكرين للنسخ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّٰهِ
مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ بينهما عموم وخصوص من وجه فان الولي قد يضعف عن النصرة
والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور وفيه اشارة الى تعلق الخطاب بين السابقين بالامة
ايضا وهذا اصنع من لا ولي لهم غيره ولا نصير سواه فعليهم ان يتلقوه بالقبول والامتثال
والتعظيم والاجلال أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ام

بمعنى بل و في هذا توبيخ وتقريع اي سوالا مثل ما سئل موسى حيث سألوه ان يريهم الله
جهرة الى غير ذلك وسألوا محمدا صلعم ان يأتي بالله والملائكة قبيلا وروية في سبب نزول
هذه الاية روايات لا نطول بذكرها وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ اي يستبدل
ويأخذه بدله بترك النظر في الايات البينات واقتراح غيرها والباء للعوض كما
استظهره السفاقسي لا للسبب كما قال به ابو البقا قيل خطاب للمؤمنين اعلمهم ان
اليهود اهل غش وحسد فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ من اضافة الصفة الى الموصوف
اي الطريق المستوي اي المعتدل اي الحق ومعنى ضل اخطأ وسواء هو الوسط من كل
شيء قاله ابو عبيدة ومنه قوله تعالى في سواء الجحيم وقال الفراء السواء القصد اي ذهب
عن قصد الطريق وسمته اي طريق طاعة الله وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ اي تمني
كثير من اليهود فيه اخبار المسلمين بحرص اليهود على فتنتهم وردهم عن الاسلام و
التشكيك عليهم في دينهم لَوْ مصدرية يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ يحتمل ان يتعلق بقوله ود اي ودوا ذلك من عند انفسهم ويحتمل
ان يتعلق بقوله حسدا اي حسدا ناشيا من عند انفسهم وهو علة لقوله ود والحسد
تمني زوال نعمة الانسان مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ يعني في التوراة ان قول محمد صلعم
ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به بغيا وحسدا فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا والعفو ترك
المواخذة بالذنب والصفح ازالة اثره من النفس صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه
وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وقيل هما متقاربان والعطف على هذا للتاكيد
وحسنه تغاير اللفظين وفيه الترغيب في ذلك والارشاد اليه وقد نسخ ذلك بالامر
بالقتال قاله ابو عبيدة حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ اي افعلوا ذلك الى ان ياتي اليكم الامر من الله
سبحانه في شانهم بما يختاره ويشاءه وما قد قضى به في سابق علمه وهو قتل من قتل منهم
واجلاء من اجلي وضرب الجزية على من ضربت عليه والسلام على من اسلم إِنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيه وعيد وتهديد لهم عظيم وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثلث
وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ حث من الله سبحانه لهم على الاشتغال بما ينفعهم

ويعود عليهم بالمصلحة من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وتقديم الخير الذي يثابون
عليه حتى يمكن الله لهم وينصرهم على المخالفين لهم تجدوه عند الله يعني ثوابه واجره
حتى التمرة واللقمة مثل احد ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من قليل الاعمال
وكثيرها وفيه ترغيب في الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصي وقالوا اي اهل الكتاب
من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى قال الفراء يجوز
ان يكون هودا بمعنى يهوديا وان يكون جمع هائد والنصارى جمع نصران او نصري
والمراد يهود المدينة ونصارى نجران وقدمت اليهود على النصارى لفظا لتقدمهم زمانا
قيل في هذا الكلام حذف واصله وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا
وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا هكذا قال كثير من المفسرين و
سبقهم الى ذلك بعض السلف وظاهر النظم القرآني ان طائفتي اليهود والنصارى
وقع منهم هذا القول وانهم يختصون بذلك دون غيرهم ووجه القول بان في الكلام
حذفا ما هو معلوم من ان كل طائفة من هاتين الطائفتين تضلل الاخرى وتنفي عنها
انها على شيء من الدين فضلا عن دخول الجنة كما في هذا الموضع فانه قد حكى الله عن
اليهود انها قالت ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء
تلك امانيهم اي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق والاماني جمع امنية قد
تقدم تفسيرها والاشارة بقوله تلك الى ما تقدم لهم من الاماني التي آخرها انه لا يدخل
الجنة غيرهم وقيل ان الاشارة الى هذه الامنية الاخرة والتقدير مثال تلك الامنية
امانيهم على حذف المضاف ليطابق امانيهم قل هاتوا يقال للمفرد المذكر هات و
للمؤنث هاتي وهو اسم فعل بمعنى احضر وقيل اسم صوت بمعنى ها التي بمعنى احضر وقيل
فعل امر وهذا هو الصحيح برهانكم اي حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من
كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم والبرهان الدليل الذي يحصل عنده اليقين قال
ابن جرير طلب الدليل هنا يقتضي اثبات النظر ويرد على من ينفيه والبرهان مشتق من البره
وهو القطع ومنه برهة من الزمان اي القطعة منه وقيل نونه اصلية لثبوتها في برهن يبرهن

برهنة والبرهنة البيان ووزنه فعلل لا فعلن إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اي في تلك الاماني
المجردة والدعاوى الباطلة ثم رد عليهم فقال بَلَىٰ وهو اثبات لما نفوه من دخول غيرهم
الجنة اي ليس كما تقولون بل يدخلها مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ اي استسلم وقيل اخلص
وخص الوجه بالذكر لكونه اشرف ما يرى من الانسان ولانه موضع السجود ومجمع الحواس
والمشاعر الظاهرة وفيه يظهر العز والذل وقيل ان العرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء و
ان المعنى هنا الوجه وغيره وقيل المراد بالوجه هنا المقصد اي من اخلص مقصده و
مجموع الشرط والجزاء رد على اهل الكتاب وابطال لتلك الدعوى وَهُوَ مُحْسِنٌ موحد
اي متبع في عمله لله فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ اي ثواب عمله وهو الجنة وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
اي في الآخرة واما في الدنيا فالمؤمنون اشد خوفا وحزنا من غيرهم لاجل خوفهم من
العاقبة وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما فاتهم من الدنيا او للموت وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ ع ۱۳ ۹
عَلَىٰ شَيْءٍ قاله رافع بن حرملة وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ بيان لتضليل كل فريق
صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم قيل نزلت في يهود المدينة
ونصارى نجران تناظروا عند النبي صلعم وارتفعت اصواتهم وقالوا هذا القول وفيه ان
كل طائفة ينفي الخير عن الاخرى ويتضمن ذلك اثباته لنفسها تحجرا لرحمة الله سبحانه قال في
الكشاف ان الشيء هو الذي يصح ويعتد به قال وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم
يقع عليهما اسم الشيء واذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده
وهكذا قولهم اقل من لا شيء وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ اي التورية والانجيل وليس فيهما هذا
الاختلاف فكان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب
الله تعالى متصادقة وقيل المراد جنس الكتاب وفي هذا اعظم توبيخ واشد تقريع لان الوقوع في
الدعاوى الباطلة والتكلم بما ليس عليه برهان هو وان كان قبيحا على الاطلاق لكنه من اهل
العلم والدراسة لكتب الله اشد قبحا وافظع جرما واعظم ذنبا كَذَٰلِكَ اي مثل ذلك الذي سمعت
به بعينه لا قولا مغايرا له قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ المراد بهم كفار العرب الذين لا كتاب
لهم قالوا مثل مقالة اليهود اقتداء بهم لانهم جهلة لا يقدرون على غير التقليد لمن يعتقدون انه

من اهل العلم • وقيل المراد بهم طائفة من اليهود والنصارى وهم الذين لا علم عندهم وقال
عطاء هم امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في
انبياءهم انهم ليسوا على شيء فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اي بين المحق والمبطل فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ
يَخْتَلِفُوْنَ من امر الدين اخبر سبحانه بانه هو المتولى لفصل هذه الخصومة التي وقع فيها
الخلاف عند الرجوع اليه فيعذب من يستحق التعذيب وينجي من يستحق النجاة وَمَنْ اَظْلَمُ
مِمَّنْ مَّنَعَ مَسٰجِدَ اللّٰهِ اَنْ يُّذْكَرَ فِيْهَا اسْمُهٗ هذا الاستفهام فيه ابلغ دلالة على ان هذا الظلم
غير متناه وانه بمنزلة لا ينبغي ان يلحقه سائر انواع الظلم اي لا احد اظلم ممن يمنع مساجد
الله اي من ياتي اليها للصلوة والتلاوة والذكر وتعليمه وَسَعٰى فِيْ خَرَابِهَا وهو السعي في
هدمها ودفع بنيانها ويجوز ان يراد بالخراب تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها فيكون
اعم من قوله ان يذكر فيها اسمه فيشمل جميع ما يمنع من الامور التي بنيت لها المساجد كتعلم
العلم وتعليمه والقعود للاعتكاف وانتظار الصلوة ويجوز ان يراد ما هو اعم من الامرين
من باب عموم المجاز كما قيل في قوله تعالى انما يعمر مساجد الله قيل نزلت في خراب بيت
المقدس على يد فلطيوس الرومي ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه
وقيل ان بخت نصر المجوسي من اهل بابل هو الذي خربه واعانه على ذلك النصارى من اجل
ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا واللفظ اعم من ذلك ويدخل فيه السبب الخاص دخولا اوليا
قال ابو البقا الخراب اسم مصدر بمعنى التخريب وقال غيره هو مصدر خرب المكان يخرب خرابا
اُولٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ اَنْ يَّدْخُلُوْهَآ اِلَّا خَآئِفِيْنَ هذا الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي ما كان ينبغي للمانعين دخولها في جميع الاحوال الا حال خوفهم وخشوعهم وذلك ان
بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي او
نصراني الا خائفا ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل خوفهم
هو فتح مدائنهم الثلث قسطنطينية ورومية وعمورية والاولى اولى وفيه ارشاد للعباد
من الله عز وجل انه ينبغي لهم ان يمنعوا مساجد الله من اهل الكفر من غير فرق بين مسجد ومسجد
وبين كافر وكافر كما يفيده عموم اللفظ ولا ينافيه حصول السبب الخاص وان يجعلوهم بحالة اذا

ارادوا الدخول كانوا على وجل وخوف من ان يفطن لهم احد من المسلمين فينزلون بهم
ما يوجب الاهانة والاذلال وليس فيه الاذن لنا بتمكينهم من ذلك حال خوفهم بل هو كناية
عن المنع لهم منا من دخول مساجدنا وقيل معناه ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من
المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون
وعد للمؤمنين بالنصر واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
يعني الصغار والذل والقتل والسبي وقيل هو ضرب الجزية عليهم واذلالهم وقيل غير ذلك وقد
تقدم تفسيره وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ يعني النار قال ابن عباس ان قريشا منعوا
النبي صلعم الصلوة عند الكعبة في المسجد الحرام يعني في ابتداء الاسلام فانزل الله ومن اظلم
الاية وعنه قال هم النصارى وقال السدي هم الروم كانوا ظاهروا بخت نصر على خراب
بيت المقدس وليس في الارض رومي يدخله اليوم الا وهو خائف ان يضرب عنقه وقد
اخيف باداء الجزية فهو يؤديها واما خزيهم في الدنيا فانه اذا قام المهدي وفتح القسطنطينية
قتلهم فذلك الخزي وعن قتادة انهم الروم وعن كعب انهم النصارى لما ظهروا على بيت المقدس
حرقوه وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال هم المشركون حين صدوا رسول الله صلعم عن البيت
يوم الحديبية قال ابو صالح ليس للمشركين ان يدخلوا المسجد الا خائفين عن قتادة قال اعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون وقال مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد
هو بيت المقدس او المسجد الحرام لان الحكم عام وان كان السبب خاصا ورجح الطبري القول
الاول وقال ان النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل ان مشركي العرب لم
يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلعم في بعض الاوقات من الصلوة
فيه وايضا الاية التي قبل هذه والتي بعدها في ذم اهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة ذكر
ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بدليل
ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع
حجهم وذكر ابن العربي في احكام القرآن قولا ثالثا وهو انه كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ
عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد وببعض الازمنة محال وهذا هو الصواب

فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ
اللَّهِ المشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب وهما اسما مكان وقيل اسما مصدر اي
الاشراق والاغراب اي هما ملك لله وما بينهما من الجهات والمخلوقات فيشمل الارض كلها اي اي
جهة تستقبلونها فهناك وجه الله اي المكان الذي يرتضي لكم استقباله وذلك يكون عند
التباس جهة القبلة التي امرنا بالتوجه اليها بقوله سبحانه فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال في الكشاف والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد
الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من
بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون
مسجد ولا في مكان دون مكان انتهى وهذا التخصيص لا وجه له فان اللفظ اوسع منه و
ان كان المقصود به بيان السبب فلا باس واين هنا اسم شرط وهي ظرف مكان وتكون اسم
استفهام ايضا فهي مشترك بينهما وثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مثل هنا وقال ابو البقاء
نائب عن هناك وليس بشيء إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ فيه ارشاد الى سعة رحمته وانه يوسع على
عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم وقيل واسع بمعنى انه يسع علمه كل شيء كما قال
وسع كل شيء علما وقال الفراء الواسع الجواد الذي يسع عطاءه كل شيء عن ابن عباس قال
اول ما نسخ من القران فيما ذكر لنا والله اعلم شان القبلة قال الله تعالى ولله المشرق والمغرب الاية
فاستقبل رسول الله صلعم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه الله الى
البيت العتيق ونسخها فقال ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام واخرج ابن ابي شيبة
وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عمر قال كان النبي صلعم
يصلي على راحلته تطوعا اينما توجهت به ثم قرأ ابن عمر هذه الاية اينما تولوا فثم وجه الله وقال
في هذا انزلت هذه الاية واخرج نحوه عنه ابن جرير والدارقطني والحاكم وصححه وقد ثبت
في صحيح البخاري من حديث جابر وغيره عن رسول الله صلعم انه كان يصلي على راحلته قبل
المشرق فاذا اراد ان يصلي المكتوبة نزل فاستقبل القبلة وصلى واخرج عبد بن حميد والترمذي
وضعفه وابن ماجة وابن جرير وغيرهم عن عامر بن ربيعة قال كنا مع رسول الله صلعم في ليلة

سوداء مظلمة فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الاحجار فيجعل مسجدا فيصلي فيه فلما ان اصبحنا
اذا نحن قد صلينا على غير القبلة فقلنا يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فانزل
الله ولله المشرق والمغرب الاية فقال مضت صلاتكم وعن ابن عباس قال قبلة الله اينما توجهت
شرقا او غربا وعن ابي هريرة عن النبي صلعم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه ابن ابي شيبة
والترمذي وصححه وابن ماجه وَقَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا القائل هم اليهود والنصارى
فاليهود قالوا عزير بن الله والنصارى قالوا المسيح بن الله وقيل هم كفار العرب قالوا الملائكة
بنات الله اخرج البخاري عن ابن عباس عن النبي صلعم قال قال الله تعالى كذبني ابن ادم
وشتمني فاما تكذيبه اياي فيزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي
ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا واخرج نحوه ايضا من حديث ابي هريرة وفي الباب
احاديث والمراد بقوله سُبْحَانَهُ تنزيه الله تعالى عما نسبوا اليه من اتخاذ الولد وفيه رد على
القائلين بانه اتخذ ولدا لان اتخاذ الولد لبقاء النوع والله منزه عن الفناء والزوال بَلْ لَهُ
مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ اي بل هو مالك لما فيهما فكيف ينسب اليه الولد وهؤلاء القائلون
داخلون تحت ملكه والولد من جنسهم لا من جنسه ولا يكون الولد الا من جنس الوالد
كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ اي مطيعون ومقرون له بالعبودية والقانت المطيع الخاضع اي كل من
في السموات والارض كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم مطيعون له خاضعون لعظمته
خاشعون لجلاله لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته والقنوت في اصل
اللغة القيام قال الزجاج فالخلق قانتون اي قائمون بالعبودية اما اقرارا واما ان يكونوا على
خلاف ذلك فاثر الصنعة بين عليهم وقيل اصله الطاعة ومنه والقانتين والقانتات وقيل
السكوت ومنه قوموا لله قانتين ولهذا قال زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت وقوموا
لله الاية فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقيل القنوت الصلوة والاولى ان القنوت لفظ
مشترك بين معان كثيرة قيل هي ثلثة عشر معنى وهي مبينة وقد نظمها بعض اهل العلم
واختلف في حكم الاية فقيل هو خاص وقيل عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة
بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ ابداع الشيء انشاؤه لا عن مثال وكل من انشاء ما لم يسبق اليه قيل

له مبدع والاصل بديع سمواته اي بدعت لمجيئها على شكل فائق حسن غريب وَاِذَا قَضَىٰٓ اَمْرًا اي احكمه واتقنه قال الازهري قضى في اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء وتمامه قيل هو مشترك بين معان يقال قضى بمعنى خلق ومنه فقضٰهن سبع سموات وبمعنى اعلم ومنه وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب وبمعنى امر ومنه وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبمعنى الزم ومنه قضى عليه القاضي وبمعنى اوفاه ومنه فلما قضى موسى الاجل وبمعنى اراد ومنه فاذا قضى امرا والتقدير اذا قضى امرا يكون ويحصل فلفظ يكون المقدر هو العامل في اذا والامر واحد الامور وقد ورد في القرآن على اربعة عشر معنى الاول الدين ومنه حتى جاء الحق وظهر امر الله الثاني بمعنى القول ومنه فاذا جاء امرنا الثالث العذاب ومنه ولما قضي الامر الرابع عيسى ومنه فاذا قضى امرا اي اوجد عيسى عليه السلام الخامس القتل ومنه فاذا جاء امر الله السادس فتح مكة فتربصوا حتى يأتي الله بامره السابع قتل بني قريظة وجلاء النضير ومنه فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره والثامن القيمة ومنه اتى امر الله التاسع القضاء ومنه يدبر الامر العاشر الوحي ومنه يتنزل الامر بينهن والحادي عشر امر الخلائق ومنه الا الى الله تصير الامور والثاني عشر النصر ومنه هل لنا من الامر من شيء والثالث عشر الذنب ومنه فذاقت وبال امرها والرابع عشر الشان ومنه وما امر فرعون برشيد هكذا اورد هذه المعاني باطول من هذا بعض المفسرين وليس تحت ذلك كثير فائدة فاطلاقه على الامور المختلفة لصدق اسم الامر عليها فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ الظاهر في هذا المعنى الحقيقي وانه يقول سبحانه هذا اللفظ وليس في ذلك مانع ولا جاء ما يوجب تأويله ومنه قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقال تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقال وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقد قيل ان ذلك مجاز وانه لا قول وانما هو قضاء يقضيه فعبر عنه بالقول وقال البيضاوي ليس المراد حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف انتهى وهذا من انفاسه الفلسفية وكم له من اشباه ذلك وامثاله وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ قيل هم اليهود وقيل النصارى ورجحه ابن جرير لانهم المذكورون في الآية وقيل مشركو العرب وعليه اكثر المفسرين

لولا حرف تحضيض اي هلا يكلمنا الله مشافهة من غير واسطة بنبوة محمد صلعم فنعلم انه نبي او بواسطة الوحي الينا لا اليك وهذا منهم استكبار وتعنت أو تأتينا كذلك آية اسي علامة على نبوته وهذا منهم جحود كذلك قال الذين من قبلهم قيل هم اليهود والنصارى في قول من جعل الذين لا يعلمون كفار العرب والامم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون اليهود والنصارى واليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى مثل قولهم وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يريهم الله جهرة وان يسمعهم كلام الله وسألوه من الآيات ما ليس لهم مسألته تشابهت قلوبهم اي في التعنت والعمى والعناد والاقتراح وقال الفراء في اتفاقهم على الكفر والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الآيات اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في نفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اي يعترفون بالحق وينصفون في القول ويذعنون لاوامر الله سبحانه لكونهم مصدقين له سبحانه مؤمنين بآياته متبعين لما شرعه لهم إنا أرسلناك بالحق اي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل معناه لم نرسلك عبثا بل ارسلناك بالحق بشيرا اي مبشرا لاوليائي واهل طاعتي بالثواب العظيم ونذيرا اي منذرا ومخوفا لاعدائي واهل معصيتي بالعذاب الاليم ولا تسئل عن أصحاب الجحيم قرئ بفتح التاء على النهي وبضمها على الخبر وقيل على النفي والمعنى ولا يصدر منك السؤال عن هؤلاء وعن ما وقع منهم على كفره ومعصيته تعظيما لحاله وتغليظا لشأنه اي ان هذا امر فظيع وخطب شنيع يتعاظم المتكلم ان يجري على لسانه او يتعاظم السامع ان يسمعه وفي القاموس الجحيم النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض والجحيم ما عظم من النار قاله ابو مالك والمعنى لا تسأل عن حالهم التي تكون لهم في القيامة فانها شنيعة ولا يمكنك في هذه الدار الاطلاع عليها وهذا فيه تخويف لهم وتسلية له صلعم وقد اخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال قال رسول الله صلعم ليت شعري ما فعل ابواي فنزل هذه الآية فما ذكرهما حتى توفاه الله قال السيوطي هذا مرسل ضعيف الاسناد ثم رواه من طريق ابن جرير عن داؤد بن ابي عاصم مرفوعا وقال هو معضل الاسناد لا تقوم به الحجة ولا بالذي قبله الحجة

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ اي ليس غرضهم ومبلغ الرضاء منهم ما يقترحونه عليك من الايات ويوردونه من التعنتات فانك لو جئتهم بكلما يقترحون واجبتهم عن كل تعنت لم يرضوا عنك حتى تدخل في دينهم وتتبع ملتهم والملة اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه على السن انبيائه وهكذا الشريعة وقال ابن عباس هذا في امر القبلة ايسوا منه ان يوافقهم عليها والرضاء ضد الغضب وهو من ذوات الواو لقولهم الرضوان قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ اي الاسلام هُوَ الْهُدَىٰ الحقيقي لا ما انتم عليه من الشريعة المنسوخة و الكتب المحرفة ثم اتبع ذلك بوعيد شديد لرسول الله صلعم فقال وَلَئِنِ هذه تسمى اللام الموطية للقسم وعلامتها ان تقع قبل ادوات الشرط واكثر مجيئها مع ان وقد تاتي مع غيرها نحو لما اتيتكم من كتاب لمن تبعك منهم اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم اي اهواء اليهود والنصارى بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ اي البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم وهي الكعبة وا يحتمل ان يكون تعريضا لامته وتحذيرا لهم ان يواقعوا شيئا من ذلك او يدخلوا في اهوية اهل الملل ويطلبوا رضاء اهل البدع اخرج الثعلبي عن ابن عباس قال ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون ان يصلي النبي صلعم الى قبلتهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة شق ذلك عليهم وايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله هذه الاية وجواب القسم قوله مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ يلي امرك ويقوم بك وَلَا نَصِيرٍ ينصرك ويمنعك من عقابه وفي هذه الاية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الافئدة ما يوجب على اهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه والقائمين ببيان شرائعه ترك الدهان لاهل البدع المتمذهبين بمذاهب السوء التاركين للعمل بالكتاب والسنة المؤثرين لمحض الرأي عليهما فان غالب هؤلاء وان اظهر قبولا وابان من اخلاقه لينا لا يرضيه الا اتباع بدعته والدخول في مداخله والوقوع في حبائله فان فعل العالم ذلك بعد ان علمه الله من العلم ما يستفيد به ان هدى الله هو ما في كتابه وسنة رسوله لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة وجهالة بينة ورأي منهار وتقليد على شفا جرف هار فهو اذ ذاك ما له من الله من ولي ولا نصير ومن كان كذلك فهو مخذول لا محالة وهالك بلا شك وشبهة الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ هم اليهود والنصارى قاله

قتادة وقيل هم المسلمون والكتاب هو القرآن وقيل من اسلم من اهل الكتاب وقال ابن
عباس نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا
ثمانية من رهبان الشام منهم بحيرى الراهب والباقي من الحبشة وقيل هم المؤمنون عامة يَتْلُوْنَهٗ
حَقَّ تِلَاوَتِهٖ اي يقرءونه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول
الله صلعم وقيل المراد بالتلاوة انهم يعملون بما فيه فيحللون حلاله ويحرمون حرامه فيكون
من تلاه يتلوه اذا اتبعه اي يتبعونه حق اتباعه ومنه قوله تعالى والقمر اذا تلاها اي
اتبعها قاله ابن عباس وقال عمر بن الخطاب يعني اذا مر بذكر الجنة يسأل الجنة واذا مر بذكر
النار تعوذ من النار وقال زيد بن اسلم يتكلمون به كما انزل ولا يكتمونه عن قتادة قال هم
اصحاب محمد صلعم وعن الحسن قال يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما اشكل عليهم
الى عالمه وقيل يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه واسراره اُولٰٓئِكَ
يُؤْمِنُوْنَ بِهٖ اي يصدقون به فان كانت الآية في اهل الكتاب فالمعنى ان المؤمن بالتورٰة
الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان في التورٰة نعته و
صفته وان كانت في المؤمنين عامة فالمعنى ظاهر وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهٖ اي يجحد ما فيه من
فرائض الله ونبوة محمد صلعم فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ اي خسروا انفسهم حيث استبدلوا
الكفر بالايمان يٰبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الَّتِيْٓ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
الْعٰلَمِيْنَ وَاتَّقُوْا يَوْمًا لَّا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَيْئًا وَّلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَّلَا
تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَّلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ قد مر مثل هذا في صدر السورة وقد تقدم تفسيره
وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن
له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل انه رد
على اليهود في قولهم ان اباءنا يشفعون لنا ووجه التكرار الحث على اتباع الرسول النبي
الامي ذكر معناه ابن كثير في تفسيره وقيل للتوكيد وتذكير النعم وفيه عظة لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلعم
وقال البقاعي في تفسيره انه لما طال المدى في استقصاء تذكيرهم
بالنعم في بيان عوارهم وهتك استارهم وختم ذلك بالترهيب لتضييع اديانهم باعمالهم

ع ٩

واحوالهم واقوالهم اعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم والتحذير من حلول النقم
يوم يجمع الامم ويدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ليعلم ان ذلك فذلكة القصة والمقصود
بالذات الحث على انتهاز الفرصة انتهى واقول ليس هذا بشيء فانه لو كان سببا لتكرار ما
ذكره من طول المدى وانه اعاد ما صدر به قصتهم لذلك لكان الاولى بالتكرار والاحق
باعادة الذكر هو قوله سبحانه يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي
اوف بعهدكم واياي فارهبون فان هذه الاية مع كونها اول الكلام معهم والخطاب
لهم في هذه السورة هي ايضا اولى بان تعاد وتكرر لما فيها من الامر بذكر النعم والوفاء
بالعهد والرهبة لله سبحانه وبهذا تعرف صحة ما قدمناه لك عند ان شرع الله سبحانه
في خطاب بني اسرائيل من هذه السورة فراجعه ثم حكى البقاعي بعد كلامه السابق
عن الحرالي انه قال كرره تعالى اظهارا لمقصد التمام اخر الخطاب باوله ليتخذ هذا
الافصاح والتعليم اصلا لما يمكن بان يرد من نحوه في سائر القران حتى كان الخطاب اذا
انتهى الى غاية ختامه يجب ان يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته معا
لطرفي الثناء وفي تفهيمه جامعا لمعاني طرفي المعنى انتهى واقول لو كان هذا سبب التكرار لكان الاولى به ما عرفناك و
اما قوله ليتخذ ذلك اصلا لما يرد من التكرار في سائر القران فمعلوم ان حصول هذا الامر
في الاذهان وتقرره في الافهام لا يختص بتكرار اية معينة يكون افتتاح هذا المقصد بها فلم
تتم النكتة في تكريرها تين الايتين بخصوصهما ولله الحكمة البالغة التي لا تبلغها الافهام
ولا تدركها العقول فليس في تكلف هذه المناسبات المتعسفة الا ما عرفناك به هنالك فتذكر

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ الخطاب لرسول الله صلعم ولبني اسرائيل والابتلاء الاختبار
والامتحان اي ابتلاه بما امره به وهو استعارة تبعية واقعة على طريق التمثيل اي فعل معه
فعلا مثل فعل المختبر والغرض من هذا التذكير توبيخ اهل الملل المخالفين وذلك لان ابراهيم
يعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فحكى الله عن ابراهيم امورا توجب على المشركين
واليهود والنصارى قبول قول محمد صلعم لان ما اوجبه الله على ابراهيم جاء به محمد وفي ذلك
حجة عليهم وابراهيم اسم اعجمي معناه في السريانية رب رحيم كذا قال الماوردي قال ابن عطية و

معناه في العربية ذلك قال السهيلي وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي وفي لغات
كان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثي وهي قرية من سواد الكوفة
وقيل بحران ولكن اباه نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار وقد اورد صاحب الكشاف
هنا سوالا في رجوع الضمير الى ابراهيم مع كون رتبته التاخير واجاب عنه بانه قد يقدم
لفظا فرجع اليه والامر في هذا اوضح من ان يشتغل بذكره او ترد في مثله الاسئلة ويسود
وجه القرطاس بايضاحه وقد اختلف العلماء في تعيين الكلمات فقيل هي شرائع
الاسلام وقيل ذبح ابنه وقيل اداء الرسالة وقيل هي خصال الفطرة وقيل قوله اني جاعلك
للناس اماما وقيل الطهارة قال الزجاج وهذه الاقوال ليست بمتناقضة لان هذا كله مما
ابتلى به ابراهيم انتهى وظاهر النظم القراني ان الكلمات هي قوله اني جاعلك وما بعده و
يكون ذلك بيانا للكلمات وجاء عن بعض السلف ما يوافق ذلك وعن اخرين ما يخالفه والحق
انه اذا لم يصح شيء عن رسول الله صلعم ولا جاءنا من طريق تقوم بها الحجة في تعيين تلك الكلمات
لم يبق لنا الا ان نقول انها ما ذكره الله سبحانه في كتابه قال اني جاعلك للناس اماما ويكون
ذلك بيانا للكلمات والسكوت واحالة العلم في ذلك على الله سبحانه واما ما روي عن ابن عباس
ونحوه من الصحابة ومن بعدهم في تعيينها فهو اولا اقوال صحابة ولا تقوم بها الحجة فضلا
عن اقوال من بعدهم وعلى تقدير انه لا مجال للاجتهاد في ذلك وان له حكم الرفع فقد اختلفوا
في التعيين اختلافا يمنع معه العمل ببعض ما روي عنهم دون البعض الاخر بل اختلفت الروايات
عن الواحد منهم كما روي عن ابن عباس فكيف يجوز العمل بذلك وبهذا تعرف ضعف قول من
قال انه يصار الى العموم ويقال تلك الكلمات هي جميع ما ذكر ههنا فان هذا يستلزم تفسير كلام
الله بالضعيف والمتناقض وما لا تقوم به الحجة وعلى هذا فيكون قوله اني جاعلك مستانفا كانه
قيل ماذا قال له وقال ابن جرير ما حاصله انه يجوز ان يكون المراد بالكلمات جميع ذلك وجائز
ان يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشيء منها انه المراد على التعيين الا بحديث او اجماع ولم
يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له ثم قال ان الذي قاله مجاهد
وابو صالح والربيع بن انس اولى بالصواب يعني ان الكلمات هي قوله اني جاعلك للناس اماما

وقوله وعهدنا الى ابراهيم وما بعده ورجح ابن كثير انها تشمل جميع ما ذكر فاتمهن اي قام بهن اتم قيام وامتثل اكمل امتثال واختلف هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة او بعدها فقيل بالاول بدليل قوله في سياق الاية اني جاعلك الخ والسبب يتقدم على المسبب وقيل بالثاني لان التكاليف لا يعلم الامن جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة وقيل ان فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وان فسر بما اوجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة قَالَ اِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اي لاجلهم اماما يقتدي بك في دينك وهديك وسنتك والامام هو الذي يؤتم به ومنه قيل للطريق امام وللبناء امام لانه يؤتم بذلك اي يهتدي به السالك والامام لما كان هو القدوة للناس لكونهم يأتمون به ويهتدون بهديه اطلق عليه هذا اللفظ اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه في الجملة وابراهيم يعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب في الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله عن ابراهيم امورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلعم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان ما اوجبه الله على ابراهيم هو من خصائص دين محمد صلعم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلعم والايمان به وتصديقه قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ يحتمل ان يكون ذلك دعاء من ابراهيم اي واجعل من بعض ذريتي ائمة ويحتمل ان يكون هذا من ابراهيم لقصد الاستفهام وان لم يكن بصيغته اي ومن ذريتي ماذا يكون يا رب فاخبره ان فيهم عصاة وظلمة وانهم لا يصلحون لذلك ولا يقومون به ولا ينالهم عهد الله سبحانه وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق عن قتادة قال هذا عند الله يوم القيمة لا ينال عهده ظالما فاما في الدنيا فقد نالوا عهده فوارثوا به المسلمين وغازوهم ونكحوهم فلما كان يوم القيمة قصر الله عهده وكرامته على اوليائه وعن مجاهد قال لا اجعل

اما ما ظالما يقتدي به وعن ابن عباس قال يخبره انه كان في ذريته ظالم لا ينال عهده
ولا ينبغي له ان يوليه شيئا من امره والنيل الادراك وهو العطاء والذرية ماخوذة من الذر
لان الله اخرج الخلق من ظهر ادم عليه السلام حين اشهدهم على انفسهم كالذر وقيل ماخوذ
من ذرء الله الخلق يذرءهم اذا خلقهم وفي الكتاب العزيز فاصبح هشيما تذروه الرياح وقال
الخليل انما سموا ذرية لان الله تعالى ذرأها على الارض كما ذرء الزراع البذر واختلف
في المراد بالعهد فقيل الامامة وقيل النبوة وقيل عهد الله امره وقيل الامان من عذاب
الاخرة ورجحه الزجاج والاول اظهر كما يفيده السياق وقد استدل بهذه الاية جماعة من
اهل العلم على ان الامام لابد ان يكون من اهل العدل والعمل بالشرع كما ورد لانه اذا زاغ
عن ذلك كان ظالما ويمكن ان ينظر الى ما يصدق عليه اسم العهد وما يفيده الاضافة
من العموم فيشمل جميع ذلك اعتبارا بعموم اللفظ من غير نظر الى السبب ولا الى السياق
فيستدل به على اشتراط السلامة من وصف الظلم في كل من تعلق بالامور الدينية وقد
اختار ابن جرير ان هذه الاية وان كانت ظاهرة في الخبر انه لا ينال عهد الله بالامامة ظالما
ففيها اعلام من الله لابراهيم الخليل انه سيوجد من ذريته من هو ظالم لنفسه انتهى ولا يخفاك انه
لا جدوى لكلامه هذا فالاولى ان يقال ان هذا الخبر في معنى الامر لعباده ان لا يولوا امور
الشرع ظالما وانما قلنا انه في معنى الامر لان اخباره تعالى لا يجوز ان يتخلف وقد علمنا انه
قد نال عهده من الامامة وغيرها كثيرا من الظالمين وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ
اي لاجلهم او لاجل مناسكهم والبيت هو الكعبة غلب عليه كما غلب النجم على الثريا ويدخل فيه
جميع الحرم لوصفه بكونه امنا كما سياتي ومثابة مصدر من ثاب يثوب مثابا ومثابة اي مرجعا
يرجع الحجاج اليه بعد تفرقهم عنه وقيل المثابة من الثواب اي يثابون هنالك وقال مجاهد
المراد انهم لا يقضون منه اوطارهم قال الاخفش ودخلت الهاء لكثرة من يثوب اليه فهي كعلامة
ونسابة وقال غيره هي للتانيث وليست للمبالغة وهو مصدر او اسم مكان قولان وَأَمْنًا هو
اسم مكان اي موضع امن وهو اظهر من جعله اسم الفاعل على سبيل المجاز كقوله حرما امنا
فان الامن هو الساكن والملتجي والاول لا مجاز فيه وقد استدل بذلك جماعة من اهل العلم على انه

لا يقام الحد على من لجأ اليه ويؤيد ذلك قوله تعالى ومن دخله كان امنا وقيل ان ذلك
منسوخ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم
خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي
ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر
صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر
فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر اخرجه البخاري ومسلم وكان الناس يأمنون فيه من
اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس في الاية
معاذا وملجأ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى قرئ على انه فعل ماض اي واتخذوه مصلى
وقرئ على صيغة الامر ويجوز ان يكون تقديره وقلنا اتخذوا والمقام في اللغة موضع القيام قال
النحاس هو من قام يقوم يكون مصدرا واسما للموضع ومقام من اقام ومن للتبعيض وهذا
هو الظاهر وقيل بمعنى في وقيل زائدة على قول الاخفش وليسا بشيء اختلف في تعيين المقام
على اقوال اصحها انه الحجر الذي يعرفه الناس ويصلون عنده ركعتي الطواف وقيل المقام
الحرم كله روي ذلك عن عطاء ومجاهد وقيل عرفة والمزدلفة وقال الشعبي الحرم كله مقام
والمعنى اتخذوا مصلى كائنا عند مقام ابراهيم والعندية تصدق بجهاته الاربع والتخصيص بكون
المصلي خلفه انما استفيد من فعل النبي صلعم والصحابة بعده اخرج البخاري وغيره من حديث
انس عن عمر بن الخطاب قال وافقت ربي في ثلاث ووافقني ربي في ثلث قلت يا رسول الله لو
اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت هذه الاية وقلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن
البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب واجتمع على رسول الله صلعم نساءه في الغيرة
فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت كذلك واخرجه مسلم وغيره
مختصرا من حديث ابن عمر عنه واخرج مسلم وغيره من حديث جابر ان النبي صلعم رمل ثلاثة اشواط
ومشى اربعا حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين ثم قرئ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
وفي مقام ابراهيم عليه السلام احاديث كثيرة مستوفاة في الامهات وغيرها والاحاديث الصحيحة تدل
على ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار اتاه اسمعيل به ليقوم

فوقه كما في البخاري من حديث ابن عباس وهو الذي كان ملصقا بجدار الكعبة واول من نقله
عمر بن الخطاب كما اخرجه عبد الرزاق والبيهقي باسناد صحيح وابن ابي حاتم وابن مردويه من
طرق مختلفة واخرج ابن ابي حاتم من حديث جابر في وصف حج النبي صلعم قال لما طاف النبي
صلعم قال له عمر هذا مقام ابراهيم قال نعم واخرج نحوه ابن مردويه قيل كان اثر اصابع رجلي ابراهيم
فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدي وانما امروا بالصلوة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله وقد
روى البخاري في بدء قصة المقام اثرا طويلا عن ابن عباس وقد ورد في حديث الترمذي
ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر
المقام بمشاهد الحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلوة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال
معناه واتخذوا من مقام قبلة امروا بالصلوة عنده وهذا هو الصحيح لان لفظ الصلوة اذا اطلق لا
يعقل منه الا الصلوة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي
فيه ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
معنى عهدنا ههنا امرنا او وحينا وقيل الزمنا واوجبنا ومن اغرب ما نقل في تسمية اسمعيل
ان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا ايل وايل بلسان السريانية
هو الله فلما رزق الولد سماه به وقيل هو اسم اعجمي وفيه لغتان اللام والنون ويجمع على سماعلة
وسماعيل واساميع والمراد بالتطهير قيل من الاوثان قاله ابن عباس وقيل من الافات والريب
وقول الزور والرجس قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وقيل من الكفار وقيل من النجاسات
وطواف الجنب والحائض وكل خبيث والظاهر انه لا يختص بنوع من هذه الانواع وان كلما
يصدق عليه مسمى التطهير فهو يتناوله اما تناولا شموليا او بدليا والاضافة في قوله بيتي للتشريف
والتكريم والمراد بالبيت الكعبة والطائف الذي يطوف به اي الدائر حوله وقيل الغريب الطارئ
على مكة والعاكف المقيم واصل العكوف في اللغة اللزوم واللبث والاقبال على الشيء وقيل هو
المجاور دون المقيم من اهلها والمراد بقوله الركع السجود المصلون وخص هذين الركنين بالذكر
لانهما اشرف اركان الصلوة عن ابن عباس قال اذا كان قائما فهو من الطائفين واذا كان جالسا
فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود وعن عمر بن الخطاب انه سئل عن الذي

يتأمون في المسجد فقال هم العاكفون والسجود جمع ساجد نحو قاعد وقعود وهو مناسب لما قبله وقيل انه مصدر نحو الدخول والمعنى ذوي السجود ذكره ابو البقا والاول اولى وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا اي مكة وقيل الحرم والمراد الدعاء لاهله من ذريته وغيرهم كقوله عيشة راضية اي راض صاحبها والاسناد الى المكان مجاز كما في ليل نائم اي نائم فيه قاله السعد التفتازاني وعلى هذا المراد امن الملتجي اليه فاسند اليه مبالغة وقد ثبت عن النبي صلعم انه قال ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة ما بين لابتيها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاهها كما اخرجه احمد ومسلم والنسائي وغيرهم من حديث جابر وقد روى هذا المعنى عن النبي صلعم من طريق جماعة من الصحابة وثبت عن النبي صلعم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام الى يوم القيمة اخرجه البخاري واهل السنن من حديث ابي هريرة تعليقا وابن ماجة من حديث صفية بنت شيبة وفي الباب احاديث غير ما ذكرنا ولا تعارض بين هذه الاحاديث فان ابراهيم عليه السلام لما بلغ الناس ان الله حرمها وانها لم تزل حرما آمنا نسب اليه انه حرمها اي اظهر للناس حكم الله فيها والى هذا الجمع ذهب ابن ابي عطية وابن كثير وقال ابن جرير انها كانت حراما ولم يتعبد الله الخلق بذلك حتى سأله ابراهيم فحرمها وتعبدهم بذلك انتهى وكلا الجمعين حسن وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمرة فاستجاب الله له وجعل مكة حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء عن محمد بن مسلم الطائفي قال بلغني انه لما دعى ابراهيم للحرم نقل الله الطائف من فلسطين ومن للتبعيض اي بعض الثمرات ولم يقل من الحبوب لما في تحصيله من الذل الحاصل بالحرث وغيره فاقتصار على الثمرات لتشريفهم وقيل من للبيان وليس بشيء اذ لم يتقدم مبهم يبين بها والمراد بالامن المذكور في قوله مثابة للناس وامنا هو الامن من الاعداء والخسف والمسخ والمراد هنا امن الامن هو الامن من القحط ولهذا قال وارزق اهله من الثمرات ذكره الكرخي والمعنى وارزق من آمن من اهله دون من كفر وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم لما سأل ربه ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين وصار ذلك تأديبا له في المسئلة فلا جرم خص هنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا

يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله قال ومن كفر فأمتعه اي سارزق الكافر ايضا قليلا
اي في الدنيا مدة حياته وعن محمد بن كعب القرظي قال دعا ابراهيم للمؤمنين وترك الكفار ولم يدع لهم
بشيء فقال تعالى ومن كفر فامتعه الاية وعن ابن عباس قال كان ابراهيم احتجرها على المؤمنين
دون الناس فانزل الله ومن كفر ايضا فانا ارزقهم كما ارزق المؤمنين اخلق خلقا لا ارزقهم
ثم قرء ابن عباس كلا نمد هؤلاء وهؤلاء الاية وقوله من كفر الظاهر ان هذا من كلام الله
سبحانه ردا على ابراهيم حيث طلب الرزق للمؤمنين دون غيرهم ويحتمل ان يكون كلاما
مستقلا بيانا لحال من كفر ويكون في حكم الاخبار عن حال الكافرين بهذه الجملة الشرطية اي
من كفر فاني امتعه في هذه الدنيا بما يحتاج من الرزق الى منتهى اجله وذلك قليل لانه ينقطع
ثم اضطره اي الزه اليه لزالمضطر لكفره بعد هذا التمتع الى عذاب النار اخبر سبحانه انه لا ينال
الكفرة من الخير الا تمتعهم في هذه الدنيا وليس لهم بعد ذلك الا ما هو شر محض وهو بئس
المصير واما على قرأة من قرء فامتعه بصيغة الامر وكذلك قوله ثم اضطره بصيغة الامر فهي مبنية
على ان ذلك من جملة كلام ابراهيم وانه لما فرغ من الدعاء للمؤمنين دعى للكافرين بالامتاع
قليلا ثم دعى عليهم بان يضطرهم الله الى عذاب النار ومعنى اضطره الزمه حتى صيره مضطرا لذلك
لا يجد عنه مخلصا ولا منه متحولا واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل وهو حكاية
حال ماضية استحضارا لصورته العجيبة والقواعد الاساس قاله ابو عبيدة والفراء وقال الكسائي
هي الجدر والمراد برفعها رفع ما هو مبني فوقها لا رفعها في نفسها فانها لم ترفع لكنها لما كانت متصلة
بالبناء المرتفع فوقها صارت كانها مرتفعة بارتفاعه ربنا اي قائلين ربنا وقرء ابي وابن مسعود
يقولان ربنا تقبل منا اي طاعتنا اياك وعبادتنا لك انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا
وقد اكثر المفسرون في تفسير هذه الاية من نقل اقوال السلف في كيفية بناء البيت ومن اي احجار
الارض بني وفي اي زمان عرف مرجحه وما ورد فيه من الادلة الدالة على فضله او فضل بعضه
كالحجر الاسود وفي الدر المنثور من ذلك ما لم يكن في غيره فليرجع اليه وفي تفسير ابن كثير بعض
من ذلك ولما لم يكن ما ذكروه متعلقا بالتفسير لم نذكره وفي القسطلاني على البخاري بنيت
الكعبة عشر مرات الاول بناء الملائكة الثاني بناء آدم الثالث بناء ابنه شيث بالطين والحجارة

وغرق في الطوفان الرابع بناء ابراهيم الخامس بناء العمالقة السادس بناء جرهم والذي بناه منهم
هو الحرث بن مضاض الاصغر السابع بناء قصي خامس جد النبي صلعم التاسع بناء عبد الله بن
الزبير في اوائل سنة اربع وستين العاشر بناء الحجاج انتهى حاصله قال سليمان الجمل وهذا بحسب ما
اطلع عليه والا فقد بناه بعد ذلك بعض الملوك سنة الف وتسع وثلثين كما نقله بعض المورخين
رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ اي ثابتين عليه او زدنا منه قيل المراد بالاسلام هنا مجموع الايمان
والاعمال وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ من للتبعيض وللتبيين قال ابن جرير انه اراد بالذرية
العرب خاصة وكذا قال السهيلي قال ابن عطية وهذا ضعيف لان دعوته ظهرت في العرب وغيرهم
من الذين آمنوا به والامة الجماعة في هذا الموضع وقد تطلق على الواحد ومنه قوله تعالى ان
ابراهيم كان امة قانتا لله وتطلق على الدين ومنه انا وجدنا آباءنا على امة وتطلق على الزمان ومنه
وادكر بعد امة قيل اراد بالامة امة محمد صلعم بدليل قوله وابعث فيهم رسولا منهم وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا هي من الرؤية البصرية والمناسك جمع نسك واصله في اللغة الغسل يقال نسك ثوبه
اذا غسله وهو في الشرع اسم للعبادة وقيل واحدها منسك والمراد هنا مناسك الحج وقيل مواضع الذبح
وقيل جميع التعبدات قال علي لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال قد فعلت اي رب فارنا مناسكنا
ابرزها لنا وعلمناها فبعث الله جبريل فحج به وفي الباب آثار كثيرة عن السلف من الصحابة ومن بعدهم
يتضمن ان جبريل ارى ابراهيم المناسك وفي اكثرها ان الشيطان تعرض له وَتُبْ عَلَيْنَا اي تجاوز عنا
والمراد بالتوبة التثبيت لانهما معصومان لا ذنب لهما وقيل المراد وتب على الظلمة منا إِنَّكَ أَنْتَ
التَّوَّابُ اي المتجاوز عن عباده الرَّحِيمُ بهم رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ضمير فيهم راجع الى الامة
المسلمة المذكورة سابقا وقرء ابي في آخرهم ويحتمل ان يكون الضمير راجعا الى الذرية وهم العرب
من ولد اسمعيل وقد اجاب الله لابراهيم عليه السلام هذه الدعوة فبعث في ذريته رسولا منهم
وهو محمد صلعم وقد اخبر عن نفسه انه دعوة ابراهيم كما اخرجه احمد من حديث العرباض بن
سارية وغيره ومراده هذه الدعوة وقد اجمع على ذلك المفسرون لان ابراهيم انما دعا للذرية
وهو بمكة ولم يبعث بذريته بمكة غير محمد صلعم فدل على ان المراد به محمد صلعم والرسول هو المرسل
قال ابن الانباري يشبه ان يكون اصله ناقة مرسال ومرسلة اذا كانت سهلة السير ماضية

أَمَامَ النوق ويقال جاء القوم ارسالا اي بعضهم في اثر بعض يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ اٰيٰتِكَ وهو القرآن
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ اي معاني الكتاب من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام الشرعية والكتاب
هو القرآن وَالْحِكْمَةَ اي ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ووضع كل شيء موضعه
والمراد بالحكمة هنا المعرفة بالدين والفقه في التاويل والفهم للشريعة وقال قتادة هي السنة
وقيل هي الفصل بين الحق والباطل وقال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا يكون الرجل حكيما حتى
يجمعهما وقال ابن دريد كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهي حكمة
وقيل ان المراد بالآيات ظاهر الالفاظ والكتاب معانيها والحكمة الحكم وهو مراد الله بالخطاب
وقيل غير ذلك وَيُزَكِّيْهِمْ التزكية التطهير من الشرك وسائر المعاصي اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ اي الذي لا يعجزه ع ۱۵/۸
شيء قاله ابن كيسان وقال الكسائي العزيز الغالب والحكيم العالم وَمَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ اِبْرٰهٖمَ
اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهٗ الاستفهام للانكار قال الزجاج وابن جني سفه بمعنى جهل اي جهل امر نفسه
فلم يفكر فيها انها مخلوقة لله فيجب عليه عبادته وقال ابو عبيدة المعنى اهلك نفسه وقال
الاخفش اي فعل بها من السفه ما صار به سفيها وقال الزمخشري امتهنها واستخف بها
عن ابي العالية قال رغبت اليهود والنصارى عن ملته واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعة
ليست من الله وتركوا ملة ابراهيم الاسلام وبذلك بعث الله نبيه محمدا صلعم وعن قتادة مثله فمن
رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم وَلَقَدِ
اصْطَفَيْنٰهُ فِي الدُّنْيَا تعليل للحصر قبله واللام جواب قسم محذوف والغرض منه الحجة والبيان
لقوله ومن يرغب والاصطفاء الاختيار اي اخترناه في الدنيا بالرسالة والخلة كما شاهدوه
ونقله جيل بعد جيل وَاِنَّهٗ فِي الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ امر مغيب فاحتاج الاخبار به الى فضل تاكيد
قيل مع الانبياء في الجنة او الذين لهم الدرجات العلى فكيف يرغب عن ملته راغب اِذْ قَالَ
لَهٗ رَبُّهٗٓ اَسْلِمْ يحتمل ان يكون متعلقا بقوله اصطفيناه اي اخترناه وقت امرنا له بالاسلام
ويحتمل ان يتعلق بمحذوف هو اذكر قال في الكشاف كانه قيل اذكر ذلك الوقت ليعلم انه المصطفى
الصالح الذي لا يرغب عن ملته مثله قال ابن عباس قاله ذلك حين خرج من السرب وذلك عند
استدلاله بالكوكب واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر و

معنى اسلم انقد لله واخلص دينك وعباداتك له قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ اي فوضت
امري اليه قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القي
في النار وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ الضمير في بها راجع الى الملة الحنيفية او الى الكلمة اي
اسلمت لرب العالمين قال القرطبي وهو اصوب لانه اقرب مذكور اي قولوا اسلمنا انتهى والاول
ارجح لان المطلوب ممن بعده هو اتباع ملته لا مجرد التكلم بكلمة الاسلام فالتوصية بذلك اليق
بابراهيم واولى بهم قيل كانوا ثمانية منهم اسمعيل وهو اول اولاده وقيل اربعة عشر وَيَعْقُوبُ معطوف
على ابراهيم اي واوصى يعقوب بنيه كما اوصى ابراهيم بنيه وكانوا اثني عشر وقرئ بنصب يعقوب فيكون
داخلا فيما اوصاه ابراهيم قال القشيري وهو بعيد لان يعقوب لم يدرك جده ابراهيم وانما ولد
بعد موته يَا بَنِيَّ قيل انه من مقول ابراهيم وقيل من مقول يعقوب إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ
المراد بالدين ملته التي لا يرغب عنها الا من سفه نفسه وهي الملة التي جاء بها محمد صلعم وفي قوله
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ايجاز بليغ والمراد الزموا الاسلام ولا تفارقوه حتى تموتوا وهذا
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتوا على حالة غير حالة الاسلام وليس فيه نهي عن
الموت الذي هو قهري ولهذا قال السيوطي نهي عن ترك الاسلام وامر بالثبات عليه الى مصادفة
الموت انتهى والمعنى ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وان حق هذا
الموت ان لا يحصل فيهم عن فضيل بن عياض قال مسلمون اي محسنون بربكم الظن ويدل عليه ما
روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلعم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا و
هو يحسن الظن بربه اخرجاه في الصحيحين أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ اي ما كنتم
حاضرين حين احتضر يعقوب وقرب من الموت وام هذه قيل هي المنقطعة وقيل هي المتصلة
وفي الهمزة الانكار المفيد للتقريع والتوبيخ والخطاب لليهود والنصارى الذين ينسبون الى ابراهيم
والى بنيه انهم على اليهودية والنصرانية فرد الله ذلك عليهم وقال لهم اشهدتم يعقوب و
علمتم ما اوصى به بنيه فتدعون ذلك عن علم ام لم تشهدوا بل انتم مفترون والشهداء جمع
شاهد ولم ينصرف لان فيه الف التانيث التي لتانيث الجماعة والمراد بحضور الموت حضور مقدماته
وسمي يعقوب لانه هو واخوه العيص كانا توأمين في بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة في

الخروج مسابقة ليعقوب فتأخر يعقوب عنه ونزل على اثره وعقبه في الخروج إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ
يعني الاولاده الاثني عشر مَا تَعْبُدُونَ اي اي شيء تعبدون وانما جاء بما دون من لان المعبودات
من دون الله غالبها جمادات كالاوثان والنار والشمس والكواكب مِنْ بَعْدِي اي من بعد موتي
قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ واسمعيل وان كان عما ليعقوب
فان العرب تسمي العم ابا والخالة اما وعم الرجل صنو ابيه وقرئ ابيك فقيل اراد ابراهيم وحده
ويكون اسمعيل واسحق عطفا على ابيك وان كان هو اباه حقيقة وابراهيم جده ولكن لابراهيم
مزيد خصوصية وقيل ابيك جمع كما روي عن سيبويه ان ابين جمع سلامة ومثله ابون وقدم
اسمعيل على اسحق لانه اسبق منه في الولادة باربع عشرة سنة وانه جد نبينا صلعم إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ
لَهُ مُسْلِمُونَ اي مخلصون التوحيد والعبودية تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ
تلك اشارة الى ابراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه وما بعده بيان لحال تلك الامة وحال المخاطبين بان
لكل من الفريقين كسبه لا ينفعه كسب غيره ولا يناله منه بشيء ولا يضره ذنب غيره وفيه الرد على
من يتكل على عمل سلفه ويروح نفسه بالاماني الباطلة ومنه ما ورد في الحديث من ابطأ به
عمله لم يسرع به نسبه والمراد انكم لا تنتفعون بحسناتهم ولا تؤاخذون بسيئاتهم وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي عن اعمالهم كما لا يسألون عن اعمالكم ومثله ولا تزر وازرة وزر اخرى
وان ليس للانسان الا ما سعى ولما ادعت اليهود والنصارى ان الهداية بيدها والخير مقصور عليها
رد الله ذلك عليهم بقوله وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا وهذا فن اخر من فنون كفرهم
واضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالتهم في نفسهم قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن
الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما خاصموا
المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا اي قل يا محمد في
الرد عليهم هذه المقالة بل الهدى ملة ابراهيم والحنيف المائل عن الاديان الباطلة الى دين الحق وهو في اصل
اللغة الذي تميل قدماه كل واحدة الى اختها اي نتبع ملة ابراهيم حال كونه حنيفا وقال قوم الحنف
الاستقامة فسمي دين ابراهيم حنيفا لاستقامته ويسمى معوج الرجلين احنف تفاؤلا بالاستقامة
كما قيل للديغ سليم وللمهلكة مفازة وقال مجاهد حنيفا متبعا وقال ابن عباس حاجا وعن خصيف

قال الحنيف المخلص وقال ابو قلابة الحنيف الذي يؤمن بالرسل كلهم من اولهم الى اخرهم واخرج
احمد عن ابي امامة قال قال رسول الله صلعم بعثت بالحنيفية السمحة واخرج احمد والبخاري
في الادب المفرد وابن المنذر عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اي الاديان احب الى الله قال
الحنيفية السمحة ونصب ملة على الاغراء قاله ابو عبيدة اي الزموها وَمَا كَانَ اي ابراهيم مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ
وفي نفي كونه من المشركين تعريض بالبيهود في قولهم عزير بن الله وبالنصارى لقولهم المسيح بن الله اي
ان ابراهيم ما كان على هذه الحالة التي انتم عليها من الشرك بالله فكيف تدعون عليه انه كان
على اليهودية او النصرانية وتدعون انكم على ملته قُوْلُوْٓا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْنَا اي القران
وَمَآ اُنْزِلَ اِلٰٓى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْاَسْبَاطِ اي الصحف وهذا خطاب
للمسلمين وامر لهم بان يقولوا لهم هذه المقالة وقيل انه خطاب للكفار بان يقولوا
ذلك حتى يكونوا على الحق والاول اولى واعاد الموصول لئلا يتوهم من اسقاطه اتحاد المنزل
مع انه ليس كذلك وذكر اسمعيل وما بعده لكونهم موحين لها متعبدين بتفاصيلها
داخلين تحت احكامها ومقربين لما انزل على ابراهيم فكانه منزل عليهم ايضا والا فليسوا منزلا
عليهم في الحقيقة والاسباط اولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولدا ولكل واحد من الاولاد جماعة والسبط
في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب وسموا الاسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة متتابعون
وقيل اصله من السبط بالتحريك وهو الشجر اي هم في الكثرة بمنزلة الشجر وقيل الاسباط حفدة يعقوب
اي اولاد اولاده لا اولاده لان الكثرة انما كان فيهم دون اولاد يعقوب في نفسه فهم افراد
لا اسباط وَمَآ اُوْتِيَ مُوْسٰى من التوراة وعبر بالايتاء دون الانزال فرارا من التكرار الصوري
الموجب للثقل في العبارة وَعِيْسٰى من الانجيل ولم يقل وما اوتي عيسى اشارة الى اتحاد المنزل عليه
مع المنزل على موسى فان الانجيل مقرر للتوراة ولم يخالفها الا في قدر يسير فيه تسهيل كما قال و
لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وَمَآ اُوْتِيَ النَّبِيُّوْنَ المذكورون وغيرهم مِنْ رَّبِّهِمْ يعني الكتب
التي اوتي جميع الانبياء وذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر
الله من انبيائه كانوا على هدى وحق لَا نُفَرِّقُ في الايمان بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْهُمْ بل نؤمن بكل
الانبياء قال الفراء معناه لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى قال

في الكشاف احد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه وليس كونه في معنى الجماعة
من جهة كونه نكرة في سياق النفي كما سبق الى كثير من الاذهان ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ اي
ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية واخرج احمد ومسلم وابوداود
والنسائي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرء في ركعتي الفجر
في الاولى منهما الاية التي في البقرة قولوا امنا بالله كلها وفي الاخرة امنا بالله واشهد
بانا مسلمون واخرج البخاري من حديث ابي هريرة كان اهل الكتاب يقرؤن التورية
بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله الاية ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ
فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ هذا خطاب للمسلمين ايضا اي فان امن اهل الكتاب وغيرهم بمثل
ما امنتم به من جميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم فقد اهتدوا وعلى
هذا فمثل زائدة كقوله ليس كمثله شيء وقيل ان المماثلة وقعت بين الايمانين اي
فان امنوا بمثل ايمانكم وقال في الكشاف انه من باب التبكيت لان دين الحق واحد
لا مثل له وهو دين الاسلام اي فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مساويا له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا وقيل ان الباء زائدة موكدة وقيل انها للاستعانة ﴿وَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ اصله من الشق وهو الجانب كان كل واحد من الفريقين في
جانب غير الجانب الذي فيه الاخر وقيل انه ماخوذ من فعل ما يشق ويصعب
فكل واحد من الفريقين يحرص على فعل ما يشق على صاحبه ويصح حمل الاية على
كل واحد من المعنيين قال ابو العالية في شقاق اي فراق وقيل في خلاف ومنازعة
وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ اي من شر اليهود
والنصارى والكفاية وعد وضمان من الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم انه
سيكفيه من عانده وخالفه من المتولين وقد انجز له وعده بما انزله من
باسه بقريظة والنضير وبني قينقاع وفيه معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
وهو اخبار بغيب ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لاقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ باحوالهم يسمع جميع ما

ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم
صبغة الله الخطاب للمسلمين اي قولوا للنصارى هذه المقالة والمعنى صبغنا الله بالايمان قال
الاخفش وغيره اي دين الله وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ
والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس انتهى وقال ابن عباس دين الله وقال مجاهد فطرة
الله التي فطر الناس عليها واخرج ابن مردويه والضيا في المختارة عن ابن عباس عن النبي صلعم قال
ان بني اسرائيل قالوا يا موسى هل يصبغ ربك فقال اتقوا الله فناداه ربه يا موسى سألوك هل يصبغ
ربك فقل نعم انا اصبغ الالوان الاحمر والابيض والاسود والالوان كلها في صبغتي وانزل الله على
نبيه صبغة الله الآية وعنه صبغة الله البياض وقد ذكر المفسرون ان اصل ذلك ان النصارى
كانوا يصبغون اولادهم في الماء وهو الذي يسمونه المعمودية ويجعلون ذلك تطهيرا لهم فاذا فعلوا
ذلك قالوا الان صار نصرانيا حقا فرد الله عليهم بقوله صبغة الله اي الاسلام ولا صبغة احسن من
صبغة الاسلام ولا اطهر وهو دين الله الذي بعث به نوحا ومن كان بعده من الانبياء وسماه
صبغة استعارة قال البغوي اطلاق مادة لفظ الصبغ على التطهير مجاز تشبيهي وتقريره للمشاكلة
هنا مبسوط في التلخيص وشرحه للسعد وقيل الصبغة الاغتسال لمن اراد الدخول في الاسلام بدلا
من معمودية النصارى ذكره الماوردي وقيل الصبغة الختان لانه يصبغ المختتن بالدم وقيل الصبغة
سنة الله ومن احسن من الله صبغة اي دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر ونحن
له عابدون اي مطيعون قل اتحاجوننا في الله اي قل يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان
دينهم خير من دينكم اتجادلوننا وتخاصموننا في دين الله الذي امرنا ان ندين به والقرب منه
والحظوة عنده وذلك كقولهم نحن ابناء الله واحباؤه والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وهو ربنا
وربكم اي نشترك نحن وانتم في ربوبيته لنا وعبوديتنا له فكيف تدعون انكم اولى به منا وتحاجوننا
في ذلك وله ان يصطفي من عباده من يشاء ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلستم باولى بالله منا وهو
مثل قوله تعالى فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ونحن له
مخلصون اي نحن اهل الاخلاص للعبادة دونكم وهو المعيار الذي يكون به التفاضل و
الخصلة التي يكون صاحبها اولى بالله سبحانه من غيره فكيف تدعون لانفسكم ما نحن اولى به

منكم واحق والجمل الثلاث احوال وفيه توبيخ لهم وقطع لما جاؤا به من المجادلة والمناظرة قيل
وهذه الآية منسوخة بآية السيف أَمْ تَقُولُونَ ام هنا معادلة للهمزة في قوله اتحاجوننا
اي ام تقولون ان هؤلاء الانبياء على دينكم وعلى قراءة يقولون بالياء يكون ام منقطعة
اي بل يقولون وفيه تقريع وتوبيخ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ يعني اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما
حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم عليهم قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ اي الله
اعلم بذلك وقد اخبرنا بأنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى وانتم تدعون انهم كانوا كذلك
فهل انتم اعلم ام الله سبحانه والتفضيل على سبيل الاستهزاء وعلى تقدير ان يظن بهم علم
في الجملة والا فلا مشاركة وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ اي اخفى شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ استفهام
انكار اي لا احد اظلم يحتمل ان يريد بذلك الذم لاهل الكتاب بأنهم يعلمون ان هؤلاء الانبياء
ما كانوا هودا ولا نصارى بل كانوا على الملة الاسلامية فظلموا انفسهم بكتمهم لهذه الشهادة
بل بادعائهم لما هو مخالف لها وهو اشد في الذنب ممن اقتصر على مجرد الكتم الذي لا احد اظلم
منه ويحتمل ان المراد ان المسلمين لو كتموا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منهم ويكون المراد
بذلك التعريض باهل الكتاب وقيل المراد هنا ما كتموه من صفة محمد صلعم وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ فيه وعيد شديد وتهديد ليس عليه مزيد واعلام بان الله سبحانه لا يترك امرهم سدى
ولا يترك عقوبتهم على هذا الظلم القبيح والذنب الفظيع والغافل الذي لا يفطن للامور
اهمالا منه ماخوذ من الارض الغفل وهي التي لا علم بها ولا اثر عمارة وقال الكسائي ارض
غفل لم تمطر وكرر قوله سبحانه تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا
تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ لتضمنها معنى التهديد والتخويف الذي هو المقصود في هذا
المقام وتلك اشارة الى ابراهيم واسمعيل ويعقوب والاسباط وقيل لانه اذا اختلف مواطن ع ١٦ ١٢
الحجاج والمجادلة تحسن تكريره للتذكير به وتاكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود
ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم اي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يوخذ بعمله
وكل انسان يسأل يوم القيمة عن كسبه لا عن كسب غيره وفيه وعظ وزجر وهذا كالاول

خاتمة الطبع

تم الجزء الاول من تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن ويتلوه الجزء الثاني ان شاء الله المستعان اوله سيقول السفهاء وكان ختمه بدار الرياسة العلية بهوپال المحمية بعناية مؤلفه ذي المناقب السنية والمحامد البهية مفسر القرآن وترجمان الفرقان فارس ميدان الفصاحة وغارس افنان البلاغة فرع الدوحة النبوية وفخر الاسرة المصطفوية وارث علوم النبي الامي وحامل لواء السنة بابي هو وامي تاج العز المكلل وطراز المجد الرفيع الاول المخاطب بنواب والاجاه امير الملك **السيد محمد صديق حسن خان** بهادر ما برح في معارج العلى بالمجد والكرم والتفاخر في عهد حكومة الرئيسة العالية الشان الجامعة للكمالات الممكنة لنوع الانسان سيدة زمرة النسوان عمدة الولاة في الاماثل والاقران خاتمة الاراء الصائبة حضرت **نواب شاهجهان بيگم صاحبه** ادام الله تعالى اقبالها وضاعف اجلالها في اوائل شهر شعبان من شهور سنة تسعين ومائتين والف الهجرية على صاحبها افضل الصلوة واجمل التحية وقد اهتم بطبعه الشريف العبد الضعيف الراجي رحمة الرحمن **محمد عبد المجيد خان** مهتم مطابع الرياسة بمزيد الاعتناء واعتنى بزبره المنيف **الحافظ علي حسين** الكهنوي ذو اليد البيضاء والحمد لله سبحانه وتعالى حمدا لا غاية لها ولا انتهاء اولا وآخرا

مزيل الاغلاط للجزء الاول من فتح البيان في مقاصد القرآن

صفحه	سطر	خطا	صواب
٣	٦	يحيط	تحيط
٢	٦	يدلك	ندلك
٨	٦	لِمَا	لَمَّا
٩	٢١	العلل	العلل التي
١٣	٨	لاخول	لاحول
٢٥	١٠	يفهم	يفهم عنه
٢٥	١٥	امنع	امنع عن معصية
٢٦	٨	يوم الدين	يَوْمِ الدِّيْنِ
٢٨	١	خلفهاً	خلفها
٢٨	٢	ابونعيم	×
٣٠	٢٢	يدقع	يدفع
٣١	١٦	ردى	روى
٣٢	١٠	عليّ	علي
٣٢	٢٣	ين	بن
٣٦	٧	النبي	لنبي
٣٧	٢٠	بنشرح	ينشرح
٣٨	٤	موجودا	مأخوذا
٣٨	١٢	الائمة	الامّة
٣٩	١٨	هذى	هدى
٤٠	٩	العبادة	عبادة
٤٠	١٢	حتى	وحتى
٤٢	٨	هي	وهي
٤٣	٧	لم يقرقوا	لم يفرقوا
٤٤	٦	المقا	البقا
٤٥	٢	منذرا	منذر
٤٥	٥	ككعت	كعب
٤٥	١١	مجسوس	بمحسوس
٤٨	١٠	اكد	أكد
٥٢	١	واقع	وقع
٥٢	٣	المحلي	السيوطي
٥٤	١٣	ولعل	لعل
٥٤	١٧	خزنة	حزنة
٥٤	٢٣	مصروفة	المصروفة
٥٥	٣	جبمع	رِزْقًا لَّكُمْ جمع
٥٧	٢	الخارحية	الخارجة
٦١	٢٢	مقدوريه	مقدوريه
٦٢	٣	هذى	هدى
٦٢	٣	لصحيح	بصحيح
٦٢	٣	لايفرون	لايقرون
٦٣	٥	امرة	امره
٦٣	٢٠	طوره	ظهره
٦٥	٢	يجيء	هي
٦٧	٦	التصريح	تصريح
٦٨	٣	عن	وعن
٧١	٢٠	صبغة	صنعة
٧٢	١٣	اني	في اني
٧٢	٢٣	سبحانك	سبحانه
٧٥	٩	رجحان	برجحان
٧٥	١١	رذق واسع لين	رزقا واسعا لينا
٧٦	١٨	للمؤمنين	×

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٠	٣	بجماعة	لجماعة
٨٠	١٤	لاتعطوا	لاتغطوا
٨٠	٢٢	عنا	عناد
٨٢	٢	عليه	عنه
٨٢	١٤	لأوقات	الاوقات
٨٣	١	كال	كامل
٨٣	١٦	الطاهر	الظاهر
٨٣	٢٣	عيتا	عينا
٨٤	١٧	لشل	×
٨٩	٢٠	سباق	سياق
٩١	٨	الاختيار	الاختبار
٩٤	٢٢	يحيي	يجيء
٩٥	١٠	عدلهم	عدلاهم
٩٥	١٢	مقابلها	مقابلتها
٩٧	١٣	ورغدا	ومعنى رغدا
٩٩	٤	المحلي	السيوطي
٩٩	١٧	جهة	جهة منه
١٠١	٢	قَالَ	قَالَ
١٠٢	٨	وباؤا	وَبَاؤُوا
١٠٧	٢٢	على	×
١١٠	١٩	من	×
١١٠	١٩	قبل	قيل
١١١	١٠	اذا	اذ
١١١	٢١	البيس	اليبس
١١٣	٨	له	لم
١٢٢	٨	والتأييل	التأييل

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٧	٢	ووجه	وجه
١٢٨	١٢	بعمى	يعمى
١٣٣	٢٢	يعده	بعده وظهور صحة تكلفة تنزيه الله سبحانه ان ينزل السحر الى الارض فتنة لعباده على السنة ملائكته وعندي
١٣٩	٢١	وسوى	سواء
١٤٢	١٥	والعفو	العفو
١٤٦	٤	وقضايه	وقضائه
١٤٦	٢٢	لال اللفظ	لان اللفظ
١٤٨	١	الرحل	الرجل
١٥٠	٢٣	به الحجة	به
١٥١	٧	نسمى	تسمى
١٥٢	٢٠	الخث	الحث
١٥٣	١٣	اقوال	اقول
١٥٣	١٥	اقتتاح	افتتاح
١٥٤	٢	بباطل	ببابل
١٥٥	٩	بهداية	بهدايه
١٥٦	١	انه	انه ان
١٥٦	١٨	سياقي	سياتي
١٥٧	١١	بشيء	لشيء و
١٦٠	١٠	هُوَ	هو
١٦٠	١٤	وهو	هو
١٦١	٥	عليه	على الاسلام
١٦٣	٧	بنينه	بنيه
١٦٣	٢٣	احوه	اخوه
١٦٦	٢٢	قبنقاع	قينقاع
١٦٦	٢٣	لااقوالهم	لاقوالهم